النص الكامل
الطبعة القانونية الأولى والوحيدة باللغة العربية

Agatha Christie

أغاثا كريستي

المِرْآة المَكسُورَة

٦٣

الأجيال
للترجمة والنشر
AJYAL Publishers

المِرْآة المَكسُورَة

هذه هي الترجمة القانونية الوحيدة لهذا الكتاب
وهي تضم النص الكامل لرواية أغاثا كريستي
المنشورة أول مرة عام ١٩٦٢ بعنوان

The Mirror Crack'd from Side to Side

Copyright © Agatha Christie Ltd 1962

جميع الحقوق محفوظة للناشر:

شركة الأجيال للتأليف والترجمة والنشر

بموجب الاتفاق الخطي الموقَّع بينه وبين ممثّلي المؤلفة القانونيين.

يُمنع نقل أو تخزين أو إعادة إنتاج أي جزء من هذا الكتاب
بأي شكل أو بأية وسيلة: تصويرية أو تسجيلية أو إلكترونية
أو ميكانيكية أو غير ذلك إلا بإذن خطي مسبق من الناشر

Arabic edition published by AJYAL *Publishers*
e-mail: agatha@al-ajyal.com

الطبعة الرابعة

٢٠٠٤

أغاثا كريستي

المِرْآة المَكسُورَة

طُبعت للمرّة الأولى باللغة الإنكليزية عام ١٩٦٢

ترجمة: محمود الخطيب

مراجعة الترجمة: نبيل عبد القادر البرادعي

تحرير: رمزي رامز حسّون

تنفيذ الغلاف: عروة مؤمن ديرانية

الأجيال
للترجمة والنشر
AJYAL Publishers

بسم الله الرحمن الرحيم

الفصل الأول

كانت الآنسة ماربل جالسة بجوار نافذة غرفتها المطلة على حديقة منزلها، تلك التي كانت ذات يوم مصدر فخر لها، لكن الحال لم يعد كذلك الآن؛ فقد أضحت تستاء لرؤية منظرها بعد إذ أقعدها الضعف عن الاهتمام بها: لا انحناء، ولا حَفْر، ولا زراعة... اللهمّ إلا تقليم الأشجار على أبعد تقدير.

ورغم أن العجوز لايكوك الذي يأتي ثلاث مرات في الأسبوع كان يبذل أفضل ما لديه، فإن هذا الأفضل (الذي لم يكن يعني الكثير) لم يكن أفضل إلاّ بمقياسه هو، لا بمقياس صاحبة العمل التي كانت تعرف تماماً ما تريد أن تعمل ومتى تريده وتعطي تعليماتها للعجوز وفقاً لذلك. وهنا كان العجوز يُظهر عبقريته الخاصة في الموافقة المتحمسة على التعليمات التي يعقبها عدم التنفيذ: هذا صحيح يا سيدتي، سوف نضع هذه الشتلة هناك ونضع نباتات الكانتربري على طول الجدار، وسوف يكون هذا أول عمل نعمله الأسبوع القادم كما قلت...

كانت أعذار لايكوك معقولة دائماً وكثيرة الشبه بأعذار الكابتن

جورج في قصة «ثلاثة رجال في قارب» لكي يتجنب الذهاب إلى البحر؛ ففي تلك القصة كانت الريح دائماً غير مناسبة سواء أكانت تهب على الشاطئ أم بعيداً عنه أم آتية من الغرب أم من الشرق! وبالطريقة ذاتها كانت أحوال الطقس هي أعذار لايكوك المعتادة، فهو جاف جداً أو ممطر جداً، مشبع بالماء أو جاف بارد الهواء، وكان يتوجب دائماً عمل شيء أكثر أهمية (عادة ما يكون متعلقاً بالملفوف الذي يحب زراعته بكميات كبيرة).

كانت مبادئ لايكوك في البستنة بسيطة، ولكن لم يكن بوسع أي مستخدِم له -مهما كانت خبرته- أن يثنيه عنها. كانت مبادئه هذه تتكون من شرب عدد كبير جداً من فناجين الشاي الحلو والثقيل لتشجعه على العمل، ثم قضاء وقت طويل في كنس أوراق الأشجار المتساقطة في الخريف، وفي تنسيق زراعة مساحات كبيرة من نباتاته المفضلة وبصفة خاصة النجمية والميرمية لتعطي منظراً جميلاً في الصيف على حد قوله. كان يحب دائماً رش الورود لحمايتها من الحشرات، لكنه كان بطيئاً في عمله فلا يستطيع خداعها والإمساك بها، وعندما كانت سيدته تأمره بحفر خنادق عميقة لزراعة البازلاء العطرة كانت تواجَه عادة بقوله إنها يجب أن ترى البازلاء التي يزرعها هو! كانت نباتات رائعة في الموسم الماضي دون أن يجهد نفسه بأية أعمال مسبقة.

ومن الإنصاف أن نقول إنه كان على صلة جيدة بأصحاب العمل الذين يستخدمونه، وكان يساير رغباتهم المتعلقة بالبستنة ما دام لا يوجد عمل متعب وفعلي، لكنه كان يعرف أن الخضراوات هي مادة الحياة الحقيقية: الملفوف الجميل أو اللفت المعقوص، أما

الأزهار فإنها قضايا كمالية خيالية تركض خلفها النساء عادة، ممن لا يجدن شيئاً أفضل يشغلن أوقاتهن به. وكان يظهر حبه لمستخدميه بتقديم هدايا من نباتات الأسطر والناعمة أو نباتات اللوبيا ونباتات الأقحوان الصيفية.

- كنت أعمل في البيوت الجديدة في منطقة التطوير. إنهم يريدون تنسيق حدائق جميلة لهم فيأتون بنباتات أكثر مما كانوا يحتاجونه، لذلك أحضرت معي قليلاً من الورود ووضعتها مكان الورود القديمة التي فقدت نضارتها.

أشاحت الآنسة ماربل بنظرها عن الحديقة وهي تفكر بهذه الأمور، وتناولت عدة حياكتها. على المرء أن يواجه الحقيقة: إن قرية سينت ميري ميد لم تعد كما كانت عليه من قبل.

من الطبيعي أن يتغير كل شيء. يمكنك أن تلوم الحرب، كلا الحربين، أو الجيل الصغير أو النساء اللاتي يذهبن للعمل أو القنبلة النووية أو الحكومة... لكن الحقيقة، وبكل بساطة، هي أن المرء يتقدم في السن.

ورغم أن الآنسة ماربل كانت تدرك هذه الحقيقة تماماً بما تميزت به من حساسية مفرطة، إلا أنها كانت تحس بهذا الأمر أكثر في سينت ميري ميد وبطريقة غريبة لأنه كان المكان الذي تعيش فيه منذ زمن طويل.

سينت ميري ميد، مركزها الذي ينتمي إلى العالم القديم، ما زال قائماً. ما تزال هناك تلك البيوت الصغيرة المقامة على طراز

عصر الملكة آن والعصر الجورجي، والتي كان بيت الآنسة ماربل واحداً منها. وهناك ما يزال بيت الآنسة هارتنيل، والآنسة هارتنيل نفسها التي كانت تحارب التقدم حتى آخر نَفَس فيها. أما الآنسة ويذرباي فقد توفيت ويسكن بيتها الآن مدير البنك مع عائلته بعد إجراء تعديلات عليه وطلاء أبوابه ونوافذه باللون الأزرق الفاتح. أما معظم البيوت القديمة الأخرى فيسكنها أناس جدد، وإن تكن البيوت نفسها لم تتغير في مظهرها إلا قليلاً، لأن الذين اشتروها إنما فعلوا ذلك لأنهم أحبوا ما سمّاه سمسار البيوت «سحر العالم القديم»، فاكتفوا بأن أضافوا إلى بيوتهم حماماً آخر وأنفقوا كثيراً من الأموال على أعمال السمكرة والطباخات الكهربائية وجلايات الصحون.

ورغم أن البيوت كانت تبدو على ما كانت من قبل إلى حد بعيد، إلاّ أن الشيء نفسه لا يكاد ينطبق على شارع القرية؛ فالملاّك الجدد للمحالّ التجارية عملوا على تحديثها تحديثاً جذّياً وفورياً، فلم يكن ممكناً التعرف على السمّاك بواجهات محله الجديدة التي كان السمك المثلج يلمع من خلالها. لكن الجزار بقي محافظاً، فاللحم الجيد هو اللحم الجيد إن كنت تملك المال لشرائه، وإذا لم تكن تملك المال فيمكنك أن تشتري الأجزاء الأرخص سعراً والأعسر طبخاً وتحبها! وكذلك فإن محل البقال بارنز لم يطرأ عليه تغيير يذكر، مما جعل الآنسة هارتنيل والآنسة ماربل وسيدات غيرهما يحمدنَ الله على ذلك كل يوم... كراسي مريحة وجميلة للجلوس عليها بجانب الكاونتر وتبادل الحديث العائلي عن قطع اللحم والأنواع المختلفة من الجبنة. في حين حلّ في طرف الشارع متجر كبير جديد محلّ

دكان السيد تومس بائع السلال، ولكنه كان مكاناً بغيضاً للسيدات العجائز من سينت ميري ميد.

صاحت الآنسة هارتنيل: أشياء كثيرة لم يسمع بها المرء أبداً. هذه العلب الكبيرة من رقائق الحبوب للإفطار بدلاً من القيام بطهي طعام حقيقي من اللحم والبيض للطفل! ثم إن عليك أن تحملي سلة بنفسك وتدوري في المحل لتبحثي عن الأغراض، وقد تحتاجين أحياناً لأكثر من ربع ساعة لتحصلي على كل ما تريدينه، وعادة ما تكون حاجتك في عبوات غير مناسبة، إما أكبر بكثير أو أصغر بكثير مما تريدين... ثم عندما تفرغين ستجدين طابوراً طويلاً تنتظرين فيه لتدفعي الثمن. أمر متعب جداً! هذا بالطبع مناسب تماماً للناس القادمين من التطوير.

وعند هذه النقطة سكتت. انتهت الجملة بالتطوير، تلك الكلمة التي أصبحت الآن شائعة معروفة المعنى ولها هويتها الخاصة بها... إنها منطقة التطوير.

صاحت الآنسة ماربل صيحة انزعاج حادة: لقد غفلت عن إحدى الغرزات مرة أخرى، بل لا بد أنها غفلت عنها منذ وقت غير قليل ولكنها لم تدرك الحقيقة إلاّ الآن عندما توجّبَ عليها تضييق الصدر استعداداً لحفرة الرقبة، واضطرت -بالتالي- أن تعد الغرز. أخذت صنارة احتياطية ورفعت الحياكة نحو الضوء ونظرت إليها بقلق... حتى نظارتها الجديدة لم تكن لتنفعها. لقد تغيّر الزمن ولم يعد بوسع أطباء العيون أن يعملوا أي شيء لها، رغم غرف الانتظار الفاخرة في عياداتهم والمعدات الحديثة والأضواء القوية التي يركزونها على العين، ورغم الأسعار المرتفعة التي يتقاضونها.

وفي لحظة عاودها الحنين إلى الماضي. كيف كان بصرها قوياً قبل بضع سنوات (حسناً، ربما لم تكن بضع سنوات بل أكثر قليلاً) مما جعلها ترى من حديقتها ذات الموقع المشرف كل ما يجري في سينت ميري ميد، فلا يكاد يفوتها من ذلك غير القليل!

توقفت عند هذا فجأة وتركت أفكارها تعود إلى الوراء حيث الماضي: آن بروثيرو في تنورتها الصيفية ذاهبة إلى حديقة بيت الكاهن، والكولونيل بروثيرو المسكين، رجل كريه ومضجر بالتأكيد، ولكن أن يُقتَل بتلك الطريقة! هزت رأسها وانتقلت بأفكارها إلى غريزلدا زوجة الكاهن الشابة الجميلة، غريزلدا الحبيبة، صديقة مخلصة كانت تبعث لها بطاقة عيد الميلاد كل عام. لا بدّ أن طفلها الرضيع الجذاب ذاك قد أصبح الآن شاباً ضخم الجسم ويعمل بوظيفة ممتازة، ولعله يعمل مهندساً، فقد كان يستمتع دائماً بتفكيك لعب القطارات. وخلف بيت الكاهن كان هناك درج وممر يؤدي إلى الحقل، وتأتي بعده مزرعة غايلز للماشية في المروج، تلك التي أصبحت الآن... الآن، منطقة التطوير.

ولمَ لا؟ سألت الآنسة ماربل نفسها هذا السؤال بتحدٍّ: هذه أمور لا بد أن تحدث! كانت الحاجة ملحّة للبيوت، وقد بُنيت بناء جيداً... أو هكذا قالوا عنها.

كان ذلك مثل شيري بيكر التي كانت تسمي غرفة استقبال الآنسة ماربل القديمة التي تتكدس فيها قطع الأثاث «الردهة»، وكثيراً ما كانت الآنسة ماربل تصحح أفكارها بلطف قائلة لها: "إنها غرفة الجلوس يا شيري". ولأن شيري كانت صغيرة ولطيفة فقد حاولت

أن تتذكر ذلك، رغم أنه كان واضحاً لها أن استعمال كلمة «غرفة استقبال» كان غريباً جداً بينما كانت كلمة «ردهة» تنزلق على لسانها بيسر وسهولة، ولكنها قبلت أخيراً أن تسميها «غرفة معيشة».

كانت الآنسة ماربل تحب شيري التي جاءت من منطقة التطوير كثيراً. كان اسمها السيدة بيكر، وكانت واحدة من مجموعة الزوجات الشابات اللاتي كنّ يتسوقن في السوبرماركت ويدفعن بأيديهن عربات أطفالهن في شوارع سينت ميري ميد الهادئة. كُنّ جميعاً أنيقات الملبس وكان شعرهن متموجاً ذا خصلات ملفوفة، وكنّ يضحكن ويتحدثن وينادي بعضهن بعضاً، مثل سرب من الطيور السعيدة. وبسبب من حبائل التسهيلات المغرية للشراء بالتقسيط كنّ دائماً بحاجة لنقود رغم أن أزواجهن جميعاً كانوا يتلقون رواتب جيدة، ولذلك كنّ يأتين للقيام بأعمال المنزل والطبخ.

كانت شيري طاهية سريعة وقديرة، امرأة ذكية، ترد على المكالمات الهاتفية بطريقة صحيحة وسريعة في كشف الأخطاء الموجودة في دفاتر أصحاب المحلات، ولم تكن تحب كثيراً تنظيف ما تحت السجاد. أما بالنسبة لجلي الصحون فكانت الآنسة ماربل تمر دائماً أمام باب المطبخ مشيحة بوجهها بعيداً حتى لا ترى شيري وهي تعمل، حيث كانت تضع كل شيء في المجلى بعضه فوق بعض وتصب عليه زخات من مسحوق الجلي، ولذلك فقد نقلت الآنسة ماربل بهدوء طقم الشاي الفاخر من الاستعمال اليومي وحفظته في خزانة في الزاوية واكتفت بأن تخرجه في المناسبات الخاصة فقط، واشترت -بدلاً منه- طقماً حديثاً رمادي اللون غير مطلي بطلاء ذهبي يمكن أن يزول لونه عند الجلي.

لكم كان الأمر مختلفاً في الماضي! كانت لديها -على سبيل المثال- فلورنس المخلصة خادمة الاستقبال، وكانت لديها آمي وكلارا وأليس، الخادمات الصغيرات اللطيفات اللاتي جئن من ملجأ سينت فيث للأيتام لتلقي التدريب على الأعمال المنزلية ليذهبن بعد ذلك إلى أماكن أخرى للعمل برواتب أفضل. كان بعضهن بسيطاً جداً، وكانت آمي -تحديداً- قاصرة العقل. كن يتحدثن ويثرثرن مع الخادمات الأخريات في القرية ويخرجن مع مساعد السمّاك أو مساعد بستاني المنزل المجاور أو مع أحد مساعدي السيد بارنز البقال العديدين.

قلبت الآنسة ماربل تفكيرها بهن بكل محبة، وتذكرت معاطف الصوف التي حاكتها لأولادهن المنتظَرين. نعم؛ لم يكنّ بارعات كثيراً في استخدام الهاتف ولم يكنّ ذكيات في الحساب أبداً، لكنهن كن يعرفن الغسيل وكيفية ترتيب السرير. كانت قيمتهن تكمن في مهارتهن اليدوية وليس في مستوى تعليمهن.

الغريب أن الفتيات المتعلمات هن اللاتي يذهبن للقيام بجميع الأعمال المنزلية في هذه الأيام؛ طالبات أجنبيات وفتيات متدربات وطالبات جامعيات يأتين للعمل في الإجازات، وزوجات شابات مثل شيري بيكر يعشن في أبنية المناطق المتطورة والحديثة.

ومع ذلك فما زال يوجد أناس مثل الآنسة نايت بالطبع. جاءتها هذه الفكرة الأخيرة فجأة لدى سماعها حركة الآنسة نايت التي تنظف آنية الخزف على رف الموقد في الطابق العلوي. كان واضحاً أن الآنسة نايت قد انتهت من استراحة بعد الظهر وستخرج قريباً لتتمشى

في جولتها اليومية بعد أن تسأل الآنسة ماربل إن كانت تريد أن تحضر لها أي شيء من البلدة.

واستمرت سلسلة الأفكار تتوارد في ذهن الآنسة ماربل. لقد كان كرماً كبيراً بالطبع من ابن أخيها الغالي ريموند أن يحضر لها هذه الخادمة، الآنسة نايت، التي لا يمكن لأحد أن يكون أكثر لطفاً منها.

وفكرت الآنسة ماربل في مرض التهاب الرئتين الذي أصابها مؤخراً فجعلها ضعيفة جداً لدرجة أن الدكتور هيدوك أمرها أمراً حازماً بأن تأتي بشخص ينام معها في البيت كيلا تنام فيه بمفردها. وهنا توقفت الآنسة ماربل عن التفكير، إذ لم يكن من المفيد المضي فيه وتمني أن يكون هذا الشخص أحداً آخر غير الآنسة نايت. وعلى كل، فليس للسيدات العجائز خيار كبير في هذه الأيام؛ فقد انتهى عهد الخادمات المخلصات، وإذا ما اشتد بك المرض فيمكنك أن تُحضر -بعد طول عناء- ممرضة من المستشفى تكلفك غالياً، أو يتعين عليك أن تبيت أنت في المستشفى. وعندما تنتهي نوبة المرض الشديد لا بد من العودة إلى أمثال الآنسة نايت.

وفكرت الآنسة ماربل بأنه لا يوجد في أمثال الآنسة نايت ما يعيبهن باستثناء كونهن يثرن السخط إلى حد الجنون. فهن لطيفاتٌ جداً ومستعداتٌ للشعور بالمحبة تجاه مستخدميهم، وتسليتهم والتعامل معهم بانفتاح وانشراح ومعاملتهم -عموماً- كما لو أنهم كانوا أطفالاً ذوي قصور عقلي.

قالت الآنسة ماربل مخاطبة نفسها: لكنني لست قاصرة عقلياً رغم كبر سني.

في تلك اللحظة دخلت الآنسة نايت إلى الغرفة وهي تتنفس بصعوبة كما هي عادتها. كانت امرأة كبيرة الجسم مترهلة في السادسة والخمسين من عمرها ذات شعر أبيض مصفر مصفف جيداً، تضع نظارة ولها أنف طويل رفيع وتحته فم جميل وذقن نحيفة.

صاحت بأسلوب مرح قصدت به إبهاج المرأة المسنة الحزينة: ها قد انتهينا! أرجو أن تكوني قد تمتعت بقيلولة صغيرة؟

ردت الآنسة ماربل: "كنت أحوك بالصنارة"، ثم تابعت باستياء وخجل معترفة بضعفها: وقد أخطأت في غرزة.

- آه، يا عزيزتي! سنعالج ذلك حالاً، أليس كذلك؟

- أنت ستفعلين هذا، أمّا أنا فإنني لا أستطيع ذلك للأسف.

لم تشعر الآنسة نايت بالفظاظة في نبرة صوتها، إذ كانت كعادتها متحمسة لتقديم المساعدة. قالت بعد لحظات: ها هي يا عزيزتي؛ لقد أصبحت على ما يرام.

رغم أن الآنسة ماربل كانت تحب أن تنادى «عزيزتي» من قِبَل المرأة في البقالة أو الفتاة في محل الصحف إلا أنها تضايقت كثيراً من أن تناديها الآنسة نايت بهذا اللفظ، وهذا شيء آخر يتوجب على النساء المسنات أن يتحملنه.

شكرت الآنسة نايت بأدب فقالت الآنسة نايت بمرح: أريد الخروج للتمشي الآن، ولن أتأخر.

قالت الآنسة ماربل بأدب وصدق: أرجو أن لا تعجلي في العودة.

- لا أحب أن أتركك وحيدة لفترة طويلة يا عزيزتي حتى لا تشعري بالكآبة.

قالت الآنسة ماربل: "أنا سعيدة تماماً". ثم أغلقت عينيها وتمتمت: ربما أذهب لأنام قليلاً.

- هذا جيد يا عزيزتي. هل تحبين أن أحضر لك أي شيء معي؟

فتحت الآنسة ماربل عينيها وفكرت.

- أرجو أن تذهبي إلى محل لونجدون لتري إن كانت الستائر جاهزة، كما يمكنك إحضار لفة صوف أزرق من السيدة وايزلي، وعلبة من مكعبات النعنع من الصيدلية. وغيّري لي الكتاب من المكتبة، ولكن لا تسمحي لهم بأن يعطوك أي كتاب ليس على قائمتي، فهذا الكتاب الأخير كان رهيباً جداً ولم أستطع قراءته.

ثم سلمتها كتاب «يقظة الربيع».

- آه، ألم تحبيه؟ كنت أظن أنك ستحبينه... إنها قصة جميلة.

- وإذا لم يكن المكان بعيداً عليك فاذهبي إلى محل هاليتس وانظري إن كان عندهم خفاقة بيض تعمل من أعلى إلى أسفل وليس ذلك النوع الذي يدور بحركة دائرية.

كانت تعرف جيداً أنهم لا يبيعون مثل هذا النوع، لكن محل هاليتس كان أبعد محل ممكن.

ثم تمتمت: إذا لم يكن كل هذا كثيراً عليك.

لكن الآنسة نايت ردّت بصدق واضح: أبداً، يسرني عمل ذلك.

كانت الآنسة نايت تحب التسوق، كان بالنسبة لها هواء الحياة، فالمرء يستطيع مقابلة معارفه وتتاح له فرصة للحديث مع الآخرين والثرثرة مع البائعين، وتتاح له فرصة رؤية أغراض مختلفة في محلات مختلفة، ويمكنه قضاء وقت طويل في هذه المشاغل الجميلة دون إحساس بالذنب وبأن من واجبه العودة إلى مكان عمله مسرعاً.

وهكذا انطلقت الآنسة نايت سعيدة بعد أن ألقت نظرة أخيرة على السيدة المسنة الضعيفة التي كانت تجلس بجانب النافذة بهدوء. وبعد أن انتظرت الآنسة ماربل بضع دقائق تحسّباً لعودة الآنسة نايت لتأخذ حقيبة التسوق أو محفظة نقودها أو منديلاً... فقد كانت شديدة النسيان كثيرة العودة إلى البيت لتأخذ أغراضها التي نسيتها.

وبعد أن استعادت عافيتها من الجهد العقلي المضني في تذكّر الأشياء الكثيرة التي لا تريدها وإنما تطلب من الآنسة نايت إحضارها لمُشاغَلتها فقط، نهضت الآنسة ماربل برشاقة فألقت صنارتها جانباً، ثم خرجت من الغرفة وذهبت إلى الصالة حيث أخذت معطفها الصيفي عن المشجب وعصا عن الحامل واستبدلت بنعلها الخفيف حذاء قوياً للمشي، ثم غادرت البيت من الباب الجانبي.

قالت الآنسة ماربل تخاطب نفسها: ستحتاج إلى ساعة ونصف الساعة على الأقل، إذ أن معظم الناس من منطقة التطوير يتسوقون الآن.

تخيلت الآنسةُ ماربل الآنسةَ نايت في محل لونجدون وهي تستعلم دونما فائدة عن الستائر. وكانت ظنونها في محلها، ففي تلك اللحظة بالذات كانت الآنسة نايت تصيح: لقد أحسست في نفسي بأنها غير جاهزة الآن، لكني أحببت أن آتي لأتأكد بعد أن ذكرت السيدة أمر الستائر. مسكينات هؤلاء العجائز، ليس لديهن إلا أشياء قليلة يتطلعن لها. لا بد للمرء أن يسايرهن ويبهجهن... كما أنها سيدة لطيفة؛ لقد وهنت قدراتها الآن ولكن ذلك متوقع تماماً، فملكاتهن العقلية تبدأ بالضعف. جميل هذا القماش، هل لديكم منه أية ألوان أخرى؟

مرت عشرون دقيقة، وعندما غادرت الآنسة نايت في نهاية الأمر قالت مسؤولة المحل بازدراء: تضعف ملكاتهن؟! لن أصدق ذلك حتى أراه بنفسي. لقد كانت الآنسة ماربل العجوز حادة الذكاء دائماً، وأعتقد أنها ما زالت كذلك.

في هذه الأثناء كانت الآنسة ماربل تحدث نفسها راضية وهي تتذكر شخصية كانت تعرفها من الماضي: إنها تذكرني بإميلي ووترز، إنها امرأة مغفلة مثلها. فلأتذكر، ما الذي حدث لإميلي؟

لم يحدث لها الكثير، كان ذلك استنتاجها. لقد كادت تعقد خطبتها مرة إلى راعي الأبرشية لكن العلاقة بينهما فشلت بعد تفاهم دام عدة سنوات.

صرفت الآنسة ماربل تفكيرها عن خادمتها وركزت انتباهها على ما حولها. كانت قد اجتازت الحديقة بسرعة ولمحت بطرف عينها فقط أن لايكوك قد قلّم الورود القديمة بطريقة مبالَغ فيها بحيث جعلها أقرب لنباتات الشاي المهجنة، لكنها لن تسمح لذلك بأن يثير اكتئابها ويفوّت عليها فرصة الاستمتاع بهروبها خارج البيت وحدها.

كانت المغامرة تملؤها بالسعادة والحبور. استدارت إلى اليمين ودخلت بوابة بيت الكاهن، ثم سارت على الطريق التي تتخلل حديقة بيت الكاهن وخرجت إلى يمين الطريق. هناك الآن بوابة حديدية دوّارة مكان الدرج المشرف على طريق مزفّت ومبلّط، كان هذا الطريق يؤدي إلى جسر صغير فوق جدول صغير وكان على الجانب الآخر من النهر -ذات يوم- مروج خضراء، أما الآن فقد بُنيت عليها منطقة التطوير.

* * *

الفصل الثاني

عبرت الآنسة ماربل الجدول يغمرها شعور كشعور كولومبوس عندما انطلق لاكتشاف عالم جديد، وأكملت سيرها على الطريق، وخلال أربع دقائق وصلت إلى أوبري كلوز.

كانت الآنسة ماربل قد شاهدت منطقة التطوير بالطبع من طريق ماركت بيسينغ وشاهدت عن بعد الصفوف الطويلة من البيوت المنسّقة والجميلة التي تعلوها شبكات التلفزيون، وشاهدت أبوابها ونوافذها الزرقاء والوردية والصفراء والخضراء، لكنها كانت تراها عن بعد؛ لم تكن قد دخلتها أو سكنتها، لكنها هنا الآن تنظر إلى العالم الجديد الشجاع الذي كان يبرز إلى الوجود، العالم الذي كان -بكل المقاييس- غريباً على كل ما كانت تألفه.

لم يكن يبدو حقيقياً لها... كان أقرب ما يكون لنموذج مرتب بناه الأطفال بحجارتهم، حتى الناس كانوا يبدون غير حقيقيين: الفتيات اللاتي يلبسن البناطيل، والشر الذي يظهر على محيّا الشباب والصبيان... لم تستطع الآنسة ماربل أن تزيح عن ذهنها التفكير بأن المشهد كله بدا فاسداً تماماً. لم يلحظها أحد وهي تسير بخطى متثاقلة

في طرقات المنطقة، واستدارت خارجة من أوبري كلوز ودخلت دارلينغتون كلوز.

خلال سيرها البطيء كانت تسمع مقتطفات من الحديث الذي كان يدور بين النساء اللاتي يدفعن عربات أطفالهن، وكانت تسمع الفتيات وهن يخاطبن الشباب والصبيان الذين يلوح الشر في عيونهم وهم يتبادلون الكلمات الفاسدة بعضهم مع بعض. وخرجت الأمهات على عتبات الأبواب ينادين أطفالهن الذين كانوا مشغولين -كعادتهم- في عمل جميع الأشياء التي أوصتهم أمهاتهم أن لا يفعلوها... وقالت الآنسة ماربل في نفسها: الحمد لله، إن الأطفال لا يتغيرون أبداً!

ولاحت على وجهها ابتسامة وهي تدوّن في عقلها السلسلة المعتادة لما تراه وتدركه: تلك المرأة مثل كاري إدواردز تماماً، وتلك السمراء تشبه ماري هوبر، لعلها ستفسد زواجها مثلما فعلت ماري هوبر تماماً! هؤلاء الأولاد... الولد الأسمر مثل إدوارد ليك، يكثر من الألفاظ النابية لكنه لا يؤذي، إنه في الحقيقة ولد لطيف. وذلك الأشقر مثل جوش ابن السيدة بيدويل. كلاهما ولدان لطيفان، أما ذلك الذي يشبه غريغوري بينز فلن ينفع كثيراً... أظن أن له أمّاً تشبه أم غرّيغوري أيضاً.

وعند إحدى الزوايا انعطفت ودخلت في والينجهام كلوز، وكانت معنوياتها ترتفع كل لحظة.

العالم الجديد هو العالم القديم نفسه: البيوت صارت مختلفة، والملابس مختلفة، والأصوات مختلفة، لكن البشر لم يتغيروا أبداً.

ورغم أنهم يستخدمون عبارات مختلفة قليلاً إلاّ أن موضوعات أحاديثهم كانت هي نفسها.

لم تعد الآنسة ماربل تدرك الاتجاه الذي تسير فيه لكثرة انعطافها في الشوارع الجانبية، وصلت عند طرف منطقة سكنية مرة أخرى فدخلت في كاريزبروك كلوز، وهو زقاق كان نصفه تحت الإنشاء. كان هناك زوجان شابان يقفان على إحدى نوافذ الطابق الأول لبيت أوشك بناؤه على الاكتمال، كانت أصواتهما تصل إلى مسامعها وهما يتحدثان عن لطافة المكان:

- يجب أن تعترف بأنه موقع جميل يا هاري.

- والموقع الآخر كان جميلاً أيضاً.

- هذا البيت فيه غرفتان زيادة.

- لكن عليك أن تدفعي ثمن هذه الزيادة.

- حسناً، لقد أحببت هذا المنزل.

- لا شك في ذلك.

- آه، لا تفسد عليّ متعتي... تعرف ما قالته أمي.

- أمك لا تكف عن القول أبداً.

- لا تقل شيئاً عن أمي! ماذا سيحل بي لولاها؟ كان يمكنها أن تكون أكثر لؤماً معك مما كانت عليه، كان بإمكانها تحويلك إلى المحكمة.

- آه، كفّي عن هذا يا ليلي.

- إن له إطلالة جميلة على التلال.

أخرجت جسمها من النافذة واستدارت ناحية اليسار وأكملت: تستطيع أن ترى تقريباً... تستطيع أن ترى تقريباً صهريج الماء.

انحنت إلى الأمام أكثر وهي لا تدرك أنها كانت تستند بجسدها على ألواح غير ثابتة كانت موضوعة على عتبة النافذة، فانزلقت الألواح تحت ضغط جسدها خارج النافذة حاملة المرأة معها. صرخت وهي تحاول استعادة توازنها: هاري!

وقف الشاب وراءها بمسافة قصيرة جداً دون حراك، وتراجع خطوة إلى الوراء. تشبث بالحائط بيأس واستطاعت هي أن تستعيد توازنها.

صاحت خائفة: آه! كنت على وشك النهاية، لِمَ لم تمسك بي؟

- حدث كل ذلك بسرعة... وعلى أية حال لم يحدث لك شيء.

- أهذا كل ما تستطيع قوله؟ أقول لك إنني كدت أسقط... انظر ما حلّ بسترتي.

واصلت الآنسة ماربل سيرها قليلاً ثم استدارت وعادت من حيث أتت تدفعها حاستها المتميزة.

كانت ليلي خارج البيت على الطريق تنتظر الشاب وهو يقفل البيت. توجهت الآنسة ماربل نحوها وتحدثت معها قليلاً بصوت منخفض: لو كنت مكانك لما تزوجت ذلك الشاب يا عزيزتي. أنت

بحاجة إلى رجل يمكنك الاعتماد عليه إذا وقعت في خطر. يجب أن تغفري تطفّلي هذا، لكني أحس أن عليّ أن أحذّرك.

وابتعدت عنها فيما حدقت ليلي إليها وهي ذاهبة: حسناً، على كل...

اقترب الشاب منها: ليلي، ما الذي كانت تقوله لك؟

فتحت ليلي فمها، ثم أغلقته ثانية.

- تريد أن تعرف؟ لقد كانت تبلغني تحذير الغجرية.

وتفرّست في وجهه لحظة.

كانت الآنسة ماربل -نتيجة حرصها على الابتعاد بسرعة- قد استدارت عند منعطف، فتعثرت ببعض الحجارة المتناثرة ووقعت. وأسرعت إليها امرأة خرجت من أحد البيوت: آه، يا إلهي! إنها سقطة شديدة. أرجو أن لا تكوني قد تأذيت؟

وضعت ذراعيها حول الآنسة ماربل بتودّد مبالَغ فيه وأوقفتها على قدميها.

- أرجو ألا يكون وقع أي كسر؟ أظن أن السقطة قد آلمتك قليلاً.

كان صوتها عالياً وودوداً، كانت امرأة قوية ممتلئة الجسم في نحو الأربعين من عمرها ذات شعر بني بدأ يغزوه الشيب وعينين زرقاوين وفم كبير بدا للآنسة ماربل ذات النظرات الزائغة أنه يخفي صفاً من الأسنان العاجية.

- أفضل أن تدخلي لترتاحي قليلاً، سأحضّر لك فنجاناً من الشاي.

شكرتها الآنسة ماربل وهي تدخل إلى غرفة صغيرة ذات باب أزرق مليئة بالكراسي والأرائك المغطاة بأغطية قطنية براقة. قالت المرأة وهي تجلسها على مقعد وثير: لا تجهدي نفسك، سأضع الإبريق على النار.

أسرعت خارجة من الغرفة التي بدت هادئة ومريحة بعد مغادرتها، وتنفست الآنسة ماربل الصّعداء. لم تسبب لها السقطة أذى حقيقياً لكنها أصيبت ببعض الرضوض. على المرء أن يتحرز من السقطات في مثل هذا العمر، ومع ذلك لا حاجة لأن تعرف الآنسة نايت شيئاً عما جرى. حركت ذراعيها وساقيها بنشاط، جميع أعضائها سليمة. ليتها تستطيع العودة إلى بيتها سالمة... وربما بعد فنجان من الشاي.

وصل فنجان الشاي لحظة تفكيرها به، حملته المرأة على صينية مع أربع قطع بسكويت على طبق صغير ووضعتها على طاولة صغيرة أمامها قائلة: هل أصبه لك؟ من الأفضل أن تضعي كثيراً من السكر.

- لا سكر، أشكرك.

- يجب أن تضعي سكراً، فهو علاج جيد للصدمة. لقد كنت أعمل في سيارات الإسعاف أثناء الحرب وأعلم أن السكر ممتاز لعلاج الصدمات.

وضعت أربع قطع من السكر في فنجان وحركته بقوة.

- اشربي هذا وستكونين على ما يرام.

تقبلت الآنسة ماربل هذا الحكم المبرم، وفكرت في نفسها: إنها امرأة لطيفة. إنها تذكرني بواحدة... تُرى من هي؟

قالت مبتسمة: لقد كنتِ لطيفة جداً معي.

- آه، أبداً. أنا ملاك صغير يحب مساعدة الآخرين.

أطلت خارج النافذة لدى سماعها صوت البوابة الخارجية وهي تفتح. قالت: هذا زوجي قد عاد. آرثر، لدينا زائرة.

خرجت إلى الصالة وعادت ومعها آرثر الذي كان يبدو مرتبكاً. كان رجلاً نحيفاً شاحباً بطئ الكلام.

- لقد وقعت هذه السيدة على الأرض بجوار بوابة بيتنا تماماً، ولذلك فقد أدخلتها إلى هنا.

- إن زوجتك لطيفة جداً يا سيد...

- اسمي بادكوك.

- أخشى أن أكون قد سببت لها كثيراً من المتاعب يا سيد بادكوك.

قال: "آه، هيذر لا تتعب، بل هي تستمتع بمساعدتها للناس". ثم نظر إليها باستغراب: هل كنت تقصدين مكاناً معيناً؟

- كلا، كنت أتمشى فقط. أنا أعيش في سينت ميري ميد، في البيت المجاور لبيت الكاهن... اسمي ماربل.

صاحت هيذر: عجباً! إذن أنت الآنسة ماربل؟ لقد سمعت عنك. أنت المرأة التي تقوم بجرائم القتل.

- هيذر، ما الذي...

- آه، أنت تعرف ما أعنيه. لا أقصد أنها تقوم بارتكاب الجرائم، ولكنها تكشف أسرارها. أليس هذا صحيحاً؟

أجابت الآنسة ماربل بكثير من التواضع بأنها سبق وأن وجدت نفسها في وسط قضية أو قضيتين من قضايا الجرائم.

- سمعت عن وقوع جرائم قتل عديدة في هذه القرية... كانوا يتحدثون عن ذلك قبل أيام في نادي البنغو. واحدة وقعت في «غوسينغتن هول». ما كنت لأشتري بيتاً في مكان تقع فيه جريمة قتل. أخشى أنه سيصبح مسكوناً بالأرواح!

- لم تقع الجريمة في «غوسينغتن هول»، بل أُحضرت جثة ميتة إلى هناك.

- قالوا إنهم وجدوها على سجادة أمام الموقد في المكتبة، أليس كذلك؟

أومأت الآنسة ماربل بالإيجاب.

- ربما تُمثَّل قصتها فِلماً، قد يكون هذا هو سبب شراء مارينا غريغ منزل غوسينغتن هول.

- مارينا غريغ؟

- نعم، هي وزوجها. نسيت اسمه ولكن أعتقد أنه منتج أو مخرج... أظن أن اسمه الأول هو جيسون. لكن مارينا غريغ رائعة، أليس كذلك؟ لم تظهر في أفلام كثيرة في السنوات الأخيرة بسبب مرضها الطويل، لكني ما زلت أعتقد أنه لا توجد واحدة مثلها أبداً. هل رأيتها في أفلامها الرائعة: كارمينيلا وثمن الحب وماري ملكة سكوتلاندا؟ لم تعد صغيرة السن لكنها ستبقى دائماً ممثلة رائعة. كنت دائماً من المعجبات جداً بها... عندما كنت في سن المراهقة كنت أحلم بها. كان مجيئها لافتتاح العرض الكبير لمساعدة مستشفى الميدان سينت جون في برمودا هو الحدث المثير في حياتي. لقد كدت أجن من الفرح، ورغم أنني كنت إذ ذاك طريحة الفراش أعاني من الحمى، ورغم نصيحة الطبيب لي بملازمة الدار، إلا أنني تحاملت على نفسي، فأخفيت شحوب وجهي بكثير من مساحيق التجميل وخرجت إلى العرض. وقدموني لها فتحدثت معي لمدة ثلاث دقائق وحظيت منها بتوقيعها. لقد كان شيئاً رائعاً، إنني لم أنسَ ذلك اليوم أبداً.

حدقت الآنسة ماربل إليها وقالت بقلق: أرجو أن حالتك الصحية لم تزد سوءاً بعد ذلك؟

ضحكت هيذر بادكوك: أبداً، لم أكن قط أفضل مما كنت في ذلك اليوم. أنا أعتقد أن على الإنسان أن يخاطر قليلاً لتحصيل ما يريد، وقد كنت دوماً أجازف لأحصل على ما أريد. إذا أردتِ شيئاً فيجب أن تخاطري... كنت دائماً أفعل ذلك.

قال آرثر بادكوك بإعجاب: دائماً كانت هيذر تنتصر، كانت تفعل كل ذلك وتخرج سالمة.

أومأت الآنسة ماربل برأسها علامة الرضا وهمست: أليسون وايلد!

قال السيد بادكوك: عفواً، ماذا قلت؟

- لا شيء، مجرد امرأة كنت أعرفها.

نظرت هيذر إليها متسائلة فقالت: لقد ذكّرتني بها، هذا كل ما في الأمر.

- حقاً؟ أرجو أنها كانت لطيفة.

- جداً، في الحقيقة كانت لطيفة وقوية ممتلئة بالحيوية.

ضحكت هيذر: ولكن كانت لها أخطاؤها بالتأكيد، وأنا لي أخطائي كذلك.

- كانت أليسون ترى دائماً وجهة نظرها الخاصة بدرجة من الوضوح تجعلها لا ترى كيف يمكن أن تظهر الأمور في أعين الآخرين أو كيف تؤثر عليهم.

قال آرثر: كغلطتك في تلك المرة عندما آويت تلك العائلة التي تم إخلاؤها من كوخها الآيل للسقوط، ثم غادرتنا العائلة آخذة معها كل ملاعق الشاي التي نملكها! كانت ملاعق من العصر الجورجي توارثتها العائلة... كانت ملكاً لجدة والدتي.

- آه، أرجوك أن تنسى أمر تلك الملاعق يا آرثر. ما أكثر ما تذكر ذلك!

- أخشى أنني لا أُحسن النسيان.

نظرت الآنسة ماربل إليه متأملة. وسألت هيذر الآنسة ماربل باهتمام لطيف: كيف حال صديقتك الآن؟

سكتت الآنسة ماربل هنيهة قبل أن تجيب: أليسون وايلد؟ آه، لقد ماتت!

* * *

الفصل الثالث

قالت السيدة بانتري: أنا مسرورة بالعودة رغم أنني قضيت وقتاً ممتعاً بالطبع.

أومأت الآنسة ماربل متفهمة، وتناولت فنجان الشاي من يد صديقتها.

بعد وفاة زوجها الكولونيل بانتري قبل بضع سنوات باعت السيدة بانتري منزل غوسينغتن هول مع الأرض الكبيرة الملحقة به وأبقت لنفسها ما كان يُعرف باسم «الكوخ الشرقي»، وهو مبنى صغير جميل لكنه يعجّ بالنواقص لدرجة جعلت البستاني يرفض العيش فيه. وقد أضافت السيدة بانتري إلى الكوخ ضرورات الحياة العصرية: حماماً، ومطبخاً حديثاً، وتمديدات جديدة من الخط الرئيسي للمياه، وكهرباء. ورغم أن تكاليف ذلك كانت باهظة إلا أنها ليست كتكلفة الحياة في غوسينغتن هول. وكذلك فقد أبقت أيضاً على العناصر الأساسية لحياتها الخاصة وخصوصيتها وذلك بالإبقاء على حديقة مسوّرة بالأشجار مساحتها ثلاثة أرباع الفدان تقريباً، وشرحت ذلك بقولها: لن أقلق أو أغتمّ لما يفعلونه بمنزل غوسينغتن هول على الأقل.

كانت تقضي فترة طويلة كل عام خلال السنوات القليلة الماضية في زيارة أولادها وأحفادها في أماكن مختلفة من المعمورة، ثم تعود من وقت لآخر لتستمتع بعزلتها في بيتها الخاص.

وقد تعاقَبَ أكثر من واحد على امتلاك غوسينغتن هول نفسه: استُخدم مرة بيتاً للضيافة ولكن المشروع فشل، ثم اشتراه أربعة أشخاص وقسموه أربع شقق تقريباً ولكنهم اختلفوا فيما بينهم بعد ذلك. ولسبب غامض اشترته وزارة الصحة ولكنها عادت وتخلت عنه فباعته في النهاية.

وعن هذا البيع كانت الصديقتان تتحدثان. قالت الآنسة ماربل: سمعت عنه إشاعات.

قالت السيدة بانتري: أمر طبيعي، حتى لقد قالوا إن تشارلي شابلن وجميع أولاده سيأتون للعيش فيه! كان من شأن ذلك أن يكون ممتعاً حقاً، ولكن لسوء الحظ ليس في هذه الإشاعة كلمة واحدة صحيحة. إن التي اشترته هي مارينا غريغ بالتأكيد.

- كم كانت رائعة! أفلامها القديمة لا تُنسى أبداً، طائر السفر مع ذلك الممثل الوسيم جول روبرتس. وفِلم ماري ملكة اسكتلندا... وكذلك فِلمها العاطفي: خارج من حقول الزوان. لقد استمتعت به كثيراً... آه، لقد مضى على ذلك وقت طويل.

- بالتأكيد. لا بد أنها الآن... ماذا تظنين؟ أهي في الخامسة والأربعين أم في الخمسين؟

كانت الآنسة ماربل ترجح أنها أقرب إلى الخمسين.

- هل شاركت في أي فِلم مؤخراً؟ أنا لا أذهب إلى السينما كثيراً في هذه الأيام.

قالت السيدة بانتري: أعتقد أنها تشارك في أدوار صغيرة فقط. لقد فقدت بريقها منذ وقت طويل، وقد أصيبت بانهيار عصبي شديد بعد طلاقها من إحدى زيجاتها العديدة.

- ما أكثر ما يتزوجن! لا بد أن هذا الأمر مملّ حقّاً.

- أنا لا أحبذ ذلك، ما أن تقعي في حب رجل فتتزوجيه وتعتادي على تصرفاته وتستقري مرتاحة حتى تذهبي وتنهي كل شيء لتبدئي من جديد! إنه الجنون بعينه.

قالت الآنسة ماربل وهي تفتعل سعلة امرأة عزباء: لست خبيرة في هذا الموضوع؛ فأنا لم أتزوج أبداً... لكنه يبدو أمراً مؤسفاً.

- إن طبيعة الحياة التي يعشنها تحتّم عليهن ذلك؛ فحياتهن منفتحة جداً على الجمهور. لقد قابلت مارينا غريغ عندما كنت في كاليفورنيا.

سألتها الآنسة ماربل باهتمام: وكيف كانت؟

- فاتنة، طبيعية جداً ولم تفسدها الشهرة. ثم أضافت بعد تفكير قصير: إن الأمر أشبه بالزي الرسمي الموحد.

- ما هو؟

- كونها طبيعية لم تفسدها الشهرة. إنها تتعلم كيف تفعل ذلك

ثم تستمر في التصرف على هذا النحو طول الوقت. تصوري جحيم الحياة بهذا الشكل، أن لا تستطيعي رفض ما لا يعجبك ولا تستطيعي أن تقولي: "بربك توقف عن إزعاجي".

- لقد تزوجت خمسة رجال، أليس كذلك؟

- على الأقل كان لها زوج في بداية حياتها لم تكن له أهمية، ثم أمير أو كونت أجنبي، ثم نجم سينمائي أظنه روبرت تراسكوت، وقد ذاع وشاع آنذاك أنه زواج رومانسي كبير ولكنه لم يدم أكثر من أربع سنوات. ثم تزوجت الكاتب المسرحي إيزيدور رايت، وكان ذلك زواجاً جاداً وهادئاً وأنجبت منه طفلاً، وقد كان واضحاً أنها اشتاقت طويلاً لإنجاب طفل حتى لقد تبنّت بعض الأطفال المشردين. على أية حال كان ذلك هو الزواج الحقيقي الوحيد في حياتها، حيث أصبحت أمّاً. لكن تبين أن الطفل وُلد معتوهاً أو معاقاً، وقد أصيبت بانهيار عصبي على إثر ذلك وبدأت تتعاطى المخدرات وتتخلى عن أدوارها.

- يبدو أنك تَعرفين عنها الكثير.

- أمر طبيعي أن أهتم بها بعدما اشترت غوسينغتن. لقد تزوجت زوجها الحالي قبل سنتين، ويقولون إنها عادت ثانية على ما يرام. إنه منتج أو مخرج... أنا أخلط بينهما دائماً. كان يحبها عندما كانا شابين لكنه لم يكن مشهوراً كثيراً في تلك الأيام، وقد أصبح الآن كذلك. ما هو اسمه؟ جيسون... جيسون رَدْ... جيسون هَدْ؟ كلا، بل رَدْ. هذا هو اسمه الصحيح. اشتريا غوسينغتن لأنه قريب من... تردّدت ثم قالت: إيلستري؟

هزت الآنسة ماربل رأسها وقالت: لا أعتقد ذلك؛ إن إيلستري في شمالي لندن.

- إنها الأستوديوهات الجديدة في هيلينغفورث، هذا هو الصحيح. يبدو وكأنه اسم فنلندي. إنها تبعد ستة أميال عن ماركت بيسينغ، وأعتقد أن مارينا غريغ ستمثل فِلماً عن حياة إليزابيث ملكة النمسا.

- تعرفين الكثير عن الحياة الخاصة لممثلي السينما. هل عرفت كل ذلك في كاليفورنيا؟

- لا، لقد قرأتها في المجلات الغريبة التي أتصفّحها في صالون التجميل. معظم النجوم لا أعرف حتى أسماءهم، ولكنني اهتممت بهذا الأمر بعد أن اشترت مارينا غريغ وزوجها منزل غوسينغتن. إن ما تذكره هذه المجلات غريب حقاً، نصفه على الأقل غير صحيح، بل ربما يكون الصحيح فيه أقل من الربع. لا أصدّق أن مارينا غريغ تشرب الخمر أو تتعاطى المخدرات، ومن غير المستبعد أن تكون مسألة الانهيار العصبي مجرد رحلة قامت بها للراحة والاستجمام لا أكثر! ولكن الصحيح هو أنها ستأتي للعيش هنا.

- سمعت أنها ستأتي في الأسبوع القادم.

- بهذه السرعة؟ سمعت أنها أعارت منزل غوسينغتن لإقامة مهرجان كبير في الثالث والعشرين من هذا الشهر لمساعدة مستشفى سينت جون الميداني. أعتقد أنهم أجروا تعديلات كثيرة في البيت؟

- لقد قلبوه رأساً على عقب. كان أيسر لهم وأوفر لو أنهم هدموه وبنوا مكانه بيتاً جديداً!

- أظن أنهم أضافوا إليه حمّامات؟

- ستة حمّامات جديدة كما سمعت، وساحة احتفالات وحوض سباحة ونوافذ زجاجية ضخمة... لقد جعلوا مكتب زوجك والمكتبة قاعة واحدة للموسيقى.

- سيتقلب آرثر في قبره! تعرفين كيف كان يكره الموسيقى، فلم يكن له حس موسيقي أبداً. لو رأيتِ وجهه عندما أخذَنا صديق لطيف لحضور الأوبرا!

وسكتت ثم قالت فجأة: هل ألمح أحدٌ إلى أن غوسينغتن ربما كان مسكوناً بالأرواح؟

هزت الآنسة ماربل رأسها نافية وقالت بثقة: إنه ليس مسكوناً.

- لكن ذلك لن يمنع الناس من القول بأنه كان مسكوناً.

- لم يقل أحد ذلك. الناس ليسوا مغفلين، وخصوصاً أهالي القرى.

نظرت السيدة بانتري إليها سريعاً وقالت: إنك تقولين ذلك دائماً يا جين، ولن أقول بأنك لست على حق.

ابتسمت فجأة وقالت: لقد سألتني مارينا غريغ بلطف بالغ إن كان يؤلمني أن أرى بيتي القديم وقد سكنه الغرباء، وقد أكّدتُ لها

أن ذلك لا يزعجني أبداً. لا أعتقد أنها صدّقتني تماماً، ولكن تعلمين -يا جين- أن غوسينغتن لم يكن بيتنا. نحن لم نعش فيه فترة الطفولة، وهذا هو المهم في نظري... لم يكن أكثر من بيت نستخدمه للرماية وصيد الأسماك اشتريناه بعد أن تقاعد آرثر. أذكر أننا فكرنا فيه كبيت جميل وسهل الإدارة، ولا أستطيع أن أتخيل كيف تأتّى لنا أن نتصور ذلك بكل تلك السلالم والممرات؟! وأربعة خدم فقط! هكذا كانت أيامنا. ها، ها!

ثم أضافت فجأة: ما هذا الذي سمعته عن وقوعك على الأرض؟ كان على تلك الخادمة نايت أن لا تدعك تخرجين من البيت وحدك.

- المسكينة، لم تكن غلطتها. طلبت منها أن تشتري لي أشياء كثيرة ثم...

- تخلّصتِ منها عمداً؟ فهمت. ما كان عليك أن تفعلي ذلك يا جين، ليس وأنت في هذا العمر.

- كيف عرفت بهذا؟

ابتسمت السيدة بانتري: لا يمكنك الاحتفاظ بأي سر في سينت ماري ميد... كثيراً ما كنت تقولين هذا. السيدة ميفي أخبرتني بذلك.

- السيدة ميفي؟

- إنها تأتي كل يوم، وهي من منطقة التطوير.

- آه، التطوير!

وسكتت هنيهة، فسألتها السيدة بانتري بفضول: ماذا كنت تفعلين في التطوير؟

- كنت أريد رؤية المنطقة فقط، أحببت أن أرى أهلها وكيف يعيشون.

- وماذا كنت تظنينهم؟

- تماماً كأي شخص آخر، لا أدري إن كان هذا مخيباً للآمال أم مُطَمْئِناً.

- أحسب أنه مخيب للآمال.

- لا؛ بل أعتقد أنه مُطمئِن. إنه يجعلك تتعرفين إلى نوعيات معينة من الناس، فإذا ما حدث أي شيء فسيعرف المرء بالتأكيد لماذا حدث.

- أتقصدين جريمة قتل؟

بدت الآنسة ماربل مصدومة: لا أدري ما الذي جعلك تفترضين أنني أفكر بالجريمة طول الوقت؟

- هراء! أما آن لك أن تُظهري الحقيقة وتسمّي نفسك اختصاصيةً في علم الجريمة؟

- لست كذلك. كل ما في الأمر أن لديّ معرفةً حسنةً بالطبيعة البشرية، وهو أمر طبيعي بعدما قضيت حياتي كلها في قرية صغيرة.

قالت السيدة بانتري متأملة: قد تكونين مصيبة في هذا، لكن

معظم الناس قد لا يوافقونك الرأي. ابن أخيك ريموند كان يقول دائماً إن هذا القرية معزولة تماماً.

أجابت الآنسة ماربل: ريموند العزيز! كان دائماً كريماً جداً... إنه يدفع راتب الآنسة نايت.

ومع تحول مجرى الحديث إلى سلسلة أفكار جديدة نهضت من مجلسها وقالت: من الأفضل أن أعود الآن.

- هل جئت كل هذه المسافة مشياً على الأقدام؟

- طبعاً لا؛ لقد جئت بالإنش.

تفهمت المضيفة هذا اللفظ المبهم تفهماً كاملاً؛ ففي الأيام الخوالي كان السيد «إنش» يملك عربتَي أجرة كانتا تقفان عند محطة القطارات المحلية، وكانت سيدات القرية يستأجرن العربة للذهاب إلى حفلات الشاي، ومن حين لآخر للذهاب مع بناتهن إلى أماكن الترفيه. وفي الوقت المناسب سلّم إنش (وهو رجل مرح أحمر الوجه في السبعين من عمره تقريباً) عملَه إلى ولده المعروف باسم «إنش الصغير» (كان عمره خمسة وأربعين عاماً إذ ذاك)، ولكن العجوز «إنش» الذي ظل ينظر إلى ولده على أنه صغير جداً وغير قادر على تحمل المسؤولية استمر في قيادة العجائز بعربته.

وتماشياً مع العصر تخلّى إنش الصغير عن عربتَي الخيل واستبدل بهما سيارات أجرة، وبما أنه لم يكن ماهراً في الميكانيك فقد تولّى العمل عنه شخص يدعى باردويل، لكن اسم «إنش» بقي يُطلَق على السيارات. وحتى بعد أن باع السيد باردويل سياراته

إلى السيد روبرتس كان اسم «إنش لخدمات التاكسي» هو الاسم المستخدم رسمياً في دليل الهاتف، وقد بقيت سيدات المجتمع العجائز يقلن إنهن ذاهبات إلى هذا المكان أو ذاك بالإنش كناية عن ركوب سيارات الأجرة.

* * *

قالت الآنسة نايت مؤنّبة: جاء الدكتور هيدوك وأخبرته بأنك ذهبت لشرب الشاي عند السيدة بانتري، وقد قال إنه سيأتي ثانية في الغد.

ساعدت الآنسة ماربل على خلع معطفها ثم قالت بطريقة الاتهام: أظن أننا متعبتان الآن؟

قالت الآنسة ماربل: ربما أنت متعبة، أمّا أنا فلا.

قالت الآنسة نايت دون أن تلتفت إليها كالعادة: "تعالي واجلسي بجانب النار بحذر". ثم أضافت: وما رأيك في فنجان جميل من الكاكاو، أو شراب الحبوب من باب التغيير؟

شكرتها الآنسة ماربل وقالت إنها تفضّل كأساً صغيراً من عصير الكرز. تقبّلت ذلك على مضض، وبعد أن عادت ومعها الكأس قالت: لا أعرف ماذا سيقول الطبيب عن هذا.

- سنسأله عنه صباح الغد.

وفي الصباح استقبلت الآنسة نايت الدكتور هيدوك في الصالة

وأسرّت إليه ببعض الكلمات المنفعلة. ودخل الطبيب الكهل إلى الغرفة وهو يفرك يديه من برودة الجو في ذلك الصباح، فقالت الآنسة نايت بمرح: ها هو الطبيب قد جاء لزيارتنا. هل آخذ قفازاتك يا دكتور؟

قال هيدوك وهو يلقي بها على الطاولة دون مبالاة: ستكون على ما يرام هنا. إنه صباح قارس البرودة.

سألته الآنسة ماربل: هل لك بقليل من العصير؟

كان الدكتور هيدوك صديقاً قديماً جداً شبه متقاعد، لكنه كان يأتي للعناية ببعض مرضاه القدامى. وبعد أن شرب كأسه قال: سمعت أنك وقعت! هذا لا يناسب أبداً مَن هنّ في مثل سنّك. إنني أحذرك، وفوق ذلك فقد رفضت طلب سانفورد أن يأتي إليك.

كان سانفورد شريكاً لهيدوك.

- خادمتك الآنسة نايت طلبته على أية حال، وقد كانت مصيبة تماماً.

- لم أُصَبْ إلا ببعض الرضوض، وكنت أرتجف قليلاً... هكذا قال الدكتور سانفورد. كنت أستطيع الانتظار حتى تعود أنت.

- اسمعيني الآن يا عزيزتي. لن أستطيع الاستمرار في العمل إلى الأبد، واعلمي أن سانفورد يحمل مؤهلات أفضل من التي أحملها؛ إنه طبيب من الدرجة الأولى.

- كل الأطباء الصغار متشابهون: يقيسون ضغط دمك، ومهما

كان الذي شَكوتَ منه فإن له عندهم وصفات من الحبوب الجديدة المختلفة التي تُنتج بكميات تجارية هائلة، حبوب وردية وصفراء وبنية... إن الطب هذه الأيام مثل السوبرماركت: كل شيء معبأ في عبوات.

- ربما كنتِ تفضّلين أن أصف لك الحجامة أو النشوق الأسود، أو أن ألفّ صدرك بزيت الكافور!

قالت الآنسة ماربل بنشاط: أنا أفعل ذلك عندما أصاب بالسعال، وهو يريحني كثيراً.

قال الطبيب بلطف: إننا لا نحب التقدم بالعمر؛ هذا هو جوهر المشكلة. أنا أكره ذلك أيضاً.

- أنت في ريعان الشباب بالمقارنة معي! ليس التقدم بالعمر مشكلة بحد ذاته، بالنسبة لي على الأقل... لكن الذي يؤلمني هو المعاملة المهينة التي نلقاها.

- أظن أنني فهمت ما ترمين إليه.

- لا أستطيع أن أخلو بنفسي ولو لفترة قصيرة، لا أستطيع الخروج وحدي لبضع دقائق... حتى الحياكة التي كانت مصدر راحتي الدائمة، فأنا حائكة ماهرة حقاً، لكنني الآن أغفل عن بعض الغرزات كل مرة، وفي الغالب لا أعرف أنني قد أسقطتها.

نظر هيدوك إليها متأملاً، ثم طرفت عيناه وقال: يوجد دائماً النقيض.

- ماذا تقصد بهذا؟

- إذا كنت لا تستطيعين الحياكة فلماذا لا تنقضين غزلك من باب التغيير؟ كانت بينيلوب تفعل ذلك.

- ولكنني لست في مثل وضعها. تلك -في الأسطورة الإغريقية- كانت تغزل ثم تعودِ لنقض غزلها من جديد في انتظار حبيبها الغائب قتلاً للوقت.

- لكن نقض الغزل قريب من عملك نوعاً ما، أليس كذلك؟

نهض وقال: عليّ أن أذهب. ربما تكون جريمة قتل غامضة وممتعة خير دواء أصفه لحالتك.

- إن ما تقوله فظيع جداً!

- أليس فظيعاً بالفعل؟ إن بوسعك -على أية حال- أن تتدبري أمرك وتنفذي من ثقب إبرة، ولطالما تعجبت من ذلك. وهذا يُذكّرني بالعجوز الطيب هولمز... أظنه أصبح الآن قطعة أثرية ترمز إلى عهود خلت، ولكنه لن يُنسى أبداً.

دخلت الآنسة نايت بعد أن ذهب الطبيب وقالت: ها أنت تبدين أكثر بهجة. هل أوصاك الطبيب بتناول منشط ما؟

- لقد أوصاني بأن أشغل نفسي بجريمة قتل.

- تعنين قراءة قصة بوليسية جميلة؟

- لا، بل جريمة حقيقية!

صاحت الآنسة نايت: يا إلهي! ولكن من المستبعَد وقوع جريمة قتل في هذه المنطقة الهادئة.

- جرائم القتل يمكن أن تقع في أي مكان، وهي تقع بالفعل.

- ربما في منطقة التطوير؟ إن كثيراً من هؤلاء الشباب الأراذل يحملون السكاكين.

لكن جريمة القتل، عندما وقعت، لم تكن في منطقة التطوير.

* * *

الفصل الرابع

تراجعت السيدة بانتري مسافة قدم أو قدمين ونظرت إلى نفسها في المرآة وعدّلت قبعتها قليلاً (لم تكن معتادة على لبس القبعات)، ولبست قفازين من الجلد الفاخر وغادرت المنزل بعد أن أغلقت الباب وراءها بحرص. كانت تتطلع إلى ما ينتظرها بأكثر الآمال سعادة وبهجة. لقد مضت ثلاثة أسابيع على حديثها الأخير مع الآنسة ماربل، وقد وصلت مارينا غريغ وزوجها إلى غوسينغتن هول واستقرّا فيه تقريباً.

بعد ظهر اليوم سيقام لقاء للأشخاص الرئيسيين المشاركين في الإعداد للمهرجان الخيري لصالح مستشفى سينت جون الميداني. ورغم أن السيدة بانتري لم تكن ضمن لجنة الإعداد، فإنها تلقت رسالة من مارينا غريغ تطلب منها المجيء لتناول الشاي قبل اللقاء. وقد ذكرتها بلقائها معها في كاليفورنيا ووقعتها باسم: المحبة مارينا غريغ. كانت الرسالة مكتوبة بخط اليد لا بالآلة الكاتبة.

لا شك أن السيدة بانتري كانت تشعر بالزهو. كانت سعيدة كطفل أحاطه ذووه بعناية خاصة، فالسيدات في عمر الكهولة -رغم

ما قد يكون لهن من أهمية في المجتمع المحلي الصغير- لا نصيب لهنّ من الاهتمام في عالم المشاهير، ونجمة السينما المشهورة هي مَن هي، فأن تلقى هذه المعاملة الخاصة منها شيء يسعد حقاً.

وخلال تقدمها على الممشى الترابي كانت السيدة بانتري تنقل عينيها الحاذقتين من ناحية إلى أخرى تسجل انطباعاتها؛ لقد تأنق المكان وأصبح جميلاً بعد أن تغير مالكوه. وقالت السيدة بانتري تحدث نفسها وتومئ برأسها راضية: لم يبخلوا بأي مال في سبيل تجميله.

لم يكن الممشى ليعطي إطلالة على حديقة الزهور، وكان ذلك أيضاً مدعاة لسرور السيدة بانتري؛ فقد كانت حديقة الزهور والمناطق العشبية المحيطة بها مصدرَ بهجتها في الأيام الخوالي عندما كانت تعيش في غوسينغتن هول، وأحست بشيء من الندم والحنين إلى الماضي وهي تتذكر أزهار السوسن في حديقتها. قالت تحدث نفسها مزهوة: كانت أفضل حديقة سوسن في البلاد.

وقفت عند باب جديد طُلي حديثاً وضغطت على زر الجرس، ففتح البابَ خادمٌ إيطالي (على ما يبدو) جاء مسرعاً ومرحّباً، وقد قادها مباشرة إلى غرفة كانت -فيما مضى- مكتبة الكولونيل بانتري، وقد أصبحت هذه الغرفة غرفة واحدة مع المكتب كما سمعت من قبل.

كان المنظر يدعو للإعجاب: كانت الجدران قد غُلِّفت بالخشب، وكذلك أرضية الغرفة، وقد وُضِع عند أحد طرفَي الغرفة جهاز بيانو ضخم، وفي وسط الجدار جهاز تسجيل رائع. وفي الطرف

الآخر من الغرفة كانت توجد جزيرة صغيرة (إذا صح التعبير) مؤلفة من سجاد عجمي وطاولة شاي وبعض الكراسي. وقرب طاولة الشاي كانت مارينا غريغ جالسة، وقريباً منها جلس مستنداً بظهره إلى رف الموقد ما اعتقدت السيدة بانتري لأول وهلة أنه أبشع رجل رأته.

قبل أن تقرع السيدة بانتري جرس الباب ببضع لحظات فقط كانت مارينا غريغ تقول لزوجها بصوت ناعم متحمس: هذا المكان يروق لي جداً يا جينكس... هذا ما كنت أريده دائماً: الهدوء الإنكليزي والريف الإنكليزي. يمكنني أن أعيش هنا طول حياتي إذا لزم الأمر... سوف نعيش على الطريقة الإنكليزية، سنشرب الشاي الصيني عصر كل يوم في طقم الشاي الفاخر الذي أملكه، وسنمتع ناظرينا بمنظر المروج العشبية الرائعة التي تشرف عليها هذه النافذة. لقد وصلت إلى وطني أخيراً، هذا ما أشعر به! أشعر أن بإمكاني أن أحيا هنا حياة استقرار هادئة وسعيدة... سيكون هذا المكان هو بيتي، بيتي بكل ما في الكلمة من معنى.

ابتسم جيسن رَدْ (الذي تدعوه زوجته باسم جينكس) ابتسامة إذعان وتساهل تنطوي على كثير من التحفظ، ذلك أنه قد سمع مثل هذا الكلام مراراً من قبل. قد تكون كلماتها صحيحة هذه المرة، وقد يكون هذا هو المكان الذي يمكن أن تشعر مارينا غريغ فيه بالاستقرار، ولكنه كان يعرف حماساتها السابقة معرفة تامة. كانت دوماً واثقة بأنها وجدت أخيراً ما كانت تريده بالضبط. قال بصوته الرخيم: هذا عظيم يا حبيبتي، هذا عظيم. أنا مسرور لأنه أعجبك.

- أعجبني؟ إنني أعشقه. ألا تعشقه أنت أيضاً؟

- بالتأكيد، بالتأكيد.

فكّر في نفسه: ليس سيئاً على الأقل، ورغم أنه على الطراز الفكتوري القبيح إلا أنه مبني بناء جيداً وقوياً، إنه يهب الإنسان شعوراً بالمتانة والأمن. والآن بعد أن أزيلت جميع الأشياء الغريبة وغير المناسبة منه فسيكون العيش فيه مريحاً إلى حد معقول، ومن الممكن أن يعود المرء إليه من وقت لآخر. ولو كان محظوظاً فإن مارينا لن تبدأ بكراهيته إلاّ بعد سنتين أو سنتين ونصف تقريباً... كل هذا يعتمد على الظروف.

قالت مارينا وهي تتنهد: أليس رائعاً أن أشعر بأنني على ما يرام؛ متعافية وقوية وقادرة على التعايش مع الأمور؟

ردّ قائلاً: بالتأكيد يا حبيبتي، بالتأكيد.

كان الاثنان قد وصلا إلى هذه النقطة عندما فتح الخادم الإيطالي الباب للسيدة بانتري وقادها إلى الداخل.

كان ترحيب مارينا غريغ بها حاراً: أقبلت عليها فاتحة ذراعيها وهي تُعبّر عن سعادتها بلقاء السيدة بانتري ثانية، كما أعربت عن دهشتها من المصادفة السعيدة التي جمعتهما في سان فرانسيسكو ثم لتأتي بعد سنتين وتشتري هي وجينكس البيت الذي كانت تملكه السيدة بانتري ذات يوم. وقد أعربت عن أملها، أملها الصادق، بأن لا تكون السيدة بانتري قد تضايقت من الحال التي آل إليها البيت ومن التعديلات الكثيرة التي أُجريت عليه، كما أعربت عن أملها أن لا تكون قد شعرت بأنهم متطفلون جاؤوا للعيش هنا.

ردت السيدة بانتري عليها مبتهجة وهي تنظر صوب الموقد: إن قدومك للعيش هنا من أروع الأحداث التي جرت لهذا المكان.

قالت مارينا غريغ مستدركة: أنت لا تعرفين زوجي، أليس كذلك؟ جيسن، هذه هي السيدة بانتري.

نظرت السيدة بانتري إلى جيسن رَدْ ببعض الاهتمام وتعدّل قليلاً انطباعها الأول بأن هذا الرجل كان أبشع رجل رأته على الإطلاق. كانت عيناه مثيرتين للاهتمام، كانتا غائرتين في رأسه بعمق أكثر من عينَي أي رجل آخر رأته، كأنهما حوضان عميقان وهادئان.

حدثت السيدة بانتري نفسها بذلك وقد سرت في جسدها روحُ رواية رومانسية، أمّا بقية وجهه فكان مليئاً بالأخاديد التي تدعو للضحك لعدم تناسبها. كان أنفه بارزاً إلى أعلى، وكان يمكن لقليل من الطلاء الأحمر أن يحوله إلى أنف مهرج بسهولة تامة! وكذلك كان له ما للمهرج من فم كبير حزين. لم تعرف إن كان في تلك اللحظة في مزاج غاضب أم أنه يبدو دائماً وكأنه في مزاج غاضب... وعلى النقيض من ذلك كله كان صوته -عندما تكلم- لطيفاً بشكلٍ غير متوقع، كان صوتاً رخيماً وبطيئاً.

قال: الزوج آخر من يُذكر! يسرني وزوجتي أن تكوني موجودة معنا، وأرجو أن لا تشعري بأن العكس هو ما كان يجب أن يكون، فأنت لست ضيفة هنا.

قالت السيدة بانتري: ينبغي أن تُخرِجَ من رأسك ذلك الانطباع القائل بأنني أُخرجت من بيتي القديم كُرهاً؛ فهو لم يكن البيت الذي

ترعرعت فيه. لقد كنت أهنئ نفسي منذ أن قمت ببيعه؛ فهو لم يكن مناسباً لي على الأقل. نعم، أحببت الحديقة، لكن البيت أصبح أكثر إزعاجاً. ولقد استمتعت بحياتي تماماً منذ أن بعته وبدأت السفر إلى الخارج والذهاب لرؤية بناتي المتزوجات وأحفادي وأصدقائي في جميع أنحاء العالم.

قالت مارينا غريغ: بنات؟ هل لك بنات وأبناء؟

- ولدان وبنتان متفرقون في أرجاء المعمورة، واحد في كينيا وواحد في جنوب أفريقيا وواحد قرب تكساس، أما الأخير ففي لندن والحمد لله.

- أربعة، والأحفاد؟

- تسعة حتى الآن، ما أحلى أن تكوني جدّة! تستمتعين بتدليل الأطفال كما تشائين دون أن تشعري بمسؤولية الأمومة المباشرة...

قاطعها جيسن رَدْ: أخشى أن تكون الشمس في عينيك. قالها ثم ذهب إلى النافذة ليغلق الستارة، ثم قال وهو يعود إلى مكانه: عليك أن تحدّثينا عن كل شيء في هذه القرية الجميلة.

وقدّم لها فنجان شاي، ثم أردف قائلاً: هل تأكلين كعكة حارة أم شطيرة؟ لدينا طاهية إيطالية تصنع فطائر وكعكاً لذيذاً، لقد اعتدنا فعلاً على شاي العصر وهي عادة إنكليزية عندكم.

قالت السيدة بانتري وهي ترشف الشاي المعطر: شاي لذيذ أيضاً.

ابتسمت مارينا غريغ وبدت مسرورة، وسكنت أصابعها التي لاحظ جيسن رَدْ قبل دقائق أنها ترتجف بعصبية. ونظرت السيدة بانتري إلى مضيفتها بإعجاب كبير. لقد بلغت مارينا غريغ أوج شهرتها في وقت لم تكن فيه قياسات جسم المرأة قد بلغت هذه الأهمية الفائقة؛ كانت طويلة ونحيفة ممشوقة القوام، وكانت تقاطيع وجهها ورأسها بالغة الجمال. ومثل كثير من ممثلات السينما والمسرح كانت تملك ما بدا أنه قدرة على تغيير شخصيتها ساعة تشاء؛ فتستطيع أن تكون على طبيعتها أو أن تبدو هادئة لطيفة محايدة، أو مخيبة لآمال معجب متلهف، وفجأة تلتفت برأسها وتحرك يديها وتبتسم فتسحر الناظرين...

كان فِلم «ماري ملكة أسكتلندا» واحداً من أفلامها الخالدة. وتذكرت السيدة بانتري -وهي تنظر إليها- دورَها في ذلك الفلم. ثم انتقلت عيناها إلى الزوج، كان هو الآخر يراقب مارينا، وفي غفلة منه، عبّر وجهه عن أحاسيسه بوضوح. قالت السيدة بانتري تحدث نفسها: يا إلهي، إن الرجل يهيم بها جداً!

لم تستطع أن تفسر سبب إحساسها بالدهشة، ربما لأن غراميات نجوم السينما وقصصهم قد استُهلكت لكثرة ما تُنشر في الصحف وأن المرء لا يتوقع رؤية قصة حقيقية منها رأي العين.

وفجأة قالت: أتمنى من كل قلبي أن تستمتعا بالسكن هنا وأن تقيما لفترة طويلة. هل تتوقعان العيش هنا لفترة طويلة؟

فتحت مارينا عينيها من الدهشة وهي تلتفت برأسها وقالت: أريد أن أستقر هنا دائماً. آه، لا أقصد أنني لن أسافر كثيراً... سوف

أسافر بالطبع. ربما أشارك في فِلم في شمال أفريقيا السنة القادمة... لم نستقر على رأي بعد، إنما سيكون هذا بيتي الذي أرجع إليه، سأعود دوماً إلى هذا المكان.

تنهدت ثم قالت: شيء رائع أن يجد الإنسان مكاناً يستقرّ فيه في خاتمة المطاف.

قالت السيدة بانتري: "فهمت". ولكنها كانت تقول في نفسها: رغم كل ذلك لا أستطيع أن أصدق -ولو للحظة واحدة- أنك من ذلك النوع الذي يمكنه أن يستقرّ فعلاً.

واختلست نظرة أخرى إلى جيسن رَدْ. لم يكن عابساً، بل كانت على وجهه ابتسامة لطيفة حزينة غير متوقعة. وفكرت السيدة بانتري في نفسها قائلة: إنه يعرف أيضاً أنها ليست من ذلك النوع.

فُتح الباب ودخلت امرأة فقالت: عائلة بارتليف تريدك على الهاتف يا جيسن.

- اطلبي منهم أن يتصلوا فيما بعد؟

- قالوا إن الأمر عاجل.

تنهد وهو ينهض قائلاً: أعرّفك إلى السيدة بانتري. إيلا زيلنسكي، سكرتيرتي.

قالت مارينا بعد أن حيّت إيلا زيلنسكي السيدة بانتري بابتسامة منها: خذي فنجاناً من الشاي يا إيلا.

قالت إيلا: سآخذ شطيرة، لا أحب الشاي الصيني.

كانت إيلا زيلنسكي في الخامسة والثلاثين تقريباً، ذات شعر أسود قصير وجبهة عريضة، ظاهرة الثقة بالنفس وتلبس بدلة أنيقة وبلوزة مزينة بالكشكش.

قالت تخاطب السيدة بانتري: علمتُ أنك كنت تعيشين هنا.

- منذ سنوات طويلة مضت. لقد بعت البيت بعد وفاة زوجي، ثم تناقله عدة مالكين بعد ذلك.

قالت مارينا: السيدة بانتري تقول إنها لم تنزعج بسبب التعديلات التي أجريناها على البيت.

قالت السيدة بانتري: لو لم تفعلوها لخاب أملي كثيراً. لقد جئت إلى هنا وكلي لهفة، ويوسعني أن أخبركم أن شائعات رائعة كانت تدور في القرية.

قالت الآنسة زيلنسكي بلهجة عملية وهي تقضم الشطيرة: لم أكن أعرف أبداً مدى صعوبة الحصول على تمديدات صحية في هذا البلد، مع أن ذلك لم يكن عملي في الواقع.

قالت مارينا: كل الأمور من عملك؛ الشؤون المنزلية والتمديدات الصحية ومناقشة عمال البناء... أنت تعرفين ذلك. يبدو أنهم لم يسمعوا أبداً عن النوافذ العريضة في هذا البلد.

نظرت إيلا صوب النافذة: حقاً إنه منظر جميل.

قالت مارينا: منظر ريفي جميل على الطراز الإنكليزي القديم. هذا البيت له جو خاص.

قالت إيلا: لم يكن ليبدو ريفياً لولا هذه الأشجار. ذلك المشروع السكني هناك ينمو بسرعة عجيبة.

قالت السيدة بانتري: إنه جديد ولم يكن في زماننا.

- تقصدين أنه لم يكن سوى هذه القرية عندما كنت تعيشين هنا.

أومأت السيدة بانتري برأسها أن نعم.

- لا بد أنك كنت تجدين عناء في التسوق

قالت السيدة بانتري: أبداً، لقد كان ذلك سهلاً للغاية.

قالت إيلا زيليتسكي: أنا أفهم معنى وجود حديقة أزهار، لكن يبدو أن قومك هنا يزرعون جميع الخضروات أيضاً. من الأسهل لهم شراؤها! ألا يوجد سوبرماركت هنا؟

قالت السيدة بانتري وهي تتنهد: لقد أصبح لدينا سوبرماركت، ولكن لخضار البيت طعماً مختلفاً.

قالت مارينا: لا تفسدي علينا الجلسة يا إيلا.

فُتح الباب وأطلّ جيسن منه وقال يخاطب مارينا: حبيبتي، هل لي بلحظات من وقتك؟ يريدون رأيك الخاص في هذا الأمر.

تنهدت مارينا ونهضت من مكانها، ثم سارت نحو الباب بخطوات متثاقلة وهمست: هناك دائماً شيء ما... أنا آسفة جداً يا سيدة بانتري، لا أعتقد أن ذلك سيستغرق أكثر من بضع دقائق.

قالت إيلا بعد أن خرجت مارينا وأغلقت الباب وراءها: هل تظنين أن البيت يوحي بجو خاص؟

قالت السيدة بانتري: لم أفكر في الأمر على هذا النحو، كان مجرد بيت... غير مناسب من نواح معينة وجميل جداً ومريح من نواح أخرى.

- هذا ما كان عليّ أن أفكر فيه.

نظرت إلى السيدة بانتري نظرة مباشرة سريعة وقالت: بمناسبة الحديث عن الجو الخاص، متى وقعت جريمة القتل هنا؟

- لم تقع جريمة قتل هنا أبداً.

- آه، هيّا قولي! والقصص التي سمعتها؟ هناك دوماً قصص تدور يا سيدة بانتري. على سجادة الموقد، هناك تماماً، أليس كذلك؟

قالتها إيلا وهي تشير برأسها إلى الموقد، فقالت السيدة بانتري: بلى، ذلك هو المكان.

- إذن فقد وقعت جريمة قتل هنا؟

هزت السيدة بانتري رأسها بالنفي وقالت: جريمة القتل لم تقع هنا. الفتاة التي قُتلت أُحضرت جثتها إلى هنا ووضعت في هذه الغرفة، ولم تكن لنا أي علاقة بها.

بدا الاهتمام على الآنسة زيلنسكي وقالت: ربما وجدتم بعض الصعوبة في حمل الناس على تصديق هذا الأمر؟

- فعلاً، هذا ما حصل.

- ومتى وجدتموها؟

- دخلت الخادمة في الصباح الباكر ومعها الشاي... كان عندنا في البيت خادمات وقتها كما تعلمين.

- أعرف، وكنّ يلبسن أثواباً مُطبَّعة تصدر حفيفاً عند المشي.

- لا أذكر، ربما كن يلبسن صداري في ذلك الوقت. المهم أنها جاءت مسرعة وقالت إن في المكتبة جثة. قلت: هذا هراء! ثم أيقظت زوجي ونزلنا لنرى.

- وهناك وجدتم الجثة. يا إلهي! كيف تحدث هذه الأمور؟

وأدارت رأسها نحو الباب بحدة ثم التفتت إلى محدثتها ثانية قائلة: أرجو أن لا تتحدثي في هذا الأمر مع مارينا، فمثل هذه الأشياء تضرها.

قالت السيدة بانتري: لن أنبس ببنت شفة طبعاً. لقد مضى على ذلك زمن طويل، لكنها ستسمع به من غيري بالتأكيد.

- إنها لا تتصل كثيراً بعالم الواقع؛ فبوسع نجوم السينما أن يحيوا حياة منعزلة تماماً، ونحن نحرص كثيراً على بقائهم في هذه العزلة، إذ غالباً ما تكون الأحداث مصدر قلق لهم. لقد كانت مريضة

جداً في السنتين الماضيتين ولم تبدأ حالتها بالتحسن إلا في العام الماضي.

- يبدو أنها أحبت البيت وشعرت أنها ستكون سعيدة هنا.

- سيدوم هذا لسنة أو سنتين على الأكثر.

- هل سيطول أكثر؟

- لا أظن. إن مارينا واحدة من هؤلاء الذين يعتقدون دائماً أنهم وجدوا ضالتهم المنشودة. ولكن الحياة ليست بهذه السهولة، أليس كذلك؟

قالت السيدة بانتري مضطرة: بلى، ليست كذلك.

- سيعني له الكثير لو عاشت هنا سعيدة.

التهمت شطيرتين أخريين بنهم حيث حشتهما في فمها بسرعة وكأنها تأخرت عن موعد مهم، وتابعت حديثها: إنه عبقري. هل رأيت أياً من أفلامه التي أخرجها؟

وشعرت السيدة بانتري بشيء من الحرج. كانت من ذلك النوع الذي يهتم عند ذهابه إلى السينما بالفِلم نفسه دونما التفات إلى قائمة المخرجين والمنتجين والمصورين وغيرهم، بل كانت في كثير من الأحيان لا تهتم بأسماء النجوم أنفسهم، لكنها لم ترد أن تظهر ذلك. قالت: لقد اختلط الأمر عليّ.

- إن لديه -بالطبع- الكثير من المصاعب التي عليه أن يغالبها. لقد فاز بها وبكل الأمور الأخرى، إلا أنها ليست بسيطة، عليه أن

يبقيها سعيدة دائماً، وهذا ليس بالأمر السهل أبداً. آه، مارينا ليست سهلة الإرضاء؛ فعواطفها لا تعرف الاعتدال... في لحظة تكون سعيدة جداً وراضية عن كل شيء ومبتهجة من كل شيء وتحس بأن العالم كله رائع جداً، ثم يحدث أمر بسيط فتنقلب كل أمورها وتصبح على العكس تماماً.

- أحسب أن هذا يسمّى مزاجاً متقلباً.

- فعلاً، مزاج متقلب. وهو موجود بدرجة أو بأخرى لدى جميع العاملين بالفن، لكن مارينا غريغ بالذات ذات مزاج شديد التقلب، لا يمكنك التنبؤ عمّا سيحصل معها أبداً. لو تسمعين قصص تقلباتها!

أكلت آخر شطيرة ثم قالت: الحمد لله أنني سكرتيرة لأغراض المناسبات الاجتماعية فقط.

* * *

الفصل الخامس

كان عدد الذين حضروا حفل افتتاح المهرجان في غوسينغتن هول الذي أُقيم لصالح مستشفى سينت جون الميداني كبيراً لدرجة لم يسبق لها مثيل، وقد شكلت الأجور الرمزية للدخول مبلغاً ضخماً. وكان للجو الرائع أثر كبير في ذلك، لكن أكبر عنصر جذب الناس كان -بلا شك- هو الفضول لمعرفة ما فعله أهل السينما هؤلاء بمنزل غوسينغتن هول. وقد وجد أهل القرية أن ما حدث في المنزل يفوق أكثر توقعاتهم إفراطاً، وأثارت بركة السباحة بالتحديد إعجاب الناس الشديد. كان حوض السباحة مثلما تخيله الجميع تماماً: كبيراً ذا ماء أزرق، وكان محاطاً بأسيجة وأسوار مزروعة بالنباتات والأشجار. وكذلك كانت ردود فعل الحاضرين كما كان متوقعاً لها بالضبط، وتوزعت في ملاحظات عديدة: آه، إنه رائع... الغطسة هنا تكلف مبلغاً كبيراً بالتأكيد!... إنه يذكّرني بتلك العطلة التي قضيتها في المخيم... هذا تبذير كافر! ما كان يجب أن يُسمح لهم بذلك... انظر إلى هذا الرخام الرائع، لا بد أنه كلفهم أموالاً طائلة... لا أفهم لماذا يأتي هؤلاء الناس إلى هنا ويبذّرون كل هذه الأموال كما يحلو لهم... ربما يعرض هذا في التلفاز يوماً ما، سيكون ذلك ممتعاً...

حتى السيد بامبسُن، أكبر رجل في سينت ميري ميد والذي كان يتباهى بأنه في السادسة والتسعين من عمره رغم أن أقاربه يؤكدون أنه لم يتجاوز السادسة والثمانين، حتى هو جاء يتهادى مستنداً على عكازه لكي يرى هذا الحدث المثير.

أثارت تسلية ما بعد الظهر استحسان الجميع؛ فقد سُمح للناس بدخول البيت مقابل دفع شلن إضافي حتى يروا غرفة الموسيقى الجديدة وغرفة الاستقبال وغرفة الطعام التي تغيرت كثيراً بعد أن جُهّزت بطقم من البلوط الداكن والجلد الإسباني، بالإضافة إلى بعض الأشياء الأخرى المفرحة.

قالت كنّة السيد سامبسُن: هل هذا فعلاً هو ما كان يسمى «غوسينغتن هول»؟

وصلت السيدة بانتري متأخرة كثيراً، وسرّها جداً أن الأموال التي جُمعت تبعث على الرضا وأن عدد الحاضرين كبير.

وكان الفسطاط الكبير الذي يقدَّم فيه الشاي مكتظاً بالناس، وتمنت السيدة بانتري أن يدوروا بالكعك على الصفوف، حيث يبدو أن اللاتي تولّين هذا العمل نساء قديرات. أما هي فقد شقت طريقها بين الجموع ووقفت تنظر إلى السياج الشجري بعين الغبطة؛ فقد سرّها كثيراً أن ترى أنهم لم يوفروا مالاً في زراعة السياج الشجري. كان سياجاً جميلاً مخططاً بإتقان ومرتباً ومزروعاً بكثافة، وكانت متأكدة أن السياج لم تنظمه جهود فردية، ولا شك في أن شركة زراعية محترمة هي التي تولت ذلك. لا شك أن حرية التصرف التي

مُنحت لهم مع هذا الجو اللطيف كان لها دورٌ فعّال في هذا العمل الرائع.

أحست وهي تنظر حولها وكأنها في حفلة في حديقة قصر بكنغهام. الجميع كانوا يتدافعون لرؤية ما يمكنهم رؤيته، ومن حين لآخر كان يتم اختيار بعض الأشخاص لرؤية أحد الأماكن الخفية من البيت.

واقترب منها شاب ممشوق القوام ذو شعر طويل متموج وقال: السيدة بانتري؟ أأنت السيدة بانتري؟

- نعم.

- اسمي هيلي بريستون، وأنا أعمل مع السيد رَدْ. هلاّ جئت إلى الطابق الثاني؟ السيد رَدْ وزوجته دعوا بعض الأصدقاء المقربين إلى هناك.

تبعته السيدة بانتري وهي تشعر بالفخر، ودخلا من مكان كان يدعى في زمانها «باب الحديقة» حيث صعدت الدرج الرئيسي بعد أن فكّ لها الحبل الأحمر المضروب أسفله.

ولاحظت السيدة بانتري أمامها مباشرة عضو المجلس السيد ألكوك وزوجته البدينة التي قالت وهي تلهث: أليس رائعاً ما فعلوه هنا يا سيدة بانتري؟ أريد أن أرى الحمامات لكن قد لا تسنح لي فرصة لرؤيتها.

كانت مارينا غريغ وجيسن رَدْ يستقبلان هذه النخبة المختارة

عند أعلى الدرج. وكان الممر العلوي للدرج قد أصبح بمثابة ردهة واسعة بعد أن أُلغيت غرفة النوم الاحتياطية السابقة. وتولى الخادم غوسيب تقديم الشراب، وكان هناك رجل بدين يلبس بزة رسمية يقوم بالإعلان عن وصول الضيوف. صاح: السيد ألكوك عضو المجلس وزوجته.

كانت مارينا غريغ كما وصفتها السيدة بانتري للآنسة ماربل؛ طبيعية تماماً وفاتنة. وسمعت السيدة ألكوك تقول فيما بعد: كما أن الشهرة لم تفسدها.

أعربت مارينا عن سعادتها لأن السيدة ألكوك قد جاءت وعضو المجلس أيضاً وتمنت لهما قضاء يوم جميل، ثم التفتت إلى السيدة بانتري مُرحِّبة: آه سيدة بانتري، جميل منك أن تأتي.

- ما كنت لأدع هذا يفوتني مهما كلّف الأمر.

انتقلت السيدة بانتري إلى طاولة الضيافة حيث قام الشاب هيلي بريستون على خدمتها بطريقة لطيفة، ثم غادرها على عجل وهو يقرأ قائمة صغيرة كانت في يده لكي يحضر -فيما يبدو- المزيد من النخبة المختارة.

حملت السيدة بانتري كأس العصير بيدها وهي ترقب القادمين الجدد، وحدثت نفسها بأن كل شيء يسير بشكل ممتاز. بدا الكاهن مرتبكاً قليلاً، وقال مخاطباً مارينا غريغ بجدية: جميل منك أن تدعوني. ليس عندي تلفاز، ولكن... ولكن الصغار يبقونني دوماً على اطلاع بأحدث المستجدات.

لم يفهم أحد قصده، وتقدمت الآنسة زيلنسكي، التي كانت تقوم بعملها هي الأخرى، وقدمت له كأساً من الليمون وهي تبتسم في وجهه ابتسامة لطيفة.

بعد ذلك وصل السيد بادكوك وزوجته التي تقدمته قليلاً فَرِحة محمرّة الوجنتين. وصاح الرجل ذو البزة الرسمية: السيد بادكوك وزوجته.

قال الكاهن وهو يلتفت إلى الوراء وكأس الليمون في يده: السيدة بادكوك سكرتيرة جمعية المستشفى التي لا تعرف التعب. إنها واحدة من أنشط موظفينا، وفي الواقع لا أعرف ماذا يمكن أن يفعل مستشفى سينت جون من غيرها.

قالت مارينا: أنا واثقة أنك امرأة رائعة.

قالت هيذر مداعبة: لا أحسبك تذكرينني. كيف يمكنك ذلك وأنت تقابلين المئات من الناس؟ لقد التقينا قبل سنوات في برمودا، كنت هناك مع إحدى وحدات مستشفانا الميداني. آه، كان ذلك منذ وقت طويل.

قالت مارينا وهي تتألق مرة أخرى سحراً وابتسامات: بالتأكيد.

- أذكر هذا جيداً، لقد كنتُ مذهولة من رؤيتك، مذهولة تماماً. كنت فتاة صغيرة في ذلك الوقت، ولم أصدق أن لديّ فرصة لرؤية مارينا غريغ على الطبيعة. آه، لقد كنت دوماً معجبة بك بجنون.

قالت مارينا بلطف وقد بدأت عيناها تنظران وراء هيذر نحو القادمين الجدد: هذا لطف منك، إنه لطف كبير.

قالت هيذر: لن أعطلك، ولكن يجب أن...

قالت السيدة بانتري في نفسها: مسكينة مارينا غريغ؛ ما أكثر ما تمر عليهن مثل هذه المواقف. يا لصبرهن!

لهثت السيدة ألكوك قائلة من فوق كتف السيدة بانتري: يا لها من تغييرات عظيمة هذه التي قاموا بها هنا! شيء لا يصدق، لا بد أنه كلّف مبالغ طائلة.

أما هيذر فكانت تواصل قصتها بعزم لا يلين: يومها... لم أشعر بالمرض... ورأيت أنني يجب أن... قلت في نفسي: لن أُهزَم... وضعت كثيراً من المساحيق على وجهي...

واستمرت السيدة بانتري في سماع خطبة هيذر بادكوك المبتهجة: لم أنسَ أبداً كيف كنتِ رائعة ذلك اليوم، كان لقاؤك لا يقدَّر بثمن.

لم تكن استجابة مارينا هذه المرة آنيّة. كان واضحاً أن عينيها اللتين كانتا تحومان وراء هيذر بادكوك قد تركّزتا الآن على الحائط في وسط الدرج، ومضت تحدّق وقد صارت ملامح وجهها غامضة، مما جعل السيدة بانتري تتقدم إلى الأمام خطوة... أهي على وشك الإغماء؟ ترى ما الذي رأته فجعلها تنظر بتلك الطريقة الرهيبة؟ وقبل أن تصل إلى جهة مارينا كانت الأخيرة قد عادت طبيعية تماماً وعادت عيناها الغامضتان الغائمتان لتركّزا على هيذر، وعاد إليها ثانية سحر

أسلوبها وإن كان آلياً بعض الشيء: يا لها من قصة لطيفة. والآن ماذا تشربين؟

- أنا أشرب عادة عصير الليمون أو البرتقال.

قال جيسن بعد أن جاء يحمل كأسين في يده: أنصحك بأن تجرّبي عصير الفاكهة المشكلة الطبيعي، إنه شراب مارينا المفضل أيضاً.

قدّم كأساً منهما لزوجته، فقالت مارينا: لقد اكتفيت، شربت عدة مرات.

لكنها قبلت الكأس، أما هيذر فأخذت كأسها على الفور. ثم التفتت مارينا لتحية الشخص الذي وصل لتوه.

قالت السيدة بانتري للسيدة ألكوك: تعالي لنرى الحمّامات.

- آه، معقول؟ أليس هذا تصرفاً سيئاً؟

- أبداً.

استأذنت السيدة بانتري جيسن رَدْ: هل لنا في رؤية حمّاماتكم الجديدة يا سيد رَدْ؟ إنه نوع من الفضول الشخصي.

قال جيسن مبتسماً: بالتأكيد، ومتّعا نفسيكما... استحمّا إن شئتما!

تبعت السيدة ألكوك السيدة بانتري في الممر قائلة: كان ذلك لطفاً كبيراً منك، أنا شخصياً ما كنت لأجرؤ على ذلك.

- على المرء أن يمتلك الجرأة إن كان يريد الذهاب إلى أي مكان.

وفي الممر أخذتا بفتح الأبواب المختلفة حيث سُمعت صيحات الإعجاب من السيدة ألكوك ومن امرأتين غيرها كانتا قد انضمتا إليهما. قالت السيدة ألكوك: ما أجمل ذلك اللون الوردي! آه، أحب ذلك الوردي كثيراً.

قالت واحدة من الأخريات: أنا أحب الحمام الذي فيه بلاط على شكل صور الدّلفين.

قامت السيدة بانتري بلعب دور المضيفة باستمتاع كامل، وقد نسيت حقاً -للحظات- أن البيت لم يعد ملكاً لها.

قالت واحدة من النساء بحزن: سيكون جميلاً لو أننا ألقينا نظرة خاطفة على غرف النوم، لكني أعتقد أن هذا سيكون تطفلاً. ما رأيكن؟

قالت السيدة ألكوك: آه، هذا غير ممكن.

ونظرت الاثنتان إلى السيدة بانتري على أمل، فقالت السيدة بانتري: لا، أعتقد أننا يجب أن لا نفعل ذلك.

ثم أحست بالشفقة عليهن: ولكن، لا أعتقد أن أحداً يمكن أن يعرف أننا ألقينا نظرة خاطفة واحدة.

وضعت يدها على مقبض أحد الأبواب. آه، لقد أخذوا ذلك

بالحسبان؛ كانت غرف النوم مقفلة. خاب ظن الجميع وقالت السيدة بانتري بلطف: من حقهم أن تكون لهم بعض الخصوصيات.

ثم عذن أدراجهن إلى الممر. نظرت السيدة بانتري من أحد نوافذ الردهة فلاحظت أسفل منها السيدة ميفي من منطقة التطوير. كانت أنيقة إلى أبعد الحدود في ثوبها المزركش، وكانت بصحبتها شيري خادمة الآنسة ماربل، لكن السيدة بانتري لم تستطع أن تتذكر الاسم الأخير لها. وكانتا منسجمتين تضحكان وتتحدثان.

وفجأة شعرت السيدة بانتري بأن البيت قديم مهترئ ومصطنع إلى حدٍّ بعيد، إذ رغم كل هذه التعديلات والطلاءات فإن البيت ما هو إلا قصر من الطراز الفكتوري أكل الدهر عليه وشرب. وقالت في نفسها: لقد كنت حكيمة في بيعه؛ فالمنازل، شأنها في ذلك شأن أي شيء آخر، يأتيها يوم تفقد فيه حياتها... وقد انتهى هذا المنزل. لقد نُفخت فيه نفخة تجديد خارجي، ولكني لا أعتقد حقاً أن ذلك أفاده بشيء كثير.

وفجأة ارتفعت أصوات همهمات خفيفة. حدقت المرأتان المرافقتان أمامهما وقالت إحداهما: ما الذي يحدث؟ كأن شيئاً يحدث.

تراجعن إلى الوراء في الممر باتجاه الدرج. ومرّت إيلا زيلنسكي أمامهما بسرعة وحاولت فتح باب إحدى غرف النوم ثم هتفت: اللعنة! لقد أغلقوها كلها.

قالت السيدة بانتري: أحدث شيء؟

ردّت عليها الآنسة زيلنسكي باختصار: لقد مرضت إحداهن.

- آه، هذا مؤسف. أتريدين أي مساعدة؟

- أظن أنه يوجد طبيب هنا، أليس كذلك؟

- لم أرَ أياً من أطباء قريتنا، ولكن يوجد واحد بالتأكيد.

- جيسن يتصل هاتفياً، لكنها تبدو في حالة سيئة جداً.

- من هي؟

- أعتقد أنها تدعى السيدة بادكوك.

- هيذر بادكوك؟ لكنها كانت تبدو بصحة ممتازة قبل قليل!

قالت إيلا زيلنسكي بقلق: لقد أصيبت بنوبة مرضية أو بشيء من هذا القبيل. هل تعرفين إن كانت تعاني من أي مرض في قلبها أو بأي شيء كهذا؟

- الحق أنني لا أعرف عنها أي شيء. إنها جديدة على هذا المكان، فهي تسكن في منطقة التطوير.

- التطوير؟ آه، تقصدين ذلك المجمّع السكني؟ إنني حتى لا أعرف أين زوجها أو كيف شكله.

- إنه كهل أبيض البشرة لا يُلحظ حضوره. لقد جاء معها، ولا بد أن يكون في مكان قريب.

ذهبت إيلا زيلنسكي إلى أحد الحمامات وقالت: لا أعرف ماذا أعطيها، كربونات النشادر... أترين أن أعطيها شيئاً كهذا؟

- هل أُغمي عليها؟

- الأمر أسوأ من ذلك.

- سأرى إن كنت أستطيع عمل أي شيء لها.

استدارت وعادت بسرعة نحو أعلى الدرج، واصطدمت بجيسن رد وهي تنعطف عند إحدى الزوايا. قال: هل رأيت إيلا؟

- لقد ذهبت هناك إلى أحد الحمامات. كانت تبحث عن شيء ما، كربونات النشادر أو شيء من هذا القبيل.

- لا داعي لأن تتعب نفسها.

كان في نبرة صوته شيء لفت انتباهها، فرفعت بصرها بحدّة: هل الأمر سيء؟ سيء جداً؟

- يمكنك أن تقولي ذلك... لقد ماتت المسكينة.

- ماتت؟!

كان الخبر صدمة حقيقية للسيدة بانتري، قالت كما قالت من قبل: لكنها كانت تبدو في صحة جيدة قبل قليل.

- أعرف، أعرف.

وقف هناك عابساً: حقاً إنه أمر عجيب!

* * *

الفصل السادس

قالت الآنسة نايت وهي تضع صينية الإفطار على طاولة السرير بجانب الآنسة ماربل: ها هو إفطارك. كيف أصبحت هذا اليوم؟ ثم أضافت وفي صوتها نبرة من عدم الاستحسان: أرى أنك قد فتحت الستائر.

قالت الآنسة ماربل: لقد استيقظت مبكراً، ستفعلين ذلك عندما تكونين في عمري.

- اتصلت السيدة بانتري منذ نصف ساعة تقريباً. أرادت أن تتحدث معك، لكني قلت لها أن تتصل ثانية بعد أن تتناولي إفطارك. لم أكن أريد إزعاجك في تلك الساعة قبل أن تشربي فنجاناً من الشاي أو تأكلي أي شيء.

- أفضّل أن تخبريني عندما يتصل أصدقائي بي.

- أنا آسفة حقاً، ولكن قدرت أن هذا غير مناسب. كنت أظن أنه من الأفضل التفرغ لهذه الأمور بعد شرب الشاي وتناول البيض المسلوق والخبز والزبدة.

قالت الآنسة ماربل متأملة: قبل نصف ساعة؟ كان ذلك... كان ذلك في الساعة الثامنة.

كررت الآنسة نايت: وقت مبكر جداً.

- لا بد أن يوجد سبب مهم حتى تتصل بي السيدة بانتري في هذا الوقت من الصباح الباكر، إذ ليس من عادتها أن تتصل في مثل هذا الوقت.

قالت الآنسة نايت مهدّئة: آه، لا تشغلي بالك كثيراً بهذا الأمر يا عزيزتي. أظن أنها ستتصل بك ثانية بعد وقت قصير. أم تحبين أن أتصل بها من أجلك؟

- لا، أشكرك. أفضّل تناول الإفطار قبل أن يبرد.

- أرجو أن لا أكون نسيت شيئاً.

لكنها لم تنسَ أي شيء. كانت قد جهزت الشاي بطريقة صحيحة، وتم غلي البيض لمدة ثلاث دقائق وثلاثة أرباع الدقيقة بالضبط، وتم تحميص الخبز جيداً ووضعت الزبدة في قالب صغير وجميل وبجانبه صحن عسل صغير... لا شك أن الآنسة نايت تُعَدّ كنزاً عظيماً.

كانت الآنسة ماربل تتناول طعامها باستمتاع عندما ارتفع أزيز المكنسة الكهربائية في الطابق الأرضي. لقد وصلت شيري، الخادمة، ومع أزيز المكنسة الكهربائية كان يتناغم صوت عذب يغني واحدة

من أحدث الأغاني الشعبية. هزّت الآنسة نايت رأسها وهي تدخل لأخذ صينية الإفطار.

- أتمنى حقاً بأن تتوقف هذه الشابة عن الغناء في أرجاء البيت... إنه تصرف غير مهذب.

ابتسمت الآنسة ماربل قليلاً وقالت: ما كانت شيري لتقتنع أبداً بأن عليها أن تكون مهذبة. ولماذا يتوجب عليها ذلك؟

قالت الآنسة نايت بازدراء: لَكَم اختلفت الأمور عن سابق عهدها!

- هذا طبيعي؛ الزمن يتغير... هذا أمر ينبغي تقبله. ليتك تتصلين بالسيدة بانتري الآن لنعرف ماذا كانت تريد.

خرجت الآنسة نايت مسرعة، وبعد قليل دقت شيري باب الغرفة ودخلت. كانت تبدو مشرقة ونشيطة وجميلة إلى أبعد حد، وقد لفّت فوق ثوبها الكحلي مريلة عليها رسومات بحارة وشعارات البحرية.

قالت الآنسة ماربل: شعرك جميل.

قالت شيري: ذهبت لعمل تسريحة بالأمس. ما يزال قاسياً قليلاً لكنه سيكون على ما يرام. ترى هل سمعت الأخبار؟

- أية أخبار؟

- بخصوص ما حدث بالأمس في غوسينغتن هول. تعلمين أنه أُقيم هناك حفل خيري لصالح مستشفى سينت جون الميداني؟

أومأت الآنسة ماربل، ثم سألتها: وماذا حدث؟

- ماتت واحدة أثناء المهرجان... إنها تُدعى السيدة بادكوك، وهي تعيش في بيت قريب منا. لا أظن أنك تعرفينها.

هتفت الآنسة ماربل بذعر: السيدة بادكوك؟! أنا أعرفها، نعم؛ إنها هي تلك المرأة. لقد خرجت من بيتها ورفعتني عن الأرض يوم سقطتُ، وكانت لطيفة جداً.

- آه، لا شك أنها لطيفة. بعض الناس يقولون إنها لطيفة أكثر من اللازم، إنهم يسمّونه تطفلاً. على أية حال، لقد أصبحت في عداد الأموات.

- ماتت! ولكن ما سبب موتها؟

- لا أعرف، لقد دخلت البيت بصفتها سكرتيرة مستشفى سينت جون الميداني هي وجمعٌ غفيرٌ من الناس، وسمعت أنها تناولت كأساً من شرابٍ ما وبعد خمس دقائق تقريباً ساءت حالتها وفارقت الحياة قبل أن يستطيع أحد أن يأتي بحركة.

- يا لها من صدمة كبيرة! هل كانت تعاني من أزمة قلبية؟

- يقولون إن صحتها كانت كالحصان. لا أحد يعلم بالطبع... كثيراً ما يعاني المرء من مرض في قلبه دون أن يعرف أحد بذلك. على أية حال لم يرسلوها إلى البيت.

سألت الآنسة ماربل مستغربة: ماذا تقصدين بأنهم لم يرسلوها إلى البيت؟

قالت شيري دون أن تخف بهجتها: الجثة. قال الطبيب إنه لا بد من تشريح الجثة، وقال إنها لم تكن تشكو من مرض ما وإن سبب الوفاة غير ظاهر. هذا يبدو لي غريباً.

- ماذا تقصدين بقولك إنه غريب؟

فكرت شيري: غريب... وكأن وراء الحادث شيئاً ما.

- هل زوجها متضايق كثيراً ممّا حدث؟

- لقد بدا شاحب اللون كشرشف أبيض. لم أرَ رجلاً صُعق مثله أبداً.

انتصبت أُذنا الآنسة ماربل اللتان اعتادتا التفريق بين المعاني البسيطة الطفيفة للكلمات والتعابير، ونقرت قليلاً على جانب رأسها ثم سألت خادمتها: هل كان متعلقاً بها إلى هذا الحد؟

- كان يفعل كل ما تطلبه منه، وقد ترك لها حرية التصرف كما تريد. ولكن هذا لا يعني دائماً التعلق، فقد يعني ذلك عدم امتلاك المرء للشجاعة ليدافع عن نفسه.

- هل كنت تكرهينها؟

- الحق أنني لا أكاد أعرفها... أقصد أنني لم أكن أعرفها حتى أحبّها أو أكرهها. لكن كانت لها طبيعة مختلفة عني، فقد كانت تتدخل في كل شيء.

- هل تعنين أنها فضولية؟

- أبداً، كانت لطيفة جداً وتخدم الناس دائماً، وكانت واثقة دائماً من معرفتها للتصرف الصحيح ولم يكن يهمها رأي الآخرين. كانت لي عمة مثلها؛ كانت عمتي تحب الكعك بالكراويا كثيراً، وقد اعتادت على عمل الكعك وإهدائه للناس دون أن تكلف نفسها عناء معرفة إن كانوا يحبون كعك الكراويا أم لا. بعض الناس لا يطيقون ذلك، بل ولا يتحملون شمّ رائحة الكراويا. كانت هيذر بادكوك تشبهها إلى حد ما.

قالت الآنسة ماربل بتأمل: لا بد أنها كانت كذلك. كنت أعرف واحدة تشبهها إلى حد ما. إن أناساً كهؤلاء يعيشون حياة محفوفة بالمخاطر دون أن يشعروا بذلك.

حدقت شيري إليها وقالت: غريب ما تقولين. لا أفهم ما الذي ترمين إليه؟

دخلت الآنسة نايت وقالت: يبدو أن السيدة بانتري قد خرجت من بيتها ولم تذكر إلى أين ذهبت.

- أستطيع أن أخمّن وجهتها... إنها قادمة إلى هنا. سأنهض الآن.

* * *

ما كادت الآنسة ماربل تجلس على كرسيها المفضل قرب النافذة حتى وصلت السيدة بانتري. كانت تلهث قليلاً وقالت: أشياء كثيرة أريد أن أخبرك بها يا جين.

سألتها الآنسة نايت: بخصوص المهرجان؟ هل ذهبت إلى المهرجان بالأمس؟ كنتُ هناك وقت العصر لفترة قصيرة وكانت خيمة الشاي مكتظة كثيراً. يبدو أن عدداً كبيراً من الناس كان فيها وقتذاك، ومع ذلك لم أرَ مارينا غريغ، وهو ما خيب آمالي.

نفضت بعض الغبار عن الطاولة وقالت مبتهجة: لا بدّ أنكما ترغبان في الحديث على انفراد. ثم خرجت من الغرفة.

قالت السيدة بانتري: "يبدو أنها لا تعرف عن الأمر أي شيء". وتأملت صديقتها ثم أضافت: جين، أظن أنك تعرفين.

- تقصدين الوفاة التي حدثت بالأمس؟

- دائماً تعرفين كل شيء، لا أدري كيف؟

- كما يعرف جميع الناس. خادمتي النهارية شيري بيكر هي التي أخبرتني، وأظن أن الجزار سيخبر الآنسة نايت على الفور، وهي ستخبر آخرين، وهكذا...

- وما رأيك بهذا؟

- بماذا؟

- لا تكوني مزعجة يا جين. أنت تعرفين تماماً ما أعنيه! أقصد تلك المرأة... لا أذكر اسمها؟

- هيذر بادكوك.

- لقد جاءت إلى الاحتفال بكامل قوتها ونشاطها. كنت هناك

عندما وصلَت، وبعد ذلك بربع ساعة تقريباً شعرَتْ أنها ليست على ما يرام وجلسَتْ على كرسي ولهثت قليلاً، ثم ماتت! ماذا تقولين في هذا؟

- على المرء أن لا يستبق الأمور، المهم أن نعرف رأي الطبيب أولاً.

أومأت السيدة بانتري برأسها وقالت: سيكون هناك استجواب وتشريح للجثة. وذلك يوضّح رأيهم في الحادث، أليس كذلك؟

- ليس بالضرورة. أي واحد يمكن أن يمرض ويموت فجأة، وفي هذه الحالة يشرّحون جثته ليعرفوا السبب.

- الأمر أخطر من هذا.

- وما الذي أدراك؟

- الدكتور سانفورد عاد إلى بيته واتصل بالشرطة.

قالت الآنسة ماربل باهتمام شديد: من أخبرك بهذا؟

- العجوز بريغز. لم أسمع ذلك منه شخصياً، إنه يذهب في المساء للعناية بحديقة الدكتور سانفورد، وقد كان يربط شيئاً عند نافذة المكتب عندما سمع الطبيب وهو يتصل بمركز الشرطة في ماتش بنهام. أخبر بريغز ابنته بهذا وابنته ذكرت ذلك لساعية البريد التي أخبرتني بدورها.

ابتسمت الآنسة ماربل وقالت: فهمت، إن سينت ميري ميد لم تتغير كثيراً عن سابق عهدها!

- ما زالت الإشاعة تنتشر بنفس الطريقة. والآن، ما رأيك؟

قالت الآنسة ماربل متأملة: حسناً، يفكر المرء عادة بالزوج. هل كان حاضراً؟

- نعم، كان هناك. ألا يمكن أن يكون الأمر انتحاراً؟

أجابت الآنسة ماربل حازمة: ليست المسألة انتحاراً بالتأكيد. إنها لم تكن من هذا النوع.

- كيف التقيت بها يا جين؟

- في اليوم الذي خرجت فيه أمشي إلى منطقة التطوير ووقعت على الأرض قرب منزلها. وكانت لطيفة جداً، في غاية اللطف.

- هل رأيت الزوج؟ هل كان يبدو وكأنه يرغب في تسميمها؟

أكملت السيدة بانتري حديثها بعد أن أبدت الآنسة ماربل بعض علامات الاحتجاج: تعرفين ما أعنيه. هل ذكّرك منظره ببيرتي جونز أو بالميجور سميث أو بأي أحدٍ عرفتِه منذ زمن بعيد ممن سمّموا زوجاتهم أو حاولوا ذلك؟

- أبداً، لم يذكّرني بأي واحد أعرفه.

ثم أضافت: لكنها هي التي ذكّرتني بواحدة أعرفها.

- السيدة بادكوك؟

- نعم، لقد ذكرتني بواحدة تُدعى أليسون وايلد.

- وكيف كانت أليسون وايلد هذه؟

قالت الآنسة ماربل ببطء: لم تكن تفهم العالم حولها أبداً، لم تكن تعرف طبيعة الناس أو تفكر بهم؛ ولذلك لم تستطع الاحتراس من الأشياء التي كانت تحدث لها.

- أنا لا أفهم حرفاً واحداً من كلامك.

- من الصعب أن أشرح لك ذلك بالضبط. هذا يأتي من انشغالها الدائم بنفسها. لا أقصد أنها أنانية، فقد تكونين لطيفة وغير أنانية، بل ومتعاطفة مع الآخرين، ولكنك -لو كنت مثل أليسون وايلد- فأنت لا تقدّرين حقاً أبعاد تصرفاتك، ومن هنا لا تعرفين أبداً ما يمكن أن يحدث لك.

- هلا أوضحت ذلك أكثر؟

- حسناً، سأضرب لك مثالاً للتقريب، وهو ليس شيئاً حدث في الواقع وإنما هو من بنات أفكاري.

- استمري.

- لو التقيت -مثلاً- بامرأة تعرفين أن لها ولداً حدثاً منحرفاً، وكان هناك يصغي وأنت تخبرين أمه عن نقود موجودة عندك في البيت أو آنية فضية أو قطعة حلي... كنت تستمتعين بالحديث عن ذلك، وربما اندفعت وذكرت أنك ستخرجين مساء يوم معين وذكرت على مسمع منه أنك لا تغلقين باب البيت بالمفتاح عندما تخرجين... كنت مهتمة بما كنت تقولين لها لأنه يشغل عقلك كثيراً، ثم عدتِ

ذلك المساء المحدد إلى البيت لأنك نسيت شيئاً فوجدت ذلك الولد السيء في البيت متلبساً بجريمة السرقة فالتفت وضربك بآلة حادة.

- يمكن أن يحدث هذا لأي شخص هذه الأيام.

- ليس لأي شخص؛ فمعظم الناس يملكون حساً أمنياً. إنهم يدركون متى يكون من غير الحكمة قول شيء أو فعله، وذلك بحسب طبيعة الشخص أو الأشخاص الذين حولهم. أليسون لم تكن من هذا النوع، كانت من النوع الذي لا يفكر بأحدٍ إلاّ نفسه، كانت من أولئك الناس الذين يخبرونك عما فعلوه أو رأوه أو شعروا به أو سمعوه... إنهم لا يشيرون أبداً لما قاله الآخرون أو فعلوه! الحياة بالنسبة لهم طريق ذو مسار واحد لا يتسع إلاّ لهم فقط، أما الآخرون فيبدون بالنسبة لهم مثل ورق الجدران في الغرفة.

سكتت ثم أضافت: أعتقد أن هيذر بادكوك كانت من ذلك النوع.

- هل تعتقدين أنها من النوع الذي قد يقحم نفسه في شيء دون أن يدرك ما الذي يفعله؟

- بل دون أن يدرك أن في هذا التصرف خطورة عليه. هذا هو السبب الوحيد الذي يمكن أن أتخيله لمقتلها، بالطبع إذا سلّمنا أن في الأمر جريمة قتل.

- أليس من الممكن أنها كانت تبتزّ شخصاً؟

طمأنتها الآنسة ماربل: آه، لا يمكن. كانت امرأة طيبة ولطيفة ولم تكن لتفعل شيئاً كهذا أبداً.

ثم أضافت بحيرة: الأمر كله يبدو لي مستبعداً تماماً. أعتقد أنه لا يمكن أن يكون...

ألحت عليها السيدة بانتري: يكون ماذا؟

قالت الآنسة ماربل متأملة: كنت أتساءل فقط إن كان من الممكن أن تكون جريمة قتل أخطأت هدفها.

فُتح الباب ودخل الدكتور هيدوك ووراءه الآنسة نايت تثرثر. قال الدكتور هيدوك وهو ينظر إلى السيدتين: آه، ها قد دخلتما في الموضوع كما أرى. جئت لأطمئن على صحتك يا آنسة ماربل، ولكن لا حاجة للسؤال؛ يبدو أنك بدأت بأخذ العلاج الذي اقترحته عليك.

- علاج يا دكتور؟

أشار هيدوك بإصبعه إلى شغل الحياكة الذي كان على الطاولة بجوارها وقال: أعني نقض الغزل. هل كلامي صحيح؟

طرفت عينا الآنسة ماربل بطريقة متحفظة وقالت: امزحْ كما تشاء يا دكتور هيدوك.

- لا يمكنك خداعي يا سيدتي العزيزة؛ فأنا أعرفك منذ سنوات طويلة. ما أن وقعت وفاة مفاجئة في غوسينغتن هول حتى بدأت كل الألسن باللغط في سينت ميري ميد. أليس كذلك؟ لقد قرر الناس أنها جريمة قتل قبل أن يعرفوا نتيجة التحقيق!

سألته الآنسة ماربل: متى سيجري التحقيق؟

- بعد الغد، وإلى أن يحين ذلك الموعد ستكنّ -أيتها النساء- قد قلّبتُنّ وجوه القصة بكاملها وأصدرتُنّ الحكم وأشياء كثيرة أيضاً. حسناً، لن أضيع وقتي هنا، فليس من المفيد إضاعة الوقت على مريض لا يحتاج إلى خدماتي. خدودك وردية وعيونك براقة، لقد بدأتِ بإمتاع نفسك. لا شيء يعدل وجود اهتمام لدى المرء في حياته. سوف أذهب.

خرج من الغرفة فقالت السيدة بانتري: أنا أفضّله على سانفورد.

ردّت الآنسة ماربل متأملة: وكذلك أنا. إنه صديق طيب، أعتقد أنه جاء ليعطيني الضوء الأخضر.

- إذن فقد كانت جريمة قتل بالفعل.

تبادلت المرأتان النظرات: هذا هو رأي الأطباء على أية حال!

أحضرت الآنسة نايت فناجين القهوة، ولأول مرة شعرت المرأتان بنفاد صبر لا يسمح بالترحيب بهذه المقاطعة لحديثهما. وعندما ذهبت الآنسة نايت بدأت الآنسة ماربل حديثها على الفور: والآن يا دولي، كنت موجودة هناك؟

قالت السيدة بانتري بفخر متواضع: لقد رأيت الحادث وهو يقع عملياً.

- رائع! أقصد... تعرفين ما أقصده. إذن يمكنك أن تخبريني عن الذي حدث بالضبط من لحظة وصولها.

- كنت قد دُعيتُ إلى داخل البيت.

- من الذي أدخلك إلى البيت؟

- شاب ممشوق القوام، أظن أنه سكرتير مارينا غريغ أو شيئاً كهذا. أدخلني وأخذني إلى الطابق العلوي، وكان هناك نوع من حفل التعارف للجنة المنظمة على الفسحة في أعلى الدرج.

قالت الآنسة ماربل بدهشة: على الفسحة في أعلى الدرج؟

- آه، لقد غيروا المكان؛ دمجوا غرفة اللبس وغرفة النوم فأصبحت هناك فسحة كبيرة تكاد تكون غرفة كاملة. إنها جميلة جداً.

- فهمت، ومن كان موجوداً هناك؟

- مارينا غريغ، وكانت تبدو طبيعية وفاتنة في ثوبها الأخضر الرمادي الأنيق. وزوجُها بالطبع، وتلك المرأة إيلا زيلنسكي التي حدثتك عنها، إنها سكرتيرتهما لأغراض المناسبات. وكان هناك نحو ثمانية أشخاص أو عشرة آخرين، بعضهم كنت أعرفه وبعضهم لا أعرفه، أعتقد أن بعضهم يعملون في السينما وهم الذين لم أعرفهم. وكان هناك الكاهن وزوجة الدكتور سانفورد، ولم يكن هو موجوداً هناك وقتها وإنما وصل بعدها، والكولونيل كليترنغ وزوجته، والعمدة الكبير، وأعتقد أن أحد الصحفيين كان موجوداً هناك أيضاً، وكانت هناك فتاة شابة تحمل كاميرا كبيرة وتلتقط الصور.

أومأت الآنسة ماربل: أكملي.

- وصلت هيذر بادكوك وزوجها بعدي مباشرة. قالت مارينا غريغ لي أشياء لطيفة، ثم تحدثت مع آخرين. آه، نعم، مع الكاهن. ثم جاءت هيذر بادكوك وزوجها. إنها سكرتيرة مستشفى سينت جون الميداني كما تعلمين، أحدهم قال شيئاً بهذا الخصوص وكيف أنها موظفة نشيطة ذات أهمية كبيرة، وقالت مارينا غريغ بعض الأشياء الجميلة، ثم بدأت السيدة بادكوك حديثاً طويلاً وتافهاً حول التقائها بمارينا غريغ قبل سنوات عديدة في مكان ما. إنها امرأة تثير الضجر، لم تكن لبقة أبداً في هذا حيث استمرت تعيد وتكرر كيف وقع اللقاء وفي أي عام وما شابه ذلك. لا شكّ أن كثيراً من الناس (ولا سيما نجمات السينما) لا يحبون أن يذكّرهم أحد بأعمارهم الحقيقية، ولكنها لم تنتبه أبداً لهذا.

قالت الآنسة ماربل: نعم، إنها ليست من النوع الذي يمكن أن يفكر في مثل هذا. حسناً؟

- لم يكن هناك شيء غير طبيعي سوى أن مارينا غريغ لم تردد عباراتها اللطيفة المعتادة.

- تقصدين أنها كانت منزعجة؟

- لا، لا، لا أقصد ذلك. يغلب على ظني أنها لم تلقِ بالاً لكلمة واحدة من ذلك، كانت تحدق إلى ما وراء السيدة بادكوك، وعندما أنهت السيدة بادكوك هذرها السخيف عن كيفية مغادرتها لسرير المرض وتسللها خارج البيت لتذهب وتقابل مارينا لتحصل على توقيعها ساد صمت غريب... ثم رأيت وجهها.

- وجه من؟ السيدة بادكوك؟

- لا، وجه مارينا غريغ. كانت وكأنها لم تسمع كلمة واحدة من كلام السيدة بادكوك، كانت تحدق إلى الجدار المواجه لها مباشرة. تحدق إلى شيء... لا أستطيع أن أوضّح لك ذلك.

- حاولي يا دولي، أعتقد أن هذا قد يكون مهماً.

قالت السيدة بانتري وهي تحاول البحث عن الكلمات المناسبة: كانت نظرتها جامدة وكأنها قد رأت شيئاً. آه، يا إلهي! من الصعب وصف ما جرى، هل تتذكرين قصيدة «سيدة شالوت»؟ «المرآة مشروخة من طرف إلى طرف. صاحت سيدة شالوت: لقد نزل بي القضاء المحتوم»! حسناً، هكذا بدا شكلها. إن الناس يضحكون من الشاعر تينيسون في أيامنا هذه، ولكن قصيدة «سيدة شالوت» كانت تخيفني دوماً عندما كنت شابة، وما زالت تخيفني.

أعادت الآنسة ماربل العبارة متأملة: كانت نظرتها جامدة، وكانت تنظر إلى الجدار وراء السيدة بادكوك! ما الذي كان على الجدار؟

- آه، أظن أنها إحدى اللوحات الإيطالية.

قطبت الآنسة ماربل جبينها: لا أظن أن لوحة يمكن أن تسبب لها تلك الملامح.

- وخصوصاً أنها تشاهدها كل يوم.

- أظن أن أناساً كانوا يصعدون الدرج وقتها؟

- آه، نعم.

- هل تتذكرين من هم؟

- تقصدين أنها ربما كانت تنظر إلى واحد من هؤلاء الذين كانوا يصعدون الدرج؟

- ممكن، أليس كذلك؟

- بلى، بالطبع. دعيني أتذكّر. كان هناك المحافظ بثيابه الرسمية الكاملة وسلاسله وكل هذه الأشياء، وزوجته، وكان هناك رجل ذو شعر طويل ولحية غريبة على طريقة شباب هذه الأيام، شاب صغير تماماً، وكانت هناك الفتاة التي تحمل الكاميرا وقد وقفت على الدرج تأخذ صوراً للناس الذين يصعدون ويصافحون مارينا. وشخصان لم أكن أعرفهما، أعتقد أنهما من أهل السينما، والسيد غرايس وزوجته من المزرعة السفلية. ربما كان هناك آخرون لكن هذا كل ما أستطيع تذكره الآن.

- هذا لا يبعث على التفاؤل. ما الذي حدث بعد ذلك؟

- أظن أن جيسن رد وكزها؛ لأنها استجمعت قواها فجأة وابتسمت للسيدة بادكوك وبدأت تقول الأشياء المعتادة، الأشياء اللطيفة والطبيعية... وعادت إلى أعمالها البارعة المعتادة.

- وبعد ذلك؟

- أعطاهما جيسن رد شراباً.

- أي نوع من الشراب؟

- نوع من عصير الفواكه الطبيعي قال إنه شراب زوجته المفضل. أعطاها كأساً وأعطى السيدة بادكوك كأساً آخر.

- شيء مثير جداً، مثير جداً بالفعل. وبعد ذلك؟

- لا أعرف؛ لأني أخذت مجموعة من النساء لينظرن إلى الحمّامات. ولم أعلم بعد ذلك شيئاً إلى أن جاءت السكرتيرة لتقول إن إحدى النساء قد وقعت مريضة.

* * *

الفصل السابع

كان التحقيق الذي تمّ قصيراً ومخيباً للآمال. قدّم الزوج شهادة التعرف على الضحية، وكانت الشهادة الوحيدة الأخرى هي شهادة الطبيب الشرعي بأن هيذر بادكوك قد ماتت نتيجة تناولها لأربع حبات من مادة هاي إيثيل-ديكسيل-كويندلوريتان... أو اسم مشابه له على الأصح، ولم يكن هناك أي دليل يوضح الطريقة التي دُسَّت فيها هذه الحبوب.

تم تأجيل التحقيق لأسبوعين. وبعد أن انتهى التحقيق جاء المفتش فرانك كورنيش إلى آرثر بادكوك قائلاً: هل لي بالحديث معك قليلاً يا سيد بادكوك؟

- بالطبع، بالطبع.

كان آرثر بادكوك يبدو نحيلاً أكثر من أي وقت مضى. تمتم: لا أفهم ما جرى، لا أفهم ما جرى.

- لديّ سيارة، هل يمكن أن أرافقك فيها إلى بيتك؟ المكان هناك أجمل وأكثر عزلة.

- أشكرك يا سيدي. نعم، نعم؛ أنا متأكد أن هذا سيكون أفضل بكثير.

وصلا إلى البوابة الزرقاء الصغيرة للمنزل رقم ٣ في آرلينغتون كلوز. وتقدم آرثر بادكوك وتبعه المفتش، وقبل أن يضع مفتاحه فُتح الباب من الداخل. تراجعت المرأة التي فتحته إلى الوراء وبدا عليها الارتباك، وفوجئ آرثر بادكوك برؤيتها. قال: ماري!

- كنت فقط أحضّر لك بعض الشاي يا آرثر، اعتقدت أنك ستحتاجه عندما تعود من التحقيق.

- هذا لطف كبير منك.

تردد ثم قال: هذا هو المفتش كورنيش، السيدة بين... جارتي.

قال المفتش: فهمت.

قالت السيدة بين: سأحضر فنجاناً آخر.

ذهبت وأشار آرثر بادكوك إلى المفتش بشيء من الارتباك لدخول غرفة الجلوس على يمين الصالة. قال بادكوك: إنها امرأة لطيفة جداً، دائماً لطيفة.

- هل تعرفها منذ فترة طويلة؟

- آه، لا. منذ أن جئنا إلى هنا فقط.

- أظن أنك تعيش هنا منذ سنتين، أم أنها ثلاث سنوات؟

- نحو ثلاث سنوات. جاءت السيدة بين إلى هنا قبل ستة أشهر فقط، ابنها يعمل في مكان قريب من هنا ولذلك جاءت بعد وفاة زوجها لتعيش هنا وسكن ابنها معها.

عادت السيدة بين في تلك اللحظة من المطبخ وهي تحمل الصينية، كانت امرأة سمراء في الأربعين من عمرها تقريباً، وكانت بشرتها بلون بشرة الغجر وتتناسب مع عينيها السوداوين وشعرها الداكن. وكان في عينيها شيء ما غريب، كان في عينيها نظرة حذرة.

وضعت الصينية على الطاولة وهمهم المفتش كورنيش بكلمات إطراءٍ عامة. تيقظ في داخله شيء، شيء من الغريزة المهنية... تلك النظرة الحذرة في عيني المرأة وجفولها البسيط الذي أبدته عندما قدمه آرثر لها، كل ذلك لم يمرّ دون أن تلحظه عينه الخبيرة. كان قد أَلِفَ ذلك القلق الخفيف والحذر الطبيعي وعدم الثقة التي تظهر في حضرة الشرطة من قِبَل أولئك الذين يخرقون القانون عن غفلة منهم.

ولكن كان هناك نوع آخر من الناس، وذلك النوع الآخر هو ما أحسّ -واثقاً- بوجوده هنا في شخص السيدة بين. وفكر بأن هذه السيدة كانت لها، في وقت ما، علاقة مع الشرطة أو احتكاك بهم، أو شيء ما جعلها تصبح يقظة حذرة قلقة. وعزم -في نفسه- على اكتشاف بعض المعلومات الإضافية عن ماري بين.

وضعت السيدة صينية الشاي وغادرت معتذرة بأن عليها العودة إلى البيت. فقال المفتش كورنيش: تبدو امرأة لطيفة.

رد عليه آرثر بادكوك: جداً، إنها جارة طيبة جداً ومتعاونة.

- هل كانت صديقة حميمة لزوجتك؟

- لا، لا أعتقد ذلك. مجرد علاقة جيدة بين جارتين، لم يكن بينهما شيء خاص.

- فهمت. والآن يا سيد بادكوك: نريد أن تخبرنا بكل ما تعرف، لا بدّ أن نتيجة التحقيق كانت صدمة بالنسبة لك.

- فعلاً، كنت أحسّ بأن في الأمر شيئاً غير طبيعي، ولا بدّ أنكم شككتم في ذلك؛ فهيذر كانت في صحة ممتازة دائماً، لم تمرض أبداً ولو يوماً واحداً. قلت لنفسي: لا بد أن هناك خطأً ما! لكن هذا أمر غريب يا حضرة المفتش، أمر لا يُصدق أبداً. ما هي هذه المادة: باي إيثلي هيكس... ثم توقف عن إكمال الاسم.

قال المفتش: له اسم أكثر سهولة من هذا، إنه يباع تحت اسم تجاري هو «كالمو»، هل مرّ عليك من قبل؟

هز آرثر بادكوك رأسه بالنفي متحيراً، فقال المفتش: إنه يُستخدم في أميركا أكثر ممّا يُستخدم هنا. إنهم يصفونه هناك بلا قيود.

- ولماذا يُستخدَم؟

- إنه يوصف للذين يعانون من التوتر والقلق والاكتئاب والأرق، ولأشياء كثيرة أخرى. إنه يُحدث حالة من السعادة والاسترخاء الذهني، والجرعة العادية منه لا تعد خطيرة، لكن الأطباء يحذرون من الجرعات الزائدة، والظاهر أن زوجتك قد تناولت منه ما يعادل ستة أضعاف الجرعة العادية.

حدق بادكوك إليه ثم قال: أنا واثق أن هيذر لم تكن تأخذ أي شيء من هذا طول حياتها. لم تكن ممن يحبّذون تناول الأدوية على أية حال، ولم يسبق لها أن اكتأبت أو قلقت أبداً... كانت من أكثر النساء مرحاً وسعادة.

أومأ المفتش برأسه: فهمت. ألم يصف لها أي طبيب شيئاً كهذا الدواء؟

- أبداً، أنا واثق من ذلك.

- من كان طبيبها؟

- كانت مسجلة في لائحة الدكتور سيم، لكن لا أظن أنها ذهبت إليه مرة واحدة منذ أن جئنا إلى هنا.

قال المفتش كورنيش متأملاً: إذن من غير الوارد أن تكون من النساء اللاتي يحتجن لشيء كهذا أو يتناولنه؟

- أبداً، أنا متأكد من ذلك. قد تكون أخذته عن طريق الخطأ.

- هذا خطأ يصعب تصوره، ماذا أكلت أو شربت عصر ذلك اليوم؟

- دعني أتذكر، بالنسبة للغداء...

- لا حاجة لأن تعود إلى طعام الغداء. إن تناول مثل هذه الكمية من الدواء يعطي مفعولاً فورياً ومفاجئاً. الشاي... عُد إلى ما تناولته مع الشاي.

- حسناً، دخلنا إلى الفسطاط هناك في الحديقة، وكان الزحام شديداً لكننا نجحنا في النهاية في الحصول على بعض الكعك وفنجان من الشاي. أكلنا وشربنا على عجل لأن الجو كان حاراً جداً داخل الفسطاط ثم خرجنا ثانية.

- هل هذا كل ما تناولته هناك: كعك وفنجان من الشاي؟

- تماماً يا سيدي.

- وبعد ذلك دخلتما إلى البيت، هل هذا صحيح؟

- نعم، جاءت الفتاة وقالت إن مارينا غريغ ستكون سعيدة برؤية زوجتي إذا أحبت الدخول إلى البيت. كانت زوجتي مسرورة بالطبع، فقد كانت تتحدث عن مارينا غريغ لعدة أيام قبل ذلك. كان الجميع يشعر بالإثارة، لعلك تدرك ذلك أيها المفتش كما يدركه الجميع.

- نعم، زوجتي أحست بالإثارة أيضاً. كان الناس يأتون من كل الأمكنة القريبة ويدفعون النقود ليدخلوا ويروا غوسينغتن هول والتعديلات التي جرت فيه، كان الجميع يتطلعون لرؤية مارينا غريغ.

قال آرثر بادكوك: أخذتنا الفتاة إلى البيت وصعدنا إلى الطابق العلوي. كانت الحفلة هناك عند ردهة الدرج، وكانت الردهة تبدو مختلفة تماماً عن شكلها السابق كما فهمت؛ كانت أشبه بغرفة كبيرة فيها كراسي وطاولات عليها الضيافة، وكان هناك -فيما أظن- نحو عشرة أشخاص أو اثني عشر شخصاً.

أومأ المفتش كورنيش برأسه: ومن الذي استقبلكما هناك؟

- مارينا غريغ نفسها، وكان زوجها معها لكني نسيت اسمه الآن.

- جيسن رَدْ.

- آه، نعم، مع أنني لم ألحظه في البداية. رحبت مارينا غريغ بهيذر ترحيباً لطيفاً وبدت مسرورة جداً لرؤيتها، وكانت هيذر تتحدث وتحكي كيف التقت مرة بمارينا غريغ قبل سنوات في جزر الهند الغربية، وبدا كل شيء طبيعياً.

كرر المفتش: كل شيء بدا طبيعياً... وبعد ذلك؟

- بعد ذلك سألتنا مارينا غريغ عن الذي نودّ شربه، وأحضر السيد رَدْ زوج مارينا عصير الفاكهة المشكلة الذي قال إن زوجته تفضله.

- عصير الفاكهة المشكلة؟

- هذا صحيح يا سيدي. أحضر كأسين: واحداً لهيذر والآخر لزوجته.

- وأنت، ماذا شربت؟

- شراباً غازياً.

- فهمت. وهل شربت زوجتك الكأس وقتها؟

- لا، ليس وقتها؛ لم تشربه على الفور.

- حسناً، إذا لم تشربه وقتها فمتى شربته؟

وقف آرثر بادكوك عابساً وهو يتذكر: أظن أنها وضعته على إحدى الطاولات. رأت بعض الأصدقاء، أظن أن أحدهم كان يعمل في مستشفى سينت جون وجاء إلى هناك من ماش بنهام أو مكان كهذا... المهم أنهما كانا يتحادثان.

- ومتى شربت كأسها؟

قطب آرثر بادكوك جبينه ثانية: بعد ذلك بقليل، وكان المكان يزداد ازدحاماً وقتئذ. دفعها شخص من مرفقها فاندلق كأسها.

قال المفتش باستغراب: ماذا؟ اندلق كأسها؟

- نعم، هذا ما أتذكره. كانت قد رفعته عن الطاولة، وأظن أنها رشفت منه قليلاً ولم يعجبها، فهي لم تكن تحب العصير المشكّل. لكنها لم تكن ستموت من هذه الرشفة! على أية حال عندما كانت تقف هناك دفعها شخص من مرفقها فاندلق الكأس، انسكب الشراب على ثوبها وأظن أنه انسكب على ثوب مارينا أيضاً. كانت مارينا في غاية اللطف وقالت إن ذلك لا يهم أبداً وإنه لن يترك بقعة على الثوب، وأعطت هيذر منديلها لتمسح الشراب عن ثوبها ثم قدمت لها الكأس الذي كانت تحمله وقالت: خذي هذا، لم أشرب منه شيئاً.

- أعطتها كأسها؟ هل أنت متأكد من ذلك؟

سكت آرثر لحظة وهو يفكر ثم قال: نعم، أنا متأكد تماماً.

- وهل أخذت زوجتك الكأس؟

- لم تكن تريد ذلك في البداية يا سيدي. قالت لها: آه، لا،

لا يمكن أن أفعل هذا. وضحكت مارينا وقالت: لقد شربتُ الكثير.

- إذن فقد أخذت زوجتك الكأس، وماذا فعلت به؟

- ابتعدت قليلاً وشربته بسرعة حسب اعتقادي. ثم تمشينا قليلاً في الممر ننظر إلى اللوحات والستائر، وكانت ستائر جميلة لم نر مثلها من قبل. ثم رأيت عضو المجلس ألكوك وهو صديق لي، وكنت أتحدث معه عندما لمحتُ هيذر تجلس على كرسي وهي في حالة غريبة، ولذلك جئت إليها وقلت لها: ماذا حصل؟ فردت عليّ بأنها تشعر بشعور غريب.

- أي نوع من الغرابة؟

- لا أعرف يا سيدي، لم يُتح لي الوقت لأعرف. بدا صوتها غريباً وغليظاً وكان رأسها يدور قليلاً. وفجأة شهقت نصف شهقة عظيمة وسقط رأسها إلى الأمام. كانت قد ماتت يا سيدي... ماتت!

* * *

الفصل الثامن

رفع رئيس المفتشين كرادوك بصره بحدة وقال: هل قلت سينت ميري ميد؟

دُهش مساعد المفوض قليلاً وقال: نعم، سينت ميري ميد. لماذا؟ هل...؟

قال ديرموت كرادوك: لا شيء في الحقيقة.

أكمل الآخر: إنها قرية صغيرة جداً كما فهمت، لكن يجري الكثير من أعمال التعمير والتطوير فيها الآن، فالأبنية أصبحت تمتد على طول الطريق من سينت ميري ميد وحتى ماش بنهام، واستديوهات هيلنغفورث على الجانب الآخر من القرية باتجاه ماركت بيسينغ.

بدا متسائلاً بعض الشيء، وأحس ديرموت كرادوك أنه لا بد من التوضيح. قال: أعرف شخصاً يعيش هناك، في سينت ميري ميد. سيدة مسنة، إنها الآن مسنة جداً، بل ربما تكون قد ماتت. لا أدري، إنما إن لم تكن...

فهم مساعد المفوض ما يريد رئيسه قوله أو اعتقد أنه فهم. قال: نعم، سيعطيك هذا مدخلاً بطريقة ما. إن المرء يحتاج لمعرفة شيء مما يتحدث عنه أهل المنطقة، المسألة كلها غريبة.

سأله ديرموت: هل استدعتنا شرطة المقاطعة؟

- نعم، لديّ هنا رسالة من قائد الشرطة. يبدو أنهم لا يشعرون بأنها قضية محلية بالضرورة. لقد بيع مؤخراً أكبر بيت في المنطقة، واسمه غوسينغتن هول، إلى نجمة السينما مارينا غريغ وزوجها ليعيشا فيه. إنهم يصورون فِلماً في الأستديوهات الجديدة في هيلنغفورث تقوم هي ببطولته، وقد أُقيم مهرجان في البيت لمساعدة مستشفى سينت جون المدياني. والمرأة القتيلة، واسمها السيدة هيذر بادكوك، كانت السكرتيرة المحلية لهذا المستشفى، وهي التي قامت بعمل معظم الأعمال الإدارية اللازمة لإقامة المهرجان. يبدو أنها كانت امرأة قديرة وواعية ويحبها أهل المنطقة.

علّق كرادوك: لا بد أنها واحدة من هؤلاء النساء النزّاعات إلى السيطرة؟

- ممكن جداً، لكنني أعتقد -من خلال التجربة- أن النزّاعات إلى السيطرة نادراً ما يُعرّضن أنفسهن للقتل. لا أدري لماذا؟ وهو شيء يدعو للأسف إذا ما فكرت فيه بإمعان. سجل الحضور رقماً قياسياً في هذا المهرجان كما يبدو، فقد كان الطقس جيداً وكل شيء يجري حسب الخطة. وأقامت مارينا غريغ وزوجها ما يشبه حفل استقبال صغيراً وخاصاً في منزلهما حضره نحو ثلاثين شخصاً إلى أربعين، وهم أهالي المنطقة البارزون، وعدد من الأشخاص من

الذين لهم علاقة بجمعية مستشفى سينت جون الميداني وعدد من أصدقاء مارينا غريغ وبعض من لهم علاقة بالأستديوهات. كل شيء كان يسير على ما يرام، ولكن هيذر بادكوك تسممت هناك بطريقة غريبة وغير متوقعة.

قال ديرموت كرادوك متأملاً: اختيار غريب للمكان.

- هذه هي وجهة نظر قائد الشرطة. إن كان أحد يريد قتل هيذر بادكوك فلماذا اختار ذلك الوقت وتلك الظروف؟ توجد مئات من الطرق الأسهل لفعل ذلك. إن وضع جرعة من السم القاتل في الشراب وسط هذا الجم الغفير يُعَد مجازفة، ففي مثل هذا الموقف لا بد أن يرى شخصٌ ما شيئاً ما.

- هل كان السم موضوعاً في الشراب بالتأكيد؟

- بلا شك. لدينا هنا الحيثيات؛ إنه مستحضر شائع جداً في أميركا.

- في أميركا؟ فهمت.

- آه، وفي هذا البلد أيضاً. لكن هذه الأشياء تتداول بحرية أكثر في الجانب الآخر من المحيط الأطلسي، إن أخذه بكميات صغيرة مفيد.

- هل يُصرف بموجب وصفة طبية أم أنه يُباع دون قيد؟

- لا، يجب أن تحصل على وصفة طبية.

- غريب! هل لهيذر بادكوك أي صلة بأهل السينما؟

- أبداً.

- هل كان هناك أحد من عائلتها في هذا الاحتفال؟

- زوجها.

قال ديرموت متأملاً: زوجها؟

- نعم، هكذا يفكر المرء عادة. لكن الضابط المحلي كورنيش... أعتقد أن هذا هو اسمه، يستبعد وجود شيء من هذا، رغم أنه ذكر في تقريره أن بادكوك كان يبدو مرتبكاً وعصبي المزاج، لكنه يميل إلى أن الناس المحترمين يتصرفون هكذا عندما يحقق الشرطة معهم. يبدو أنهما كانا زوجين متحابين.

- والخلاصة أن الشرطة هناك لا يظنون أن هذه الجريمة من اختصاصهم. حسناً، لا بد أنها قضية مثيرة، هل أفهم من هذا أن عليّ الذهاب إلى هناك؟

- نعم، من المفضل أن تكون هناك في أسرع وقت ممكن. من تحب أن يرافقك؟

فكر ديرموت لحظات ثم قال: تيدلار؛ إنه رجل جيد وهو كذلك ممثل سينمائي، ربما يكون هذا مفيداً.

أومأ مساعد المفوض برأسه وقال: أتمنى لك حظاً سعيداً.

* * *

صاحت الآنسة ماربل وقد احمرّ وجهها من الدهشة والسرور:

هذه حقاً مفاجأة! كيف حالك يا بني... مع أنك لست صغيراً الآن؟ ماذا أصبحت الآن: رئيس مفتشين أم ماذا؟

أوضح ديرموت لها رتبته الحالية.

- لا حاجة بي لسؤالك عن سبب وجودك هنا؛ إن الجريمة التي وقعت في قريتنا تعتبر جديرة حتى باهتمام شرطة إسكتلانديارد.

- لقد سلّمونا القضية، ولذلك أتيت إلى مقر القيادة حالما وصلت إلى البلدة.

اضطربت الآنسة ماربل قليلاً وقالت: أتعني...

أجابها ديرموت: نعم يا عمة، أعنيك أنت.

قالت الآنسة ماربل: أخشى أنني لا أتعاطى هذه الأشياء كثيراً الآن، فأنا لا أخرج كثيراً.

- إنك تخرجين بما يكفي لتسقطي على الأرض وترفعك امرأة يُقدَّر لها أن تُقتَل بعد عشرة أيام من ذلك.

دُهشت الآنسة ماربل وقالت: لا أدري من أين سمعت هذه الأخبار!

قال: "لا بدّ أنك تعرفين، أنت نفسك قلتِ إن كل واحد في القرية يعرف كل شيء". ثم أضاف: سؤال خاص فقط، هل كنت تشكّين -عندما نظرت إليها- في أنها سوف تُقتل؟

صاحت الآنسة ماربل: بالتأكيد لا، بالتأكيد لا... أية فكرة هذه؟!

- ألم تري في عيني زوجها تلك النظرات التي ذكّرتك بهاري سيمبسون أو ديفيد جونز أو أي شخص آخر عرفتِه قبل سنوات ودفع زوجته بعد ذلك عن جرف مرتفع؟

قالت: "لم ألحظ ذلك! أنا واثقة من أن السيد بادكوك لا يمكن أن يفعل مثل هذا العمل الشرير". ثم أضافت وهي تتأمل: على الأقل أكاد أكون متأكدة.

همس كرادوك بخبث: لكن الطبيعة البشرية لا تتغير؟

- قطعاً، أظن أنه بعد انتهاء فترة الحزن الطبيعي في البداية لن يشعر بافتقادها كثيراً.

- لماذا؟ هل كانت تضطهده؟

- آه، لا؛ لكن لا أظن أنها كانت من النوع الذي يراعي مشاعر الآخرين. لطيفة؟ نعم. تراعي مشاعر الآخرين؟ لا. كانت تحبه كثيراً وتعتني به عندما يمرض وتشرف على إعداد طعامه وكانت ربة بيت جيدة... لكني لا أعتقد أنها كانت تهتم بمشاعره أو تعرف ما يفكر به، وهذا يجعل حياة الرجل منعزلة.

- آه، وهل ستكون حياته أقل عزلة في المستقبل؟

- أظن أنه سيتزوج ثانية، وربما في القريب العاجل، وربما امرأة من نفس نوعية زوجته... وهذا يدعو للأسف. أقصد أنه سيتزوج واحدة شخصيتها أقوى من شخصيته.

- هل توجد واحدة محددة؟

- لا أعرف واحدة بعينها.

ثم أضافت بأسف: لكني أعرف القليل.

ألحّ عليها ديرموت كرادوك: حسناً، ما رأيك؟ لم تكوني تكفّين عن التفكير في الأمور.

قالت الآنسة ماربل على نحو غير متوقع: أعتقد أنه يتوجب عليك أن تذهب وترى السيدة بانتري.

- السيدة بانتري؟ من تكون؟ أهي واحدة من ممثلات السينما؟

- لا، إنها تعيش في الملحق الشرقي في غوسينغتن. كانت حاضرة في حفل ذلك اليوم، وقد كانت صاحبة منزل غوسينغتن في وقت من الأوقات هي وزوجها الكولونيل بانتري.

- كانت في الحفل؟ وهل رأت شيئاً؟

- أظن أنها ستحدثك بما رأته. قد تظن أن كلامها لا صلة له بالأمر، لكني أعتقد أنه سيفيدنا. أخبرها أنني أرسلتك، آه، نعم، وربما كان من الأفضل أن تذكر لها فقط «سيدة شالوت».

نظر ديرموت كرادوك إليها ورأسه يميل جانباً: سيدة شالوت؟! هل هذه هي كلمة السر؟

- لا أدري إن كان عليّ أن أسميها هكذا، ولكنها ستذكّرها بما أعنيه.

نهض ديرموت كرادوك من مجلسه محذّراً: سأعود إليك.

قالت: "هذا لطف منك. أرجو أن تأتي لتناول الشاي معي في أوقات فراغك". ثم أضافت بحزن: إن كنت ما تزال تشرب الشاي... فشباب هذه الأيام يعتقدون أن شرب الشاي عند العصر من التقاليد البالية، وهم يفضّلون عليه المشروبات الأخرى.

- لستُ شاباً إلى هذا الحد، سآتي يوماً لأشرب الشاي معك، سنشرب الشاي ونتحدث عن القرية. على فكرة، هل تعرفين أياً من نجوم السينما أو العاملين في الأستوديوهات؟

- لا، باستثناء ما أسمعه عنهم.

- حسناً، ما أكثر ما تسمعين! إلى اللقاء، فرصة سعيدة.

* * *

قدّم ديرموت نفسه للسيدة بانتري وشرح لها عمله. قالت وقد فوجئت بعض الشيء: آه، كيف حالك؟ يسرني أن أراك، ألا تحضرون معكم عادة رقباء شرطة؟

قال كرادوك: معي هنا رقيب، لكنه مشغول.

- بالتحقيقات الروتينية؟

- شيء من هذا القبيل.

قالت وهي تشير إليه بدخول غرفة جلوس صغيرة: وجين ماربل هي التي أرسلتك إليّ؟ كنت أقوم بترتيب بعض الأزهار. إن

تنسيقها متعب جداً في مثل هذا اليوم، إنها تسقط أو تبقى عالقة حيث لا يجب أن تبقى عالقة أو أنها لا تتدلى في المكان الذي يعجبك. كم أنا مسرورة لوجود ما يشغلني عنها، وخصوصاً مثل هذا الأمر المثير. إذن فقد كانت جريمة قتل حقاً، أليس كذلك؟

- هل كنت تعتقدين أنها جريمة قتل؟

- حسناً، أظن أن الأمر لم يكن حادثاً مجرداً. لم يجزم أحد بشيء... من الناحية الرسمية على الأقل. كان يدور كلام عن عدم وجود دليل يبين الشخص الذي وضع السم والطريقة الذي وضعه بها، لكننا نتحدث جميعاً عن القضية على أنها جريمة قتل.

- وماذا عن الفاعل؟

- هذا هو الجانب الغريب في القضية. إننا لا نتحدث عن قاتل معين، لأنني لا أستطيع حقاً أن أرى كيف يمكن لأحد أن يفعل ذلك.

- هل تقصدين بكلمة «أرى» الرؤية العيانية لمن وضع السم؟

- لا، لم أعنِ ذلك. أحسب أن الرؤية العيانية كانت أمراً صعباً، ولكنه غير مستحيل. ما أقصده هو أنني لا أستطيع أن أتخيل من ذا الذي يريد أن يفعل ذلك.

- ألا تتصورين أن أحداً يريد قتل هيذر بادكوك؟

- بصراحة لا أستطيع تصور ذلك. لقد التقيتها مرات قليلة في مناسبات محلية تتعلق بالمرشدات ومستشفى سينت جون الميداني،

وقد وجدتها امرأة متعِبة بعض الشيء، متحمسة لكل شيء، ميّالة إلى المبالغة، مندفعة إلى حد ما في التعبير عن عواطفها... ولكن ذلك لا يمكن أن يكون سبباً لقتلها. إنها من النوع الذي ما أن يقترب من بابك حتى تسرع إلى خادمتك وتخبرها أن تقول لها إنك غير موجود في البيت!

- لعلك تقصدين أن المرء قد يبذل جهوداً كبيرة لتجنّب السيدة بادكوك، ولكن ما من امرئ سيكون لديه الحافز للتخلص منها بصورة نهائية؟

قالت السيدة بانتري وهي تومئ برأسها: هذا ما أعنيه تماماً.

- ليست لديها ثروة تُذكر يمكن أن يستفيد منها أحد بعد وفاتها، ولا يوجد من يكرهها إلى درجة الحقد، كما أنني لا أعتقد أنها كانت تبتز أحداً؟

- لم تكن لتحلم بفعل ذلك، أنا واثقة من هذا. كانت صاحبة ضمير حي ومبادئ سامية.

- ألم يكن زوجها على علاقة غرامية بواحدة أخرى؟

- لا أظن. كان أول لقاء لي به في الحفل، وبدا نحيلاً كالعود، وهو لطيف ولكنه ضعيف.

- هذا لا يترك الكثير من الاحتمالات، أليس كذلك؟ لا بد أن يعود المرء إلى الافتراض بأنها كانت تعرف شيئاً.

- تعرف شيئاً؟

- أي شيء فيه أذى لشخص آخر.

هزت السيدة بانتري رأسها بالنفي ثانية وقالت: أشك في ذلك، أشك فيه كثيراً. لقد أثارت لديّ انطباعاً بأنها من النوع الذي لو عرف شيئاً عن أي شخص لما استطاع أن يمنع نفسه من الحديث عنه.

- حسناً، سنستبعد ذلك من الحسبان. والآن نصل إلى الأسباب التي دعتني لزيارتك: لقد أخبرتني الآنسة ماربل (التي أكنّ لها أعظم التقدير والاحترام) بأن أقول لك: «سيدة شالوت».

- آه، تلك العبارة!

- نعم، تماماً، رغم عدم فهمي لها.

- الناس لا تقرأ الكثير من أشعار تينيسون هذه الأيام.

- أستطيع تذكّر صدى من بعض أشعاره:

وتدفق نسيج العنكبوت،
المرآة مكسورة من طرف إلى طرف،
وصاحت سيدة شالوت: لقد نزل بي القضاء المحتوم.

قالت السيدة بانتري: بالضبط، لقد فعلت ذلك.

- عفواً، مَن الذي فعل؟ وماذا فعل؟

- كانت تبدو هكذا.

- مَن التي بدت وكيف؟

- مارينا غريغ.

- آه، مارينا غريغ. متى كان ذلك؟

- ألم تخبركِ جين ماربل؟

- لم تخبرني بشيء، بل أرسلتني إليك فحسب.

- ليتها فعلت، لأنها تستطيع شرح الأمور بصورة أفضل. كان زوجي يقول لي دائماً إن كلامي مقتضب بحيث لم يكن يعرف ما الذي كنت أتحدث عنه. قد يكون هذا خيالاً تخيّلتُه ليس إلاّ، ولكنك عندما ترى شخصاً يبدو هكذا فإن صورته تنطبع بذاكرتك.

- ليتك تخبرينني.

- حسناً، كان ذلك في الحفل (أنا أسميه حفلاً لأنني لا أعرف ماذا أسميه غير ذلك)، كان حفل استقبال عند أعلى الدرج حيث عملوا ردهة هناك، وكانت مارينا غريغ هناك مع زوجها، وقد اختارا بعضنا لحضور الحفل. أظن أنهما اختاراني لأنني كنت أملك البيت في يوم من الأيام، كما أنهما أحضرا هيذر بادكوك وزوجها لأنها هي التي قامت بإدارة التحضيرات الخاصة بالمهرجان والترتيبات، وقد صدف أن كنّا نصعد الدرج في نفس الوقت تقريباً ولذلك كنت أقف هناك عندما لاحظت الأمر.

- لاحظت ماذا؟

- دخلت السيدة بادكوك في حديث طويل كما يفعل الناس عندما يلتقون شخصيات مشهورة، حيث يعربون لهم عن مشاعر الفرحة والإثارة لرؤيتهم وأنهم كانوا يتمنون رؤيتهم... ودخلت في قصة طويلة عن لقائها بها قبل سنوات، وقد ورد في ذهني -إذ ذاك-

كم يتضايق هؤلاء المشاهير من اضطرارهم للمداراة والملاطفة، لاحظت أن مارينا غريغ لم تكن تداري وتلاطف على عادتها بل كانت تحدق فقط.

- تحدق، إلى السيدة بادكوك؟

- كلا، كلا، كانت تبدو وكأنها قد نسيت السيدة بادكوك تماماً، بل ربما لم تكن تسمع شيئاً مما تقوله السيدة بادكوك. كانت نظراتها تشبه نظرات «سيدة شالوت» هذه... كما لو أنها رأت شيئاً فظيعاً، شيئاً مرعباً... كأنها لم تستطع أن تصدق ما رأته عيناها أو تتحمل رؤيته.

قال ديرموت كرادوك: «لقد نزل بي القضاء المحتوم»؟

- بالضبط، لذلك أسميتُها «نظرة سيدة شالوت».

- ولكن إلى ماذا كانت تنظر يا سيدة بانتري؟

- ليتني عرفت.

- هل قلتِ إنها كانت عند أعلى الدرج؟

- كانت تنظر فوق رأس السيدة بادكوك. لا، بل أعتقد أنها كانت تنظر إلى ما وراء أحد كتفيها.

- إلى وسط الدرج مباشرة؟

- ربما كانت تنظر إلى أحد جانبَي الدرج قليلاً.

- وهل كان أحد يصعد على الدرج؟

- آه، نعم. أظن أنهم كانوا خمسة أشخاص أو ستة تقريباً.

- هل كانت تنظر إلى واحد منهم على وجه الخصوص؟

- لا أعرف. لم أكن في مواجهة الدرج، بل كان خلفي عندما كنت أنظر إليها، وظننت أنها تنظر إلى إحدى اللوحات.

- لا بدّ أنها تعرف اللوحات جيداً إن كانت تعيش في البيت.

- نعم، نعم، بالطبع. أحسب أنها كانت تنظر -بلا شك- إلى أحد الأشخاص، لا أدري من هو؟

- علينا أن نعرفه. هل يمكنك أن تتذكري من هم هؤلاء الأشخاص؟

- كان أحدهم المحافظ ومعه زوجته، وشخص ذو شعر أحمر أظن أنه صحفي لأنهم عرّفوني عليه فيما بعد لكني لا أتذكّر اسمه... إنني لا أنتبه إلى الأسماء أبداً، غالبرايت أو شيء من هذا القبيل. وكان بينهم أيضاً رجل أسود ضخم. ليس زنجياً، إنما شديد السمرة قوي البنية، وكانت معه ممثلة شقراء. كما كان هناك الجنرال بارنزتابل العجوز من ماش بنهام. إنه شيخ خَرِف ولا أظن أنه يخيف أي شخص. آه، وكان هناك غرايس وزوجته من المزرعة.

- هل هؤلاء هم جميع الناس الذي تتذكرينهم؟

- قد يكون معهم آخرون، لكني لم أكن أنتبه إلى أحد على نحو خاص. أعرف أن المحافظ والجنرال بارنزتابل والأميركيين قد وصلوا في ذلك الوقت تقريباً، وكان هناك أناس يأخذون صوراً فوتوغرافية.

أظن أن أحدهم كان من القرية، وكانت هناك فتاة من لندن تبدو متطفلة على الفن ذات شعر طويل وتحمل آلة تصوير كبيرة.

- وهل تعتقدين أن مظهر الرعب الذي بدا على وجه مارينا غريغ كان بسبب أحد هؤلاء الأشخاص؟

قالت السيدة بانتري بصراحة تامة: الحق أنني لا أعتقد أي شيء. لقد تساءلت فقط عن الذي جعلها تبدو هكذا ثم لم أعد أفكر فيه، ولكن هذه الأشياء لا تبرح المخيلة.

ثم أضافت بأمانة: قد يكون الأمر كله مجرد خيال تخيلته. ربما انتابها ألم مفاجئ في ضرسها أو وخزة دبوس أو مغص مفاجئ... كان هناك شيء ما حاولت أن تخفيه ولكن وجهها فضح مشاعر الرعب التي في قلبها.

ضحك ديرموت كرادوك وقال: أنا مسرور لأنك واقعية يا سيدة بانتري، ولكن ملاحظتك حقيقة صغيرة قد تصلح كمؤشر ما.

هز رأسه وغادر ليقدم أوراقه الرسمية في ماش بنهام.

* * *

الفصل التاسع

قال كرادوك لفرانك كورنيش: إذن فقد وصلتم إلى طريق مسدود على المستوى المحلي؟

قال كورنيش: تماماً. لا أعداء، ولا مشاجرات، وعلاقة جيدة مع الزوج.

- ألا يمكن أن يكون في الأمر امرأة أخرى أو رجل آخر؟

هز الآخر رأسه: أبداً، ليس لدينا أي شيء يشير إلى مثل ذلك. لم تكن من النوع المثير للرجال، كانت تشارك في العديد من اللجان وأشياء كهذه وكان هناك بعض المنافسات المحلية الصغيرة، ولكن لا شيء أبعد من ذلك.

- ألم تكن هناك واحدة أخرى كان الزوج سيتزوجها؟ في المكتب الذي يعمل فيه مثلاً؟

- إنه يعمل في شركة بيدل أندراسل وهم وكلاء عقارات. هناك فلوري ويست التي تشكو من الزوائد الأنفية والآنسة غراندل التي

لا يقل عمرها عن خمسين عاماً، وهي أبشع من غراب. ومع ذلك فليس من المستغرب أن يتزوج قريباً.

بدا الاهتمام على كرادوك، فأوضح كورنيش: جارة له، أرملة. عندما عدت معه بعد انتهاء التحقيق كانت داخل البيت، وكانت تعمل له الشاي وتعتني بأمره بشكل عام، وقد بدا ممتناً لها. ولو سألتني لقلت لك إنها قد قررت الزواج به، لكن المسكين لا يعرف ذلك بعد.

- كيف هي هذه المرأة؟

- حسنة الشكل، وهي ليست صغيرة لكن بها جمالاً غجري الطابع، ولها وجه متورد وعينان سوداوان.

- ما اسمها؟

- بين، السيدة ماري بين. إنها أرملة.

- وماذا كان زوجها يعمل؟

- لا أعرف. لديها ولد يعمل قريباً من هنا ويعيش معها، وهي تبدو امرأة هادئة ومحترمة، ومع ذلك لديّ إحساس بأنني رأيتها من قبل.

نظر إلى ساعته وقال: الثانية عشرة إلاّ عشر دقائق. لقد رتبت لك موعداً في غوسينغتن هول في الساعة الثانية عشرة، فيحسن أن نذهب.

* * *

كانت عينا ديرموت كرادوك، اللتان تبدوان دائماً غير منتبهتين، ترسمان صورة عامة عن ملامح غوسينغتن هول. كان المفتش كورنيش قد أخذه إلى هناك وسلّمه لشاب يُدعى هيلي بريستون ثم انسحب عائداً بلباقة. ومنذ ذلك الوقت بقي ديرموت كرادوك يومئ برأسه للسيد بريستون. وقد استنتج كرادوك بأن هيلي بريستون كان موظف علاقات عامة أو مساعداً شخصياً أو سكرتيراً خاصاً لجيسن رد، والأغلب أنه كان مزيجاً من هؤلاء الثلاثة. كان يتحدث بطلاقة بصورة متواصلة ونجح بصورة عجيبة في عدم التكرار، كان شاباً مرحاً ومهتمّاً بأن يشاركه أي رفيق يصحبه وجهات نظره، وقد أعرب عدة مرات وبطرق مختلفة عن شعوره بالخزي من هذا العمل وكيف أن الجميع تضايق وكيف كانت مارينا مفجوعة تماماً، وكيف أن السيد رد كان متضايقاً أكثر مما يمكنه أن يعبّر عنه وكيف أن هذا العمل يحير العقول... وقال إنها ربما كانت عندها حساسية معينة من مادة ما، مجرد احتمال، فأمراض الحساسية أشياء غريبة.

كما قال إن على رئيس المفتشين كرادوك أن يعتمد على أي تعاون ممكن من أستوديوهات هيلينغفورث أو أي واحد من العاملين الذين يمكنهم التعاون. طلب منه أن يسأل ما بدا له ويذهب إلى حيث يشاء، وقال إنهم إذا كانوا يستطيعون مساعدته بأية طريقة فإنهم لن يتوانوا في ذلك، وقال إنهم جميعاً يكنّون للسيدة بادكوك كل الاحترام ويعظمون فيها وعيها الاجتماعي القوي والعمل القيّم الذي فعلته لصالح جمعية مستشفى سينت جون الميداني.

ثم عاد يحوم حول نفس الأفكار ولكن بكلمات مختلفة: لا أحد يمكن أن يكون أكثر منه لهفة على التعاون، وفي الوقت

نفسه سعى إلى تبليغه بأن هذا العمل بعيد كل البعد عن عالم السينما الشفاف، وذكر أن السيد جيسن رَدْ وماريتا غريغ أو أياً من العاملين في البيت سيبذلون قصارى جهودهم للمساعدة بأية طريقة ممكنة، كما أومأ برأسه بضعاً وأربعين مرة.

وانتهز ديرموت كرادوك فرصة سكوته ليقول: "شكراً جزيلاً". قالها بنبرة هادئة لكنها تدل على إنهاء الحديث ممّا جعل السيد هيلي بريستون يتوقف فجأة بحركة تدل على المفاجأة. قال: حسناً...

- هل قلتَ إن بإمكاني توجيه الأسئلة؟

- بالتأكيد، بالتأكيد. اسأل كما تُحب.

- هل هذا هو المكان الذي ماتت فيه؟

- السيدة بادكوك؟

- نعم، السيدة بادكوك. هل هذا هو المكان؟

- نعم، بالتأكيد. هنا تماماً، يمكنني أن أريك الكرسي. كانا يقفان عند الردهة أعلى الدرج.

وسار هيلي بريستون مسافة قصيرة في الممر وأشار إلى كرسي من خشب البلوط وقال: كانت تجلس هنا بالضبط، قالت إنها تشعر بالتعب فذهب شخص ليحضر لها شيئاً، ثم ماتت هنا مباشرة.

- فهمت.

- لا أدري إن كانت قد زارت طبيباً في الفترة الأخيرة أو كان

أحد قد حذّرها من وجود شيء غير طبيعي في قلبها.

- لم يكن في قلبها أي شيء غير طبيعي. كانت امرأة متعافية، وقد ماتت نتيجة تناولها جرعة مضاعفة ست مرات من مادة لن أحاول لفظ الاسم الرسمي لها لكني فهمت بأنها معروفة باسم «كالمو».

- أعرف، أعرف. أنا شخصياً أتناوله في بعض الأحيان.

- أحقاً؟ هذا مثير جداً، وهل تجد أن له تأثيراً؟

- إنه يجعلك تشعر بالارتياح والهدوء، لكن عليك أن تتناوله حسب الجرعة الصحيحة.

- هل يوجد الكثير من هذه المادة في البيت؟

كان يعرف الرد على هذا السؤال لكنه طرحه وكأنه لم يكن يعرف، وكانت إجابة هيلي بريستون هي الصراحة بعينها: أعتقد أن هناك الكثير منه. ستجد زجاجة منه في أغلب خزائن الحمامات هنا.

- وهذا ما لا يسهّل مهمتنا.

- فعلاً. ربما تكون هي قد أخذت الدواء وكانت تشكو من حساسية منه.

بدا كرادوك غير مقتنع، وتنهّد هيلي بريستون وقال: هل أنت متأكد تماماً بخصوص الجرعة؟

- آه، نعم؛ كانت جرعة قاتلة. ولم تكن السيدة بادكوك تتناول

أشياء كهذه، بل نستطيع أن نقول إن الأدوية الوحيدة التي كانت تتناولها هي بيكربونات الصوديوم والأسبرين.

هز هيلي بريستون رأسه وقال: هذا يفتح الباب أمام إشارات استفهام عديدة... لا شك أنها مشكلة.

- أين كان السيد رَدْ وزوجته يستقبلان ضيوفهما؟

ذهب هيلي بريستون إلى المنطقة عند أعلى الدرج وقال: هنا تماماً.

وقف رئيس المفتشين كرادوك بجانبه ونظر إلى الجدار الذي يقابله. كان هناك في وسط الحائط لوحة إيطالية لمريم العذراء مع طفل، وفكر أنها كانت نسخة جيدة عن لوحة معروفة. كانت السيدة العذراء تلبس ثوباً أزرق وتحمل الطفل عالياً، وكان الطفل وأمه يضحكان، وعلى الجانبين مجموعات صغيرة من الناس وعيونهم مرفوعة باتجاه الطفل. وفكر كرادوك بأنها واحدة من اللوحات الجميلة. وعلى جانبَي هذه اللوحة كان هناك نافذتان ضيقتان، كان المنظر كله ساحراً جداً، لكن لم يكن هناك ما يمكن أن يجعل امرأة تبدو مثل سيدة شالوت التي حل عليها القضاء المحتوم.

سأله: أكان الناس يصعدون الدرج؟

- نعم؛ كانوا يأتون بأعداد قليلة، فلم تكن تأتي مجموعة كبيرة منهم في وقت واحد. كنت أحضر أنا بعضهم وكانت إيلا زيلنسكي سكرتيرة السيد رد تُحضر الآخرين. لقد أحببنا أن نجعل الحفل جميلاً وغير رسمي.

- هل كنت أنت هنا عندما جاءت السيدة بادكوك؟

- لشد ما يؤسفني أن أقول لك إنني لا أتذكر. كانت معي لائحة بالأسماء وكنت أخرج لأحضر أصحابها إلى الداخل، كنت أقوم بالتعريف عليهم والإشراف على تقديم الضيافة لهم، ثم كنت أخرج بعد ذلك وأعود ومعي مجموعة أخرى... وإذ ذاك لم أكن أعرف شكل السيدة بادكوك ولا كانت ضمن القائمة التي أحضرتها.

- وماذا عن سيدة اسمها بانتري؟

- آه، نعم. المالكة السابقة لهذا المكان، أليس كذلك؟ أظن أنها وصلت مع السيدة بادكوك وزوجها في وقت واحد تقريباً.

وسكت ثم أضاف: وجاء المحافظ في تلك الفترة تقريباً، كان يلبس ملابسه الرسمية ومعه زوجته بشعرها الأصفر تلبس ثوباً أزرق أنيقاً ذا كشكش، أتذكّرهم جميعاً، ولم أقدّم الشراب لأي واحد منهم لأنه كان عليّ أن أنزل وأحضر المجموعة التالية.

- من الذي قدّم لهم الشراب؟

- لا أعرف بالضبط، كان ثلاثةٌ أو أربعةٌ منا يقومون بالواجبات، وأذكر أنني نزلت الدرج عندما كان المحافظ صاعداً.

- من كان أيضاً على الدرج عندما كنت تنزل، هل تذكر؟

- جيم غالبريث، وهو شاب يعمل في صحيفة تغطي هذا المهرجان. وكان يوجد أيضاً ثلاثة أو أربعة آخرون لا أعرفهم، كان هناك اثنان من المصورين أحدهما من القرية لا أذكر اسمه وفتاة دخيلة

على الفن من لندن تتخصص في أخذ الصور من زوايا غريبة، كانت كاميرتها موضوعة في تلك الزاوية حتى تصور السيدة مارينا غريغ وهي تستقبل ضيوفها. دعني أتذكّر الآن... أظن أن ذلك كان عندما وصل آردويك فين.

- ومن هو آردويك فين هذا؟

بدا هيلي بريستون مصدوماً: إنه نجم كبير يا حضرة المفتش، من ألمع نجوم السينما والتلفاز. ولم نكن نعرف أنه كان موجوداً في هذه البلدة.

- هل كان ظهوره مفاجأة؟

- أظن ذلك. جميل منه أن يأتي، فقد كان حضوره غير متوقع.

- هل كان صديقاً قديماً للسيدة غريغ والسيد رد؟

- كان صديقاً قديماً لمارينا عندما تزوجت زوجها الثاني قبل سنوات طويلة، لا أعرف مدى معرفة جيسن به.

- على أية حال كان وصوله مفاجأة جميلة؟

- بالتأكيد، لقد سررنا جميعاً.

أومأ كرادوك برأسه وانتقل من هذا الموضوع إلى موضوعات أخرى. أجرى تحريات دقيقة حول الأشربة ومكوّناتها وكيف كانت تُقدَّم ومَن الذي كان يقدمها ومَن هم الخدم الذين كانوا يعملون في

الحفل... كل الإجابات أكدت ما أشار إليه المفتش كورنيش: كل واحد من الثلاثين الذين حضروا الحفل كان بوسعه أن يسمّم هيذر بادكوك بمنتهى السهولة، ولكن مع ذلك فإن أي واحد من هؤلاء الثلاثين يمكن رؤيته بسهولة وهو يفعل ذلك! إنه أمر ينطوي على مخاطرة كبيرة.

قال أخيراً: أشكرك، أود الآن مقابلة مارينا غريغ إن أمكن.

هز هيلي بريستون رأسه وقال: أنا آسف، لأن هذا مستحيل.

هتف كرادوك بدهشة: وكيف ذلك؟

- إنها منهارة، منهارة تماماً. عندها طبيب يقوم على رعايتها، وقد كتب الطبيب شهادة عن حالتها وهي موجودة معي. سأريك إياها.

أخذها كرادوك وقرأها ثم قال: فهمت. ثم سأله: هل لمارينا غريغ طبيب يرعاها بصورة دائمة؟

- معظم الممثلين والممثلات حساسون متوترو الأعصاب؛ طبيعة حياتهم فيها توتر كبير، ويُنصَح النجوم الكبار عادة بتخصيص طبيب لهم يتفهم تركيبتهم وأعصابهم، وموريس غيلكرايست له سمعة كبيرة في هذا المجال. إنه يقوم على رعاية السيدة مارينا غريغ منذ عدة سنوات. لقد أُصيبت بعدد كبير من الأمراض في السنوات الأربع الماضية، ربما قرأت عن ذلك؛ لقد رقدت في المستشفى فترة طويلة من الزمن ولم تستعد قوتها وصحتها إلا منذ سنة واحدة تقريباً.

- فهمت.

بدا الارتياح على قسمات هيلي بريستون لأن كرادوك لم يُبدِ أي احتجاج. قال: أتريد رؤية السيد رَدْ؟ سوف يعود...

نظر إلى ساعته وأكمل: سيعود من الأستديوهات خلال عشر دقائق تقريباً إن كان ذلك يناسبك.

قال كرادوك: هذا مناسب تماماً. هل الدكتور غيلكرايست موجود في البيت؟

- نعم.

- إذن أود الحديث معه.

- بالتأكيد، سأذهب لأستدعيه في الحال.

أسرع الشاب ذاهباً، ووقف ديرموت كرادوك عند أعلى الدرج متأملاً. تلك النظرة الجامدة التي وصفتها السيدة بانتري قد تكون كلها من نسج خيالها، إنها امرأة متسرعة في إصدار الأحكام، ولكنْ يوجد احتمال في أن يكون الحكم الذي أصدرته صحيحاً. وبغض النظر عن وصف مارينا غريغ بأنها تشبه سيدة شالوت وهي ترى قدرها يداهمها، فقد تكون رأت شيئاً أغاظها أو أزعجها، شيئاً جعلها تهمل ضيفتها التي كانت تتحدث معها. ربما كان شخص ما يصعد الدرج وكان ضيفاً غير متوقع أو غير مرغوب.

التفت عند سماعه وقع أقدام. كان هيلي بريستون عائداً ومعه الدكتور موريس غيلكرايست. لم يكن كما تخيله ديرموت كرادوك تماماً، لم يكن في الحدب الرقيق للأطباء كما لم يكن مظهرياً في

سلوكه، بل بدا -في الظاهر- رجلاً فظاً قوياً وواقعياً. كان يلبس بدلة صوفية مزخرفة بعض الشيء وكان شعره بنياً خفيفاً وعيناه سوداوين ثاقبتي البصر.

- دكتور غيلكرايست؟ أنا كبير المفتشين ديرموت كرادوك، هل لي بالحديث معك على انفراد بعض الوقت؟

أومأ الطبيب برأسه واستدار باتجاه الممر، ثم خطا إلى آخره تقريباً حيث دفع أحد الأبواب ودعا كرادوك للدخول. قال: لا أحد سيضايقنا هنا.

كانت غرفة مؤثثة بشكل جيد، وكان واضحاً أنها غرفة نوم الطبيب. أومأ الطبيب إلى أحد الكراسي وجلس هو على الآخر.

قال كرادوك: لقد فهمت من شهادتك أن السيدة مارينا غريغ غير قادرة على مقابلة أحد. ما هي مشكلتها يا حضرة الطبيب؟

هز غيلكرايست كتفيه قليلاً وقال: أعصاب... إذا أردت توجيه الأسئلة إليها الآن فستصل إلى حالة تشبه الهستيريا خلال عشر دقائق. لا يمكن أن أسمح بذلك، ولهذا السبب بالذات لم تستطع حضور التحقيق. إن أحببت أن تُرسل لي طبيب الشرطة عندكم لرؤيتي فسوف أرحب بشرح الوضع له.

- ما هي المدة التي يحتمل أن تبقى فيها على هذه الحالة؟

نظر الدكتور غيلكرايست إليه وابتسم، وكانت ابتسامة جميلة، ثم قال: إذا أردت رأيي، أعني رأيي الإنساني وليس الطبي، فإنها في

أي وقت بعد الثماني والأربعين ساعة القادمة ستكون في وضع يسمح لها بذلك، وعندها لن تكون مستعدة لذلك فحسب بل ستطلب هي رؤيتك! ستكون بحاجة إلى طرح أسئلة وإلى الإجابة عن أسئلتك... إنهن كذلك!

ومال إلى الأمام ثم أضاف: سأشرح لك قدر الإمكان -يا حضرة المفتش- شيئاً عن الذي يجعل هؤلاء الناس يتصرفون بالطريقة التي يتصرفون بها. إن حياة أهل السينما هي توتر وإجهاد مستمر، وكلما كنتَ ناجحاً أكثر كان التوتر والإجهاد أكبر. أنت تعيش دائماً في أعين الجمهور، ولدى التصوير تعمل ساعات طويلة رتيبة وقاسية. عندما تقوم بالتدرب على مسرحية فإنك تتدرب على فصل كامل من المسرحية، أو على مشهد على الأقل. وتمثل دورك الصغير ثم تكرره وتعيده، على عكس السينما التي ليس فيها إلا مشاهد متقطعة مجتزأة من سياقها ورتيبة ومملة... إنه عمل شاق متعب. وأنت تعيش مرفَّهاً بالطبع؛ فلديك أدوية مهدئة ولديك حمامات وأنواع الكريم والمساحيق والعناية الطبية، ولديك أوقات استرخاء وراحة وحفلات وأناس حولك... ولكنك دوماً أمام أعين الجمهور، ولذلك لا تستطيع أن تتمتع بهدوء وسلام؛ لا تستطيع حقاً أن تسترخي أبداً.

- أستطيع فهم ذلك. نعم، أفهمه.

- وثمة أمر آخر. إذا عملت في هذه المهنة، وخصوصاً إذا ما حققت نجاحاً، فإنك تصبح شخصاً من طابع معين. تصبح -حسب خبرتي- شخصاً لا حول له ولا قوة، شخصاً مبتلى طول الوقت بالحياء الناتج عن عدم الثقة بالنفس، ينتابك إحساس مخيف بعدم

الثقة أو بالخشية من عدم قدرتك على أداء ما هو مطلوب منك. يظن الناس أن الممثلين والممثلات مغرورون وهذا ليس صحيحاً. إنهم غير معجبين بأنفسهم فحسب، بل هم مهووسون بها، لكنهم يحتاجون إلى ثقة بالنفس طول الوقت، يجب إشعارهم بذلك باستمرار... لو سألت جيسن رد فسوف يؤكد لك المعنى نفسه: إنهم يشكّون في أنفسهم وعليك أن تُشعرهم بأنهم قادرون على فعل ذلك الأمر، يجب أن تشجعهم باستمرار حتى تحصل على النتيجة المرجوة. ومن هنا فإنهم -حسبما يقول العامة- عصبيون جداً، كتلة متحركة من الأعصاب، وكلما توترت أعصابهم أكثر أصبح أداؤهم أفضل.

- هذا مثير، مثير جداً. رغم أنني لا أفهم تماماً السبب الذي يدعوك...

- إنني أحاول جعلك تفهم مارينا غريغ، لا شك أنك رأيت أفلامها.

قال كرادوك: إنها ممثلة رائعة، إنها ذات شخصية قوية وهي جميلة وعاطفية.

- نعم، إنها تملك كل هذه الصفات، ولكن كان عليها أن تعمل بشكل لا يُطاق حتى تظهر النتائج التي أظهرتها. إن أعصابها تنهار تدريجياً، مع العلم أنها غير قوية من الناحية الجسمية، ليس بالقوة التي تلزمها، ومزاجها متقلب بين اليأس والنشوة. لا بد لها من ذلك؛ فهي قد خُلقت هكذا وعانت الكثير في حياتها، ورغم أنها مسؤولة عن جزء كبير من معاناتها إلا أنها ليست الملومة على كل شيء. لم تكن أيٌّ من زيجاتها سعيدة ما عدا هذا الزواج الأخير حسب ظني.

إن جيسن رَدْ يحبها كثيراً وهي سعيدة بهذا الحب وتحتمي به، الآن على الأقل. لا نعرف كم سيدوم هذا، إنها تعيش بين مدّ وجزر... المشكلة فيها هي أنها أحياناً تحس بأن كل شيء على ما يرام وأنها تملك سعادة الدنيا بين يديها وأنها وصلت إلى مرحلة تحقق فيها كل شيء كانت تعتبره أحلاماً وأن التعاسة لن تنال منها أبداً، وأحياناً أخرى تراها امرأة محطمة غارقة في الكآبة وكأنها لم تذق للسعادة طعماً ولن تذوق... ليتها تستطيع أن تقف في منتصف الطريق بين هذين الأمرين! سيكون ذلك رائعاً بالنسبة لها، ولكن العالم سيفتقد عندها ممثلة رائعة.

سكت، لكن ديرموت كرادوك لم يتكلم. كان يتساءل لماذا كان موريس غيلكرايست يقول ما قاله؟ لماذا هذا التحليل المفصل الدقيق لمارينا غريغ؟ كان غيلكرايست ينظر إليه وكأنه كان يدفع ديرموت ليسأل سؤالاً محدداً، وتساءل ديرموت كثيراً عمّا يمكن أن يكونه هذا السؤال، وأخيراً قال بأسلوب شخص يتلمس طريقه: هل انزعجت كثيراً لهذه المأساة التي وقعت هنا؟

- نعم، لقد انزعجت.

- أكان ذلك بطريقة غير طبيعية؟

- هذا يعتمد.

- يعتمد على ماذا؟

- على السبب الذي أزعجها.

قال ديرموت وهو يتلمس طريقه: أظن أن ذلك كان صدمة؛ أن تموت واحدة فجأة وسط تلك الحفلة.

لم ير استجابة تُذكر في وجه الطبيب، فقال: أم أنه كان أكثر من مجرد صدمة؟

قال الطبيب: لا تستطيع أن تتنبأ كيف ستكون ردة فعل الناس تجاه حدث ما، حتى الذين تعرفهم معرفة جيدة يفاجؤونك. ربما تلقت مارينا ذلك بالشكل الطبيعي دون أن تجد في تلقيه أي صعوبة، إنها ذات قلب رقيق. ربما قالت: آه، مسكينة، امرأة مسكينة، يا لها من مأساة! ترى كيف يمكن أن يحدث هذا؟ ربما أبدت تعاطفاً دون أن تكون مهتمة حقاً، فهي قد اعتادت على مشاهد الوفاة في حفلات السينما، ربما اختارت -دونما وعي منها- أن تجعل من المناسبة مشهداً تمثيلياً تقدمه. وربما، وربما...

قرر ديرموت أن يمسك زمام الأمور. قال: أريد أن أعرف وجهة نظرك الشخصية.

قال الدكتور غيلكرايست: "لا أدري، لست واثقاً". وسكت قليلاً ثم قال: أنت تعلم أن آداب المهنة تحتم الحفاظ على سرية العلاقة بين الطبيب والمريض.

- هل أخبرتك شيئاً؟

- لا أستطيع أن أقول أكثر من هذا.

- هل كانت مارينا غريغ تعرف هيذر بادكوك؟ هل التقت بها من قبل؟

- لا أظن أنها كانت تتذكرها. ليست هذه هي المشكلة، إن أردت رأيي فالأمر لا علاقة له بهيذر بادكوك.

- ذلك الدواء، هل كانت مارينا غريغ تستخدمه؟

- إنها تعيش عليه هي وغيرها. إيلا زيلنسكي تتناوله، وهيلي بريستون يتناوله... نصف الناس يتناولونه. إنه موضة هذا الوقت، يسأم الناس من دواء فيجربون دواء يدخل السوق حديثاً ويظنون أنه رائع وأنه مختلف تماماً عن سابقه.

- وهل هو نافع؟

- إنه يؤثر في نفسية الإنسان: يهدئك، ينشطك، يجعلك تشعر أنك تستطيع فعل أشياء كنت تتخيل أنك لا تستطيع فعلها لولاه. أنا أحاول أن أتجنّب وصفه للمرضى، لكنه ليس خطيراً إذا أُخذ بطريقة صحيحة؛ إنه يساعد الأشخاص الذين لا حول لهم ولا قوة.

- ليتني أعرف ما الذي تحاول قوله لي.

- إنني أحاول أن أحدد ما هو واجبي. لديّ واجبان: واجب الطبيب بالحفاظ على سرية ما بينه وبين المريض، وواجبه الآخر في اتخاذ الخطوات اللازمة لتجنيب مريضه خطراً متوقعاً.

سكت، ونظر كرادوك إليه وهو ينتظر.

قال الدكتور غيلكرايست: نعم، أعتقد أنني أعرف ما يجب

عليّ عمله؛ أريد أن أطلب منك يا حضرة المفتش كرادوك بأن تبقي ما سأقوله لك سراً، ليس عن زملائك بالطبع ولكن عن الناس الآخرين، وخصوصاً أهل البيت هنا. هل أنت موافق؟

قال كرادوك: لا أستطيع أن أعدك؛ فأنا لا أعرف ماذا سيستجدّ. على العموم أنا موافق على أن أبقي المعلومات التي تقدمها لي سراً بيني وبين زملائي.

- والآن اسمع: ربما لا يكون لها أي قيمة، فالنساء يقلن أشياء كثيرة في أحوال كالتي فيها مارينا غريغ الآن. سأقول لك شيئاً قالته لي، ربما لا تكون له أي أهمية.

- ماذا قالت؟

- لقد انهارت بعد أن حدث هذا الشيء وأرسلت في طلبي، فأعطيتها مهدّئاً وبقيت هناك إلى جانبها، أمسك بيدها وأهدّئها وأقول لها إن الأمور ستكون على ما يرام. وقبل أن تدخل في حالة اللاوعي قالت: كنت أنا المقصودة يا دكتور.

حدّق كرادوك إليه وقال: هل قالت ذلك؟ وبعد ذلك، ماذا قالت في اليوم التالي؟

- لم تشر إلى هذه النقطة ثانية أبداً. حاولت أن أفتح الموضوع لكنها تهربت من ذلك، قالت: أنت مخطئ بالتأكيد، أنا واثقة من أنني لم أقل شيئاً كهذا. أظن أنني كنت نصف مخدَّرة في ذلك الوقت.

- ولكن أنت تعتقد أنها كانت تعني ما تقول؟

- لا شك في ذلك.

ثم أضاف محذّراً: ولكن هذا لا يعني أن الأمر صحيح. ربما يكون الشخص قد قصد قتلها وربما يكون قصد قتل هيذر بادكوك... أنت تعرف عن هذا أكثر مني، كل ما أستطيع قوله هو أن مارينا غريغ اعتقدت -بلا ريب- أن الجرعة قد وُضعت لها هي.

بقي كرادوك ساكتاً بضع لحظات، ثم قال: أشكرك يا دكتور غيلكرايست. إنني أقدّر ما أخبرتني به وأنا متفهم لدافعك، إن كان ما قالته مارينا غريغ لك صحيحاً فهذا يعني أن الخطر ما زال يهددها؛ أليس كذلك؟

- تلك هي القضية، تلك هي مجمل القضية.

- هل لديك أي سبب يدعوك للاعتقاد بأن ما ذكرته قد يكون صحيحاً؟

- لا، ليس عندي.

- ألا تعرف شيئاً عن السبب الذي جعلها تعتقد ذلك؟

- لا أعرف.

- شكراً لك.

نهض كرادوك وقال: بقي شيء واحد فقط يا حضرة الطبيب: هل تعرف إن كانت قد قالت الشيء نفسه لزوجها؟

هز غيلكرايست رأسه نافياً ببطء وقال: لا ، أنا واثق من أنها لم تخبر زوجها.

قابلت عيناه عينَي ديرموت بضع لحظات، ثم أومأ برأسه إيماءة قصيرة وقال: هل تحتاج إلى شيء آخر؟ حسناً. سأعود لأرى المريضة، وسوف تتحدث معها حالما تسمح حالتها.

غادر الغرفة وبقي كرادوك يزم شفتيه ويصفر بصوت خفيف.

* * *

الفصل العاشر

قال هيلي بريستون: لقد عاد جيسن الآن. هلا تفضلت معي حضرة المفتش، سآخذك إلى غرفته.

كانت الغرفة التي يستخدمها جيسن مكتباً أُلحقت به غرفة جلوس في الطابق الأول مؤثثة أثاثاً مريحاً رغم أنه ليس بالفاخر، ولم تكن تعطي انطباعاً محدداً عن شخصيته وذوقه الخاص أو عن ميوله. عندما نهض جيسن من كرسي مكتبه واتجه لتحية ديرموت قال ديرموت في نفسه: لا حاجة لي بما توحيه الغرفة، إنه ذو شخصية مؤثرة. كان هيلي بريستون ثرثاراً مهذاراً، وكانت لغيلكرايست قوته وجاذبيته، أما هذا الرجل الماثل أمامي الآن فلن يكون من السهل فهمه.

خلال سنوات عمله الطويلة مفتشاً تكونت لدى ديرموت ملكة في فهم شخصيات الناس وقراءة أفكارهم أحياناً، لكنه شعر الآن أنه أمام شخص لا يحصل المرء من أفكاره إلاّ على ما يريد هو أن يبوح به. العينان غائرتان متأملتان لا توحيان بشيء، والرأس قبيح غريب الشكل لكنه ينبئ بذكاء خارق، والوجه كوجه المهرج قد يُنفّرك أو

يجذبك... رأى ديرموت كرادوك أنه هنا يستطيع أن يجلس ويستمع ويسجل ملاحظات دقيقة جداً.

- آسف يا حضرة المفتش إن كنت قد انتظرتني، لقد أخرتني بعض المتاعب في الأستوديوهات، هل أقدم لك شراباً؟

- ليس الآن، أشكرك يا سيد رد.

تجعد وجه المهرج فجأة وبدا ساخراً: إنه ليس بيتاً يمكن للمرء أن يشرب فيه شيئاً، أليس ذلك ما تفكر فيه؟

- في الحقيقة لم أكن أفكر بذلك.

- نعم، لا أظن ذلك. حسناً يا حضرة المفتش، ما الذي تود معرفته؟ ماذا يمكنني أن أقول لك؟

- لقد أجاب السيد بريستون على جميع أسئلتي إجابة كافية.

- وهل أفادك هذا؟

- ليست الإفادة التي كنت أرجوها.

بدا جيسن رد متسائلاً، فقال المفتش: لقد رأيت أيضاً الدكتور غيلكرايست، وقد أخبرني أن زوجتك ليست متعافية حتى تجيب على أسئلتي.

- مارينا حساسة جداً، وبصراحة فهي عرضة لنوبات عصبية، ونحن نخشى أن تؤدي جريمة القتل هذه إلى إحدى تلك النوبات.

وافقه ديرموت كرادوك بجفاء قائلاً: إنها ليست تجربة سارة.

- على أية حال، لا أظن أن زوجتي يمكن أن تبلغك شيئاً لا أستطيع أنا أن أبلِغكَ به. لقد كنا معاً عندما حدث الأمر، بل أظن -بصراحة- أن ملاحظتي أقوى من ملاحظة زوجتي.

- قبل كل شيء أريد أن أعيد عليك هذا السؤال: هل كنت أنت أو زوجتك تعرفان هيذر بادكوك؟

هزّ جيسن رد رأسه بالنفي قائلاً: لا، أبداً. أنا لم أرَ هذه المرأة في حياتي من قبل. نعم، استلمت منها رسالتين نيابة عن جمعية مستشفى سينت جون الميداني، لكني لم ألتقِ بها شخصياً إلاّ قبل وفاتها بخمس دقائق تقريباً.

- لكنها زعمت أنها قابلت زوجتك؟

أومأ جيسن: نعم، قبل اثنتي عشرة سنة أو ثلاث عشرة كما فهمت. في برمودا، كانت هناك حفلة كبيرة في الحديقة افتتحتها مارينا لمساعدة المستشفى نفسه. وفي هذه المرة الأخيرة عندما التقت مارينا بالسيدة بادكوك راحت هذه تروي لها رواية طويلة تشرح فيها كيف أنها كانت طريحة الفراش بسبب الزكام ثم نهضت من سريرها وجاءت إلى هذه الحفلة وطلبت الحصول على توقيع زوجتي وحصلت عليه.

ارتسمت على وجهه ابتسامة ساخرة مرة أخرى، وأضاف: هذا شيء شائع جداً يا حضرة المفتش؛ حشود كبيرة من الناس تصطفّ عادة للحصول على توقيع زوجتي. هذه بالنسبة إليهم لحظة لا ينسونها، إنها حدث مهم في حياتهم. ومن الطبيعي أيضاً أن

لا تتذكر زوجتي واحدة من بين ألف شخص جاؤوا للحصول على توقيعها، وبصراحة إنها لا تتذكر أنها رأت السيدة بادكوك من قبل.

- أفهم هذا جيداً. أخبرتني إحدى الحاضرات -يا سيد رد- أن زوجتك كانت شاردة الذهن قليلاً خلال اللحظات القليلة التي كانت هيذر بادكوك تتكلم فيها معها، هل تتفق معها على ذلك؟

- محتمل جداً. لم تكن مارينا قوية بشكل متميز، لقد كانت معتادة على عملها الاجتماعي العام وكانت تؤدي واجباتها تلك بطريقة آلية تقريباً، لكنها في آخر النهار كانت تشعر بشيء من الفتور والتعب أحياناً، وربما كانت تلك لحظة فتور عندها، مع أنني لم ألحظ عليها -شخصياً- شيئاً من هذا القبيل. عفواً، لحظة لو سمحت... تذكرت، إنها كانت بطيئة نوعاً ما في ردّها على السيدة بادكوك، وأعتقد أنني وكزتها وكزة خفيفة في خاصرتها.

- ربما كان هناك شيء لفت انتباهها؟

- ممكن، وربما كان ذلك مجرد شطحة ذهنية مؤقتة بسبب التعب.

ظل ديرموت كرادوك صامتاً بضع دقائق ينظر من النافذة. كان المنظر معتماً نوعاً ما بسبب الغابات التي تحيط بالمنزل، ونقل نظره في اللوحات على الحائط، وأخيراً نظر إلى جيسن رد. كان مصغياً ولم يكن وجهه يعكس أي شيء مما في داخله، كان يبدو لطيفاً ومرتاحاً تماماً، لكن كرادوك فكر بأنه ربما لا يكون كذلك في الواقع.

إنه رجل ذو قدرة عقلية عالية. وفكر ديرموت بأنه ليس بوسع

المرء أن يحصل على أي شيء من هذا الرجل ما لم يكن هو مستعداً لقوله، اللهم إلاّ إذا وضع المرء أوراقه كلها على المائدة ولعب على المكشوف. وسرعان ما اتخذ ديرموت قراره، هذا بالضبط ما سيفعله. قال: هل خطر لك -يا سيد رد- أن تسميم هيذر بادكوك ربما كان حادثاً غير مقصود وأن المقصودة حقيقة كانت زوجتك؟

ساد بعض الصمت. لم تتغير ملامح جيسن رد، وفي النهاية تنهد بعمق وبدا مرتاحاً، ثم قال بهدوء: نعم، إنك مصيب تماماً يا حضرة المفتش. كنت واثقاً من ذلك منذ البداية.

- لكنك لم تقل شيئاً حول هذه الحقيقة، لا للمفتش كورنيش ولا أثناء التحقيق.

- نعم، لم أفعل.

- لماذا يا سيد رد؟

- يمكنني الإجابة عن سؤالك إجابة وافية بقولي إنه كان مجرد اعتقاد لا يدعمه أي دليل، فضلاً عن أن الحقائق التي دفعتني إلى هذا الاستنتاج كانت متوفرة بنفس السهولة أمام المحققين، وهم أقدر مني على تقرير ذلك. أنا لا أعرف عن السيدة بادكوك شخصياً أي شيء. قد يكون لها أعداء، ورغم أنه أمرٌ غريب جداً ومستبعَد؛ إلا أنه ربما قرّر أحدهم وضع الجرعة القاتلة لها في هذا الحفل بالتحديد وذلك لتوسيع دائرة الاتهام بصورة كبيرة يصعب معها الوصول إلى الشخص الذي ارتكب هذه الجريمة. كل هذا صحيح وكان بوسعي أن أقوله لتبرير سكوتي، لكني سأكون صريحاً معك حضرة المفتش: لم يكن

ذلك هو سبب سكوتي، لقد سكتُّ لأني لم أرد أن تشك زوجتي للحظة واحدة في أنها كانت هي المقصودة.

- أشكرك على صراحتك، رغم أن دافعك ما زال غير واضح لديّ.

- حقاً؟ ربما كان في توضيح ذلك بعض الصعوبة. يجب أن تعرف مارينا حتى تفهم ما أعنيه. إنها إنسانة تحتاج إلى السعادة والأمن فعلاً، نعم، كانت حياتها ناجحة جداً من حيث المفهوم المادي؛ فقد اكتسبت شهرة فنية كبيرة، لكن حياتها الشخصية حياة بائسة. كانت -بين وقتٍ وآخر- تظن أنها قد وجدت السعادة ولذلك تشعر بالبهجة العارمة، ولكن آمالها هذه ما تلبث أن تتحطم في كل مرة. إنها عاجزة عن النظر إلى الحياة نظرة عقلانية متبصرة يا سيد كرادوك، كانت تتوقع في زيجاتها السابقة أن تعيش سعيدة إلى الأبد مثل طفل يقرأ حكاية خيالية حالمة.

مرة أخرى ارتسمت الابتسامة على وجه جيسن رد فغيرت وجه المهرج القبيح وجعلته فجأة وجهاً لطيفاً على نحو غريب. ومضى قائلاً: لكن الزواج ليس هكذا يا حضرة المفتش. لا يمكن أن تكون البهجة دائمة، وسنكون محظوظين فعلاً إذا استطعنا تحقيق حياة هادئة وقانعة وجميلة وسعيدة. ثم أضاف متسائلاً: هل أنت متزوج يا حضرة المفتش؟

هز ديرموت كرادوك رأسه وتمتم: لم أنل حتى الآن ذلك الحظ الجيد أو السيء.

- الزواج في عالمنا (أقصد عالم السينما) يُعَدّ مجازفة مهنية تماماً. نجوم السينما يتزوجون كثيراً، أحياناً يكون زواجاً سعيداً وأحياناً يكون كارثة، لكنه نادراً ما يدوم. ورغم أنه ليس لدى مارينا أي سبب وجيه للشكوى إلا أن طبيعتها الخاصة تجعلها تختلق ألف سبب وسبب لتندب حظها. لقد أقنعت نفسها بأنها غير محظوظة وأنها فاشلة في حياتها دائماً، كانت تنظر إلى الحب والسعادة والعاطفة والأمن نظرة يائسة، كانت متلهفة جداً على إنجاب طفل مما أعطى نتيجة عكسية كما تقول بعض الآراء الطبية، حتى لقد نصحها أحد الأطباء المشهورين بتبني طفل قائلاً إن ذلك سيخفف من الرغبة الشديدة بالأمومة مما يجعل الإنجاب ممكناً بعد فترة قصيرة.

لقد تبنت مارينا ما لا يقل عن ثلاثة أطفال. ولبعض الوقت وفر لها ذلك شيئاً من السعادة والصفاء، لكنه لم يكن حقيقياً. تخيّل كم كانت بهجتها عظيمة عندما علمت بأنها ستنجب مولوداً قبل إحدى عشرة سنة، شيء لا يمكن وصفه! كانت صحتها جيدة وحملها طبيعياً، ولكن النتيجة كانت مأساوية: أنجبت طفلاً معاقاً عقلياً، وعلى إثر ذلك انهارت انهياراً تاماً ومرضت بضع سنوات وحُبست في أحد المصحات. وقد تعافت من مرضها ببطء شديد، ثم تزوجنا بعد ذلك بوقت قصير وعادت للاهتمام بالحياة من جديد وللإحساس بأنها يمكن أن تكون سعيدة. كان صعباً عليها في البداية أن تجد عقد عمل جيداً لفِلم سينمائي، فقد كان الجميع يشكّون إن كانت صحتها ستمكّنها من تحمل الإجهاد في العمل والتمثيل مرة أخرى، وكان عليّ أن أحارب من أجل ذلك.

وزمّ جيسن شفتيه بإصرار: كانت معركة ناجحة، وبدأنا تمثيل

الفِلم. اشترينا هذا البيت وبدأنا بعمل التغييرات عليه، وقبل أسبوعين فقط كانت مارينا تقول لي إنها ستعيش هنا حياة عائلية مستقرة وسعيدة وتلقي متاعبها وراء ظهرها. لم أكن مرتاحاً بالطبع لهذا التفاؤل الكبير ولكن لم يكن لديّ شك في أنها كانت سعيدة، وقد اختفت أعراض مرضها العصبي. كانت هادئة وساكنة بصورة لم أرها فيها من قبل، كل شيء كان على ما يرام إلى أن...

سكت، وأصبح صوته -فجأة- مليئاً بالمرارة، ثم قال: إلى أن حدث هذا! هل كان على تلك المرأة أن تموت هنا؟! ذلك بحد ذاته صدمة كافية، فكيف لي أن أخاطر بأن تعرف مارينا بأن محاولة قد جرت لقتلها هي؟ سيكون ذلك كارثة تهدد كيانها بالتأكيد، وربما أدت إلى انهيار عقلي آخر.

نظر إلى ديرموت مباشرة: هل تفهم الآن؟

- أفهم وجهة نظرك، ولكن اسمح لي: ألم تغفل عاملاً مهماً في حديثك؟ لقد أبديت قناعتك بوجود محاولة قد جرت لقتل زوجتك، ولكن ألا ترى أن الخطر ما زال قائماً؟ أليس من المحتمل أن ينجح القاتل في المرة الثانية فيما فشل فيه في المرة الأولى؟

- لقد فكرت في هذا الأمر بالفعل، ولكني الآن بعد أن شعرت بالخطر سآخذ جميع الاحتياطات الممكنة لحماية زوجتي؛ سأحرسها وأجعل الآخرين يحرسونها، أهم شيء هو أن لا تعرف هي أن خطراً يتهددها.

قال ديرموت بحذر: وهل تعتقد أنها لا تعرف؟

- بالطبع لا تعرف، ليس لديها أي فكرة.

- هل أنت واثق من هذا؟

- بالتأكيد، لن تخطر ببالها فكرة كهذه أبداً.

- لكنها خطرت لك.

- هذا أمر مختلف تماماً، فقد كان ذلك هو الحلّ المنطقي الوحيد لهذا اللغز. ولكن امرأتي لا تتعامل بالمنطق، وهي لا يمكنها -بداية- أن تتخيل وجود أحد يريد قتلها. لن يخطر لها ذلك على بال.

- قد تكون مصيباً، لكن هذا يفتح الباب أمام تساؤلات كثيرة. دعني أسألك بصراحة مرة أخرى: من الذي تشك فيه؟

- لا أستطيع أن أقول لك.

- أرجو المعذرة يا سيد رد. هل تقصد بذلك أنك لا تستطيع أم أنك لا تريد؟

تكلم جيسن رد بسرعة: لا أستطيع، لا أستطيع. كلما فكرت في الأمر بدا لي أنه من المستحيل أن يكرهها أحد ويحمل لها ضغينة إلى هذه الدرجة، ولكن الحقائق تقول شيئاً آخر.

- هلاّ أوضحت لي الحقائق كما تراها أنت؟

- حسناً، الظروف واضحة تماماً. لقد صببتُ كأسين من عصير الفاكهة المشكّلة الطبيعي من إبريق كان مُعَدّاً سلفاً. أخذتهما لمارينا والسيدة بادكوك، ولا أعرف ما الذي فعلته السيدة بادكوك، أظن

أنها تركت المكان لتتكلم مع شخص كانت تعرفه. كانت زوجتي تحمل شرابها بيدها وفي تلك اللحظة كان المحافظ وزوجته قادمين. وضعت كأسها دون أن تشرب منه وحيتهما، ثم حيّت أُناساً غيرهم... صديقاً قديماً لم نكن قد رأيناه من سنوات وبعض الأهالي المحليين وشخصاً أو شخصين من الأستوديوهات. كان كأس العصير موضوعاً على الطاولة التي كانت وراءنا، فقد تقدمنا إلى الأمام قليلاً نحو أعلى الدرج، ثم أُخذت بعض الصور لزوجتي وهي تتحدث مع المحافظ بناء على طلب خاص من ممثلي الصحيفة المحلية باعتبار أن ذلك سيفرح سكان المنطقة، وخلال ذلك أحضرت أنا شراباً جديداً لبعض الذين وصلوا أخيراً، ولا بد أن السم قد وُضع في كأس زوجتي في أثناء تلك الفترة. لا تسألني كيف حدث ذلك... إنه ليس بالأمر السهل. أمر مخيف أن يكون لذلك القاتل تلك الأعصاب التي ينفّذ بها جريمته في مثل هذه الظروف. تسألني إن كانت عندي شكوك؟ إن كل ما يمكنني قوله هو أن أي واحد من بين عشرين شخصاً تقريباً كان يمكن أن يفعل ذلك. كان الناس يتنقلون في المكان على شكل مجموعات صغيرة يتحدثون ومن وقت لآخر يذهبون لإلقاء نظرة على التغييرات التي عملناها في البيت. كانت هناك حركة، حركة متواصلة. فكرت وفكرت وأجهدتُ تفكيري ولكني لم أتوصل إلى شيء... لا شيء أبداً يوجه شكوكي باتجاه شخص محدد.

سكت وتنهد تنهيدة سخط، فقال ديرموت: أفهم ما تعنيه، أرجوك أن تواصل.

- أعتقد أنك تعرف ما حدث بعد ذلك.

- أحب أن أسمع ذلك مرة أخرى منك.

- حسناً، كنت قد عدتُ إلى أعلى الدرج. وكانت زوجتي قد استدارت نحو الطاولة ترفع كأسها عنها، وصاحت السيدة بادكوك صيحة خفيفة... لا بد أن واحداً قد وكزها من ذراعها فسقط الكأس من يدها وانكسر على الأرض، وكانت ثياب السيدة بادكوك قد ابتلت بالشراب ولكن مارينا قامت بواجبات المضيف. كان ثوبها قد لحقه شيء من السائل لكنها أكدت أنه لم يحدث أي ضرر، واستخدمت منديلها الخاص لتمسح السائل عن ثياب السيدة بادكوك وألحت عليها أن تشرب كأسها هي. إذا لم تخنّي الذاكرة فقد قالت: "لقد شربتُ الكثير". هذا ما حدث، لكني أستطيع أن أؤكد بأن الجرعة القاتلة لم يكن من الممكن أن توضع في الكأس بعد ذلك لأن السيدة بادكوك بدأت بشربه على الفور، وقد ماتت -كما تعرف- بعد ذلك بأربع دقائق أو خمس. تُرى... تُرى كيف شعر القاتل عندما أدرك فشل خطته؟

- هل خطر لك كل هذا في ذلك الوقت؟

- بالطبع لا. في ذلك الوقت ظننتُ أن تلك المرأة قد أصابتها نوبة قلبية، انسداد في الشريان التاجي أو شيء كهذا... لم يخطر ببالي أبداً وجود تسمم. هل كان ذلك سيخطر لك أو لأي شخص آخر؟

- ربما لا. إن روايتك واضحة بما فيه الكفاية وتبدو متأكداً مما تقول، ولكنني لا أستطيع تقبل فكرة أنك لا تشتبه بشخص محدَّد.

- أؤكد لك بأن هذه هي الحقيقة.

- دعنا ننظر إلى الأمر من زاوية أخرى. هل كان من الموجودين

أحد يتمنى الأذى لزوجتك؟ إن الأمر كله يبدو مثيراً عندما نعبر عنه على هذا النحو، ولكن لا مفر من سؤالك: من هم أعداؤها؟

- أعداء؟ أعداء؟ يصعب جداً تحديد ما يقصده المرء بهذه الكلمة. هناك الكثير من الغيرة والحسد في العالم الذي أعمل فيه أنا وزوجتي؛ هناك دائماً أناس يذيعون أشياء خبيثة وينشرون الهمس والشائعات وأناس لا يتورّعون عن فعل أشياء خسيسة للشخص الذي يغارون منه عندما تسنح لهم الفرصة. لكن هذا لا يعني أن أحداً من هؤلاء الناس قاتل... أو حتى قاتل محتمل. ألا توافقني على ذلك؟

- بلى، أوافقك الرأي. لا بد من وجود شيء آخر يفوق الكراهية والحسد السخيف. هل من أحد آذته زوجتك في الماضي مثلاً؟

لم يردّ جيسن على ذلك بسهولة، بل قطب جبينه برهة، وأخيراً قال: بصراحة، لا أعتقد ذلك. ويمكنني القول بأنني فكرت في هذه النقطة بالذات كثيراً.

- هل يوجد أي شيء كعلاقة حب أو ارتباط مع رجل معين؟

- كانت لها علاقات من هذا النوع بالطبع. من الممكن أن تكون مارينا قد عاملت رجلاً ما معاملة سيئة من وقت لآخر، ولكن ليس إلى درجة تُسبّب الحقد الدائم. أنا واثق من ذلك.

- وماذا عن النساء؟ هل توجد أي امرأة تكنُّ للسيدة غريغ حقداً دائماً؟

- لا تستطيع الجزم بأي موضوع عندما يتعلق الأمر بالنساء، لكن ليس في بالي امرأة معينة.

- مَن كان سيستفيد مالياً من وفاة زوجتك؟

- وصيتها تفيد أشخاصاً مختلفين، ولكن ليست بالفائدة الكبيرة. أظن أن الذين سيستفيدون مالياً من وفاتها هم أنا، كوني زوجاً لها، وربما النجمة التي يمكن أن تحل محلها في هذا الفِلم، رغم أن الفِلم ربما يتم التخلي عنه تماماً... فهذه الأشياء غير مؤكدة.

- لا حاجة لأن نخوض في كل هذا الآن.

- أريد أن تؤكد لي بأن مارينا لن تعرف بأن خطراً محتملاً يتهددها.

- سنبحث هذه المسألة، لكني أريد أن أؤكد لك أنك تقوم بمخاطرة كبيرة في هذا الشأن. ومع ذلك لن نثير هذه المسألة لبضعة أيام حيث إن زوجتك ما زالت تحت العناية الطبية. والآن هناك شيء آخر أريدك أن تفعله؛ أريدك أن تكتب لي -بدقة قدر الإمكان- اسم كل شخص حضر ذلك الحفل في ردهة الدرج أو اسم كل شخص رأيته يصعد الدرج وقت ارتكاب الجريمة.

- سأبذل جهدي، ولكني أشك في قدرتي على ذلك. سيكون من الأفضل لو أنك تشاورت مع سكرتيرتي إيلا زيلنسكي؛ فلديها ذاكرة دقيقة جداً ولديها أيضاً قائمة بالأشخاص المحليين الذين كانوا هناك. إذا أردت أن تراها الآن...

- أحب كثيراً أن أتحدث مع الآنسة إيلا زيلنسكي.

* * *

الفصل الحادي عشر

منذ أول نظرة نظرتها زيلنسكي إلى ديرموت كرادوك من وراء نظارتها الكبيرة بدت له على درجة من الكفاءة لا تُصدَّق، وبخفة عملية أخرجت من الدرج ورقة مطبوعة وأعطته إياها.

قالت: أظنني متأكدة تماماً من عدم وجود أسماء محذوفة، لكن ربما يكون ذُكر اسم أو اسمان لاثنين من أهل القرية أضفتهما ولم يكونا موجودين في الواقع. ربما غادرا في وقت مبكر، وربما لم نجدهما وبالتالي لم يحضرا الحفل. أنا متأكدة تماماً أن هذه القائمة صحيحة عملياً.

- هذا عمل قدير.

- أشكرك.

- مع أنني أجهل هذه الأمور تماماً، إلا أني أظن أن عليك المحافظة على مستوى عال من الكفاءة في عملك؟

- على المرء أن يسجل الأشياء بطريقة جيدة، نعم.

- وماذا تعملين غير ذلك؟ هل أنت ضابط ارتباط -إذا صح التعبير- بين الأستوديوهات وغوسينغتن هول؟

- لا. في الحقيقة ليس لي علاقة بالأستوديوهات رغم أنه من الطبيعي أن أتلقى من هناك رسائل على الهاتف أو أرسلها. إن وظيفتي هي الاهتمام بالحياة الاجتماعية للسيدة مارينا غريغ؛ ارتباطاتها العامة والخاصة والإشراف إلى درجة معينة على إدارة شؤون البيت.

- هل تحبين هذا العمل؟

قالت إيلا: "إنني أحصل على راتب ممتاز، وهو عمل مشوق إلى حد ما". ثم أضافت بتحفظ: لكنني لم أكن أتوقع حدوث جريمة قتل!

- هل بدا أمراً لا يُصدَّق بالنسبة لك؟

- نعم، إلى الحد الذي كنت فيه على وشك أن أسألك إن كنت متأكداً من أنها جريمة قتل.

- إن وضع جرعة مضاعفة ست مرات من هذا الدواء لا يمكن أن يكون غير ذلك.

- ربما كانت حادثاً عرضياً بشكل ما.

- وكيف ترين إمكانية حدوث مثل هذا الحادث؟

- أسهل بكثير مما تتصور طالما أنك لا تعرف وضع البيت. هذا البيت -ببساطة- مليء بالأدوية من كل نوع. لا أقصد المخدرات

وإنما العلاجات التي يصفها الأطباء بطريقة صحيحة، ولكن مثل معظم الأدوية فإن الجرعة القاتلة لا تختلف كثيراً عن الجرعة العلاجية.

أومأ ديرموت برأسه، فيما مضت هي قائلة: إن أهل الفن هؤلاء يتعرضون إلى أغلب الشطحات التي يغيب فيها ذكاؤهم، ويبدو لي أحياناً أنه كلما ازدادت عبقرية المرء الفنية نقص عقله وفطرته السليمة في التعامل مع الحياة اليومية.

- قد يكون هذا صحيحاً.

- مع وجود كل هذه الزجاجات والحبوب والمساحيق والكبسولات والعلب الصغيرة التي يحملونها معهم أينما ذهبوا، ومع حركتهم وتنقلهم وهم يتركون مهدئاً هنا ومقوياً هناك وحبوباً منشطة في مكان آخر... ألا تعتقد أنه سيكون من السهل جداً أن يختلط الأمر كله؟

- لا أفهم كيف ينطبق هذا على هذه الحالة.

- حسناً، أعتقد أنه قد ينطبق. ربما أراد أحد الضيوف حبة مهدئة أو منشطة فأخرج علبته الصغيرة التي يحملها معه، وربما لم يتذكر مقدار الجرعة لطول العهد -مثلاً- فوضع الكثير من الحبوب في كأس، ثم ذهب إلى مكان آخر قبل أن يشربه فجاءت هذه السيدة واعتقدت أنه كأسها وشربت منه... ألا تعدّ هذه فكرة ممكنة أكثر من أي فكرة أخرى؟

- ألا تعتقدين أن كل هذه الاحتمالات قد دُرست؟

- لا أعتقد ذلك. كان هناك كثير من الناس والكؤوس موضوعة على الطاولة ومليئة بالشراب، وكثيراً ما يحدث أن ترفع الكأس الذي لا يخصك وتشربه.

- إذن فأنت لا تعتقدين أن هيذر بادكوك قد سُمَّت عمداً، وتعتقدين أنها شربت كأس شخص آخر؟

- لا أستطيع تصور حدوث شيء أرجح احتمالاً من ذلك.

قال كرادوك بحذر: في تلك الحالة سيكون الكأس كأس مارينا غريغ. هل تدركين هذا؟ لقد أعطتها مارينا كأسها.

صححت له إيلا زيلنسكي: أو ما اعتقدَتْ أنه كأسها! أنت لم تتحدث مع مارينا بعد، أليس كذلك؟ إنها دائماً مشوّشة إلى أبعد درجة، ويمكن أن ترفع أي كأس يبدو وكأنه كأسها وتشربه. لقد رأيتها تفعل ذلك كثيراً.

- هل تتناول دواء الكالمو؟

- آه، نعم، كلنا نتناوله.

- أنت أيضاً يا آنسة زيلنسكي؟

- أضطر إليه أحياناً، فهذه الأمور تصبح شيئاً من التقليد.

- سأكون مسروراً عندما أستطيع الحديث مع السيدة غريغ. يبدو أنها منهكة منذ فترة طويلة؟

- هذا مجرد أداء لشخصية معينة. إنها تقدم نفسها في أسلوب تمثيلي غالباً. إنها لا تستطيع أبداً التغاضي عن جريمة قتلٍ حدثت.

- ولكنك تستطيعين ذلك يا آنسة زيلنسكي؟

- عندما يكون كل الناس حولك في حالة من الاهتياج المستمر فإن ذلك يولّد في نفسك رغبة في أن تذهب إلى الطرف المعاكس تماماً.

- هل علمتك الحياة أن تفخري لأن المآسي المروعة لا تحرك شعرة في رأسك؟

فكرتْ ثم قالت: ربما لا تكون تلك سمة لطيفة حقاً، ولكني أعتقد أنك إن لم تُطوّر ذلك الإحساس فلربما أصبحتَ مجنوناً.

- هل كانت السيدة غريغ من النوع الذي يصعب التعامل معه؟

كان السؤال شخصياً بعض الشيء. لكن كرادوك ألقاه على سبيل الاختبار، فإذا أظهرت إيلا زيلنسكي دهشتها وسألت عن علاقة ذلك بمقتل السيدة بادكوك فإنه سيضطر للاعتراف بأنه لا علاقة للسؤال بذلك. ولكنه أمل أن تجد إيلا متعة في طرح رأيها بمارينا غريغ.

- إنها فنانة عظيمة. إن لها سحراً خاصاً يظهر على الشاشة بشكل استثنائي رائع، وبسبب ذلك ربما شعر المرء بأنه محظوظ إذ يعمل معها. أما إذا أخذتها من الناحية الشخصية الصرفة فهي الجحيم بعينه!

قال ديرموت: آه.

- إن كلمة الاعتدال غير واردة في قاموسها أبداً؛ فإمّا أن تكون

في القمة أو في الحضيض... تبالغ في كل شيء بشكل فظيع وتغير رأيها كثيراً، وهناك الكثير جداً من الأمور التي على المرء أن لا يذكرها أبداً أو يلمّح لها أمامها لأنها تزعجها.

- مثل ماذا؟

- مثل الانهيار العصبي بالطبع، أو المصحات العقلية. أعتقد أنه من المفهوم تماماً أن تكون حساسة حيال هذا... وأيضاً أي شيء يتعلق بالأطفال.

- الأطفال؟ كيف؟

- تزعجها رؤية الأطفال أو سماع الناس يقولون إنهم سعيدون مع أطفالهم. إذا سمعت أن واحدة ستنجب مولوداً أو أنجبت مولوداً فإن ذلك يلقيها فوراً في لجة البؤس؛ فهي لا تستطيع الإنجاب الآن والطفل الوحيد الذي أنجبته كان معتوهاً. لا أدري إن كنت تعلم بهذا أم لا؟

- لقد سمعت بذلك، أمر مؤسف فعلاً. ألم تستطع الأيام الطويلة التي مضت على ذلك أن تطوي صفحة الأحزان هذه؟

- إنها لا تنسى؛ إنه هاجس يستحوذ عليها وهي تحيا على هذا الهاجس.

- كيف يشعر السيد رد بهذا الخصوص؟

- آه، لم يكن الطفل ابنه بل كان من زوجها السابق، إيسيدور رايت.

- آه، نعم، زوجها السابق. أين هو الآن؟

- لقد تزوج ثانية ويعيش في فلوريدا.

- هل تعتقدين أن مارينا غريغ قد كوّنت عداوات كثيرة في حياتها؟

- ليس أكثر من الطبيعي. هي في هذا كغيرها من الناس؛ يتشاجرون بسبب نساء أخريات أو رجال آخرين أو على العقود أو بسبب الغيرة... كل هذه الأشياء.

- ألم تكن تخشى أحداً حسب علمك؟

- مارينا؟ تخشى أحداً؟ لا أعتقد ذلك. لماذا؟ هل كان عليها أن تخشى أحداً؟

- لا أعرف.

رفع قائمة الأسماء وقال: أشكرك كثيراً آنسة زيلنسكي، إن احتجتُ أي شيء آخر فسوف أعود، هل يمكنني ذلك؟

- بالتأكيد، أنا مهتمة كثيراً... بل كلنا مهتمون بعمل كل ما نستطيعه للمساعدة.

* * *

- حسناً يا توم، ماذا أحضرت لي؟

ابتسم رقيب التحري تيدلار بإعجاب. لم يكن اسمه توم وإنما ويليام، لكن كان يحلو لزملائه تسميته توم تيدلار.

أكمل ديرموت كرادوك: هات أرِنا الكنز الثمين الذي جمعته.

كان الاثنان يقيمان في فندق «بلو بور»، وكان تيدلار قد عاد لتوه بعد قضاء يوم في الأستوديوهات.

قال تيدلار: إنه كنز متواضع جداً، لا يوجد الكثير من القيل والقال ولا إشاعات خطيرة، فقط بعض الكلام عن انتحار.

- ولماذا الانتحار؟

- يفترضون أنها ربما تشاجرت مع زوجها ففعلت ذلك لتشعره بالندم، لكنها لم تكن تقصد نفسها حقيقة.

- لا أرى في ذلك مساعدة كبيرة لنا.

- بالتأكيد. إنهم لا يعرفون عن الموضوع شيئاً، لا يعرفون شيئاً إلاّ ما بين أيديهم من عمل. كل مفرداتهم فنية متخصصة ولا تسمع إلا: «العرض يجب أن يستمر»، أو أظن أنهم كان يجب أن يقولوا: «التصوير يجب أن يستمر»... لا أعرف أي من هذه الاصطلاحات هو الصحيح. كل ما يهمهم هو متى تعود مارينا غريغ إلى التمثيل، فقد سبق لها أن أفشلت فِلماً أو فِلمين بانهياراتها العصبية.

- هل يحبونها إجمالاً؟

- أعتقد أنهم يرون فيها شيطاناً مزعجاً، ولكنهم -رغم كل ذلك- لا يملكون إلاّ أن يفتنوا بها عندما تكون في مزاج تستطيع فيه أن تفتنهم. وبالمناسبة فإن زوجها مجنون بها.

- ما رأيهم فيه؟

- يرون أنه أفضل مخرج أو منتج موجود.

- ألا توجد إشاعات عن تورطه في علاقة مع نجمة أو امرأة أخرى؟

حدّق توم تيدلار إليه وقال: لا، لا. لا توجد أي إشارة إلى مثل ذلك. لماذا؟ هل تشك بشيء كهذا؟

- كنت أتساءل فقط. إن مارينا غريغ مقتنعة بأنها كانت هي المقصودة بتلك الجرعة القاتلة.

- هكذا إذن! وهل تظن أنها على حق؟

- ذلك شبه مؤكد. ولكن العبرة ليست هنا؛ العبرة هي أنها لم تُطلع زوجها على ذلك وإنما أسرّته لطبيبها فقط.

- هل تعتقد أنها كانت ستخبره لو...

- لقد ورد في خاطري احتمال أنها ربما كانت تشعر -في قرارة نفسها- بمسؤولية زوجها عما جرى. لقد كان أسلوب الطبيب غريباً إلى حد ما.

قال توم: ليست هناك أي شائعات عن هذا الموضوع في الأستوديوهات، ولو كانت موجودة لسمعتها في الحال.

- هي نفسها، أليست متورطة مع رجل آخر في علاقة؟

- كلا، يبدو أنها متعلقة بزوجها.

- ألا توجد ثغرات تثير الاهتمام في ماضيها؟

ابتسم تيدلار: لا شيء أكثر مما يمكنك قراءته في مجلات الأفلام كل يوم.

- أعتقد أن عليّ قراءة بعضها حتى أفهم الجو العام.

- يا لها من أشياء تلك التي يقولونها ويلمحون إليها!

قال ديرموت متأملاً: ترى هل تقرأ الآنسة ماربل مجلات الأفلام؟

- تقصد العجوز التي تعيش في البيت المجاور للكنيسة؟

- نعم.

- يقال إنها حادة الذهن وإنها تعرف كل ما يدور هنا. قد لا تكون تعرف الكثير عن أهل الفن ولكن لا بد أنها تستطيع إعطاءك كل المعلومات المتعلقة بعائلة بادكوك دون شك.

- لم يعد الأمر بمثل ما كان عليه من بساطة. إن حياة اجتماعية جديدة ترى النور هنا بوجود مجمعات سكنية وأبنية ضخمة، كما أن عائلة بادكوك جديدة على المنطقة وهي تسكن منطقة التطوير.

- لم أسمع الكثير عن السكان المحليين، لقد ركزت على الحياة الخاصة لنجوم السينما وأشياء من هذا القبيل.

قال ديرموت متذمراً: لا يوجد الكثير في جعبتك، أليس لديك شيء عن ماضي مارينا غريغ؟

- تزوجت الكثيرين في زمانها شأنها شأن معظم النجوم. يقولون إن زوجها الأول لم يعجبه طردها له، ولكنه كان رجلاً عادياً جداً...

وكيل عقارات. ولأنه لم يكن بمستوى عالٍ يليق بها فقد تخلصت منه وتزوجت كونتاً أو أميراً أجنبياً. وذلك الزواج لم يدم طويلاً، لكنه انتهى ودياً فقد تخلصت منه، وتزوجت للمرة الثالثة الممثل السينمائي روبرت تراسكوت، ويقال إن ذلك كان زواج حب، ولم تكن زوجته تريد تركه ولكن كان عليها أن تتفهم الأمر في النهاية، وقد حصلت على نفقة كبيرة. وحسبما أرى فإن جميع هؤلاء الفنانين مفلسون لكثرة ما ينبغي أن يدفعوا من نفقات باهظة لمطلّقاتهم.

- لكن زواجها الثالث هذا فشل أيضاً؟

- نعم، وكانت هي التي خرجت منه كسيرة الفؤاد هذه المرة. إنما جاءت قصة رومانسية أخرى كبيرة بعد عام أو عامين: كان يُدعى أيْسدور، وهو كاتب مسرحي.

قال ديرموت: حياة غريبة فعلاً! حسناً، هذا يكفي الآن، سيكون علينا الانكباب على بعض العمل الشاق غداً.

- مثل ماذا؟

- مثل التدقيق في قائمة أسماء عندي هنا. يجب أن نغربل نحو عشرين اسماً لنستبعد منها بعض الأسماء، ثم نبحث فيما تبقى عن «السيد س».

ثم أضاف بابتسامة ساخرة: وكذلك عليّ الذهاب إلى الآنسة ماربل لأحصل منها على نشرة مختصرة عن الأخبار المحلية!

* * *

الفصل الثاني عشر

كانت الآنسة ماربل تتبع أساليبها الخاصة في البحث.

- هذا لطف كبير منك يا سيدة جيمسون، لطف كبير منك فعلاً. لا أستطيع أن أعبّر عن مدى امتناني لك.

- آه، لا تذكري ذلك يا آنسة ماربل، إنني مسرورة لخدمتك. أظن أنك تريدين آخر الأعداد؟

- لا، لا؛ ليس بالضبط، في الحقيقة كنت أرغب في الحصول على أعداد قديمة.

قالت السيدة جيمسون: حسناً، إليك هذه إذن. لدينا مجموعة كبيرة منها، بإمكانك الاحتفاظ بها أي فترة تريدين. لكنها ثقيلة عليك... جيني، ما أخبار التسريحة التي تعملينها لزبونتك؟

- إنها على ما يرام يا سيدة جيمسون، لقد غسلت لها شعرها وهي تجففه الآن.

- في هذه الحالة اذهبي -يا عزيزتي- مع الآنسة ماربل واحملي

عنها هذه المجلات. لا توجد مشكلة يا آنسة ماربل، من دواعي سرورنا أن نقدم لك أي خدمة.

قالت الآنسة ماربل في نفسها: ما ألطف هؤلاء الناس، وخصوصاً عندما يعرفون الواحد طول حياتهم.

بعد سنوات من إدارة السيدة جيمسون لصالون التجميل عزمت على تطوير عملها؛ فأعادت كتابة اللوحة على محلها وسمّت صالونها: «صالون دايين للتجميل»، وفيما عدا ذلك بقي المحل يقدم احتياجات زبائنه من النساء كما كان من قبل؛ فتخرج المرأة منه بتسريحة شعر جميلة وقوية. كان الصالون يقوم بتصفيف الشعر وقصه للفتيات الصغيرات وكن يتقبلن النتيجة مهما كانت بلا اعتراض، لكن غالبية زبونات السيدة جيمسون كنّ سيدات محافظات في أواسط أعمارهن ممن يجدن صعوبة بالغة في عمل شعورهن بالطريقة التي يردنها في غير هذا الصالون.

* * *

قالت شيري صباح اليوم التالي وهي تستعد لإدارة المكنسة الكهربائية في غرفة الاستقبال: ما كل هذا؟ لم أرَ مثل هذا في حياتي!

قالت الآنسة ماربل: إنني أحاول الاطلاع قليلاً على عالم السينما.

وضعت مجلة «أخبار السينما» جانباً وأخذت مجلة «بين النجوم».

- أمر ممتع حقاً... إنه يذكرني بأشياء كثيرة.

قالت شيري: لا بد أنهم يعيشون حياة رائعة.

- حياة خاصة، حياة خاصة جداً.

قالت شيري: أليس اهتمامك الجديد هذا فجائياً؟

- أجد العمل بالصنارة صعباً في الآونة الأخيرة. إن حروف هذه المجلات صغيرة بالطبع لكني أستطيع استعمال عدسة مكبرة.

نظرت شيري بفضول وقالت: تفاجئينني دائماً بالأشياء التي تهتمين بها.

- أنا أهتم بكل شيء.

- أقصد الانشغال بموضوعات جديدة في مثل هذا السن.

هزت الآنسة ماربل رأسها بالنفي وقالت: إنها ليست موضوعات جديدة حقاً، فأنا مهتمة بالطبيعة الإنسانية، وهذه الطبيعة الإنسانية هي نفسها الموجودة عند نجوم السينما أو ممرضات المستشفى أو الناس في سينت ميري ميد أو الناس الذين يعيشون في منطقة التطوير...

قالت شيري ضاحكة: للأسف لا أرى كثيراً من التشابه بيني وبين نجوم السينما! أظن أن الذي دفعك لهذا العمل هو مجيء مارينا غريغ وزوجها للعيش في غوسينغتن هول؟

- بالإضافة إلى ذلك الحادث المؤسف الذي وقع هناك.

- تقصدين السيدة بادكوك؟ كان ذلك حظاً سيئاً.

- ماذا تقولون عنه في التـ...

سكتت وحرف التاء يحوم على شفتيها، ثم عدّلت السؤال: ماذا تقولين عنه أنت وصديقاتك؟

- إنه عمل غريب. تبدو وكأنها جريمة قتل رغم أن الشرطة متحفظون جداً في التصريح بذلك مباشرة، ومع ذلك فهي تبدو جريمة قتل.

- لا أرى أنها يمكن أن تكون شيئاً غير ذلك.

وافقتها شيري: لا يمكن أن تكون انتحاراً؛ فهيذر بادكوك ليست من ذلك النوع.

- هل كنت تعرفينها جيداً؟

- لا، ليس كثيراً، بل معرفة سطحية فقط. كانت تحب الاختلاط والتدخل في حياة الآخرين نوعاً ما. دائماً تدعوك إلى الانضمام إلى هذا النادي أو ذلك النشاط ولحضور الاجتماعات وما إلى ذلك. كانت ذات طاقة كبيرة، وأظن أن زوجها كان يستاء من ذلك أحياناً.

- ولكن لا يبدو لها أي أعداء حقيقيين.

- كان الناس يسأمون منها أحياناً. المشكلة أنني لا أرى أن هناك شخصاً يمكن أن يقتلها سوى زوجها! إنه من النوع الخنوع جداً، لكن الخَنوع قد يُظهر مقاومة كما يقولون. ذلك الرجل هيغ، الذي ألقى ضحاياه في الأسيد، يقولون إن أحداً لم يكن أكثر جاذبية منه! لذلك لا يستطيع المرء أن يجزم بشيء، أليس كذلك؟

- مسكين السيد بادكوك.

- يقول الناس إنه كان منزعجاً وعصبياً في المهرجان في ذلك اليوم... أعني قبل أن يقع الحادث. لكن الناس يقولون مثل هذه الأشياء دائماً بعد أن تقع الواقعة، إنه يبدو الآن أفضل ممّا كان عليه منذ سنوات، يبدو أن النشاط والحياة قد دبّا في جسده.

- حقاً؟

- الحق أن أحداً لا يعتقد أنه هو الذي فعلها، لكن... إذا لم يفعلها هو فمن يكون إذن؟ ما زلت أرى أن ما وقع قد لا يتجاوز كونه حادثاً عرضياً. ما أكثر ما تقع الحوادث؛ تظنين أنك تعرفين كل شيء ويحدث ما يحدث، حيث تتلوين من الألم وتكونين محظوظة إذا وصل الأطباء إليك في الوقت المناسب.

- لكن لا يمكن لكؤوس العصير أن تكون عرضة لحوادث من هذا النوع.

- آه، أدري. لكنْ ربما وُضعت بينها بالخطأ زجاجة فيها شيء ما. أعرف شخصاً أخذ جرعة مركزة من مبيد الحشرات «دي دي تي» فكادت أن تقتله.

قالت الآنسة ماربل: حادث! ربما كان ذلك بالتأكيد أفضل الحلول. لا يسعنيْ أبداً أن أصدق أن يكون في الأمر جريمة قتل متعمَّدة في حالة هيذر بادكوك... لن أقول إن هذا مستحيل، إذ لا يوجد مستحيل، لكن الأمر لا يبدو هكذا. نعم، لا بدّ أن الحقيقة موجودة في مكان ما هنا.

نقرت على مجلاتها والتقطت واحدة أخرى.

- هل تقصدين أنك تبحثين عن مقال محدد عن أحد الأشخاص؟

- لا، أنا أبحث فقط عن أخبار الناس الغريبة وعن أساليب العيش... وعن أمر صغير قد يساعدني.

عادت إلى تصفّح المجلات وأخذت شيري مكنستها الكهربائية إلى الطابق العلوي. كان وجه الآنسة ماربل متورداً مليئاً بالحماسة، وبما أنها قد أصبحت شبه صماء فإنها لم تسمع وقع الأقدام التي كانت تسير على ممر الحديقة خارج بيتها باتجاه نافذة غرفة الاستقبال، وعندما رفعت بصرها لدى وقوع ظل بسيط على الصفحة التي كانت تنظر إليها وجدت ديرموت كرادوك يقف مبتسماً في وجهها.

قال: أرى أنك تقومين بحلّ واجباتك؟

- المفتش كرادوك! كم يسعدني أن أراك، كم هو لطيف منك أنك خصصت وقتاً لزيارتي! أتحب فنجان قهوة أم كأساً من العصير؟

- كأس عصير سيكون رائعاً. لا تتحركي، سأطلبه وأنا داخل إلى البيت.

دخل إلى البيت من الباب الجانبي حيث انضم إلى الآنسة ماربل، وقال: حسناً، هل توحي لك هذه المجلات بأية أفكار؟

- إنها تزودني بالكثير من الأفكار. أنا لا أُصدَم في الغالب، لكن ما قرأته صدمني قليلاً.

- ما هو؟ الحياة الخاصة لنجوم السينما؟

- آه، لا، ليس ذاك! هذا يبدو طبيعياً جداً إذا سلمنا بالظروف والأموال التي تدخل في أعمالهم وفرص التعايش بينهم عن كثب، هذا طبيعي تماماً. أنا أقصد الطريقة التي يُكتَب عنهم بها؛ فأنا محافظة وأشعر أنهم يجب أن لا يسمحوا بنشر هذا.

- إنها مجرد أخبار، كثير من الأمور القذرة جداً يمكن أن تقال بدعوى التغطية الصحفية المنصفة.

- أعرف، وهذا يجعلني أشعر بالغضب الشديد أحياناً. ربما تظن أن قراءتي لكل هذه المجلات أمر سخيف، لكن المرء يحتاج إلى معرفة الأمور من الداخل، لا سيما وأني أقضي أيامي بين هذه الجدران.

- هذا ما فكرت فيه تماماً، وهو سبب قدومي لأخبرك عن هذه الأمور.

- ولكن يا ولدي العزيز... اسمح لي: هل سيوافق رؤساؤك على هذا؟

- لا أرى سبباً يمنعهم من ذلك. لديّ قائمة هنا، قائمة بأسماء الأشخاص الذين كانوا موجودين في الردهة أثناء الحفل وخلال الفترة القصيرة التي أعقبت وصول هيذر بادكوك حتى لحظة وفاتها. لقد حذفنا الكثير من الأشخاص، وربما تسرّعنا قليلاً في ذلك... لست أدري. حذفنا المحافظ وزوجته والسيد ألدرمان الفلاني وزوجته

وكثيراً جداً من السكان المحليين، رغم أننا أبقينا على الزوج. إن كانت ذاكرتي تسعفني فأعتقد أنك كثيرة الارتياب بالأزواج دائماً!

- إنهم أول المشتبه بهم، والأشياء الأولى تكون هي الصحيحة في الغالب.

- أتفق معك تماماً.

- ولكن أي زوج هذا الذي أبقيتَه يا عزيزي؟

نظر إليها بحدة قائلاً: أي واحد برأيك؟

نظرت الآنسة ماربل إليه وسألته: جيسن رَدْ؟

- آه، إن عقلينا يعملان بالطريقة ذاتها. لا أعتقد أنه آرثر بادكوك لأني لا أظن أن هيذر بادكوك كانت هي المقصودة بالقتل، أظن أن الضحية المقصودة كانت مارينا غريغ.

- يبدو ذلك شبه مؤكد، أليس كذلك؟

- وهكذا، ما دمنا متفقين على ذلك فإن المجال يتّسع. إن ما أقوله لك عن الذين حضروا الحفل وماذا رأوا أو قالوا إنهم رأوه وأين كانوا أو قالوا إنهم كانوا... كل هذا مما كان باستطاعتك ملاحظته بنفسك لو كنت موجودة هناك. ولذلك فإن رؤسائي -كما تسمينهم- لا يمكن أن يعارضوا مناقشة هذا الأمر معك.

- كلام جميل جداً يا ولدي.

- سأعطيك نبذة مختصرة عن الذي أخبروني به ثم سنأتي على القائمة.

قدّم لها نبذة قصيرة عما سمعه ثم قدّم لها قائمته. قال: لا بد أن يكون واحداً من هؤلاء. لقد أخبرني السير هنري كليذرينغ أنه كان لديكم -ذات مرة- نادٍ كنتم تسمونه نادي الثلاثاء الليلي، كنتم تتناولون عشاءكم معاً ويحكي أحدكم حكاية واقعية تنتهي بلغزٍ لا يعرف إجابته سوى الشخص الذي كان يروي الحكاية، وقد أخبرني أنك كنت في كل مرة تخمنين الإجابة الصحيحة... ولذلك فكرت بالمجيء هذا الصباح لأرى إن كان بإمكانك التخمين في مشكلتنا هذه.

قالت الآنسة ماربل مؤنّبة: ما أسخف ما تقول! ولكن لديّ سؤال أريد أن أسألك إياه.

- وما هو؟

- ماذا عن الأطفال؟

- الأطفال؟ يوجد واحد فقط، طفل معتوه في أحد المصحات في أميركا. هل هذا ما تقصدين؟

- لا، ليس هذا ما أعنيه. إنه أمر محزن جداً بالطبع، مأساة لا يَدَ لأحد فيها، إنما كنت أعني الأطفال الذين ذُكروا في أحد المقالات هنا.

نقرت بأصابعها على المجلات التي أمامها: الأطفال الذين تبنتهم مارينا غريغ. أعتقد أنهم ولدان وبنت، أحدهم كتبت أمه لها

رسالة وسألتها إن كان بإمكانها تبني أحد أطفالها الكثر لأنها لا تملك ما يكفي من المال لإعالتهم، وقد امتلأ عدد المجلة بالكثير من العواطف الزائفة السخيفة حول الموضوع وحول تضحية الأم وعن فرص التعليم التي ستتاح للطفل والمستقبل الذي سيكسبه... أما الطفلان الآخران فلم أجد عنهما الكثير. أظن أن أحدهما كان لاجئاً أجنبياً والآخر طفل أميركي. لقد تبنت مارينا غريغ هؤلاء الأطفال في أوقات مختلفة... ترى ما الذي حصل لهم؟

نظر ديرموت كرادوك إليها مستغرباً وقال: غريب أن تفكري في هذا، لقد تساءلت أنا أيضاً عن مصير هؤلاء الأطفال، ولكن ما علاقتهم بالأمر؟

- فهمت أنهم لا يعيشون معها الآن، أليس كذلك؟

- أظن أنها كانت تعيلهم. إن قوانين التبني تصر على ذلك، وربما وضعت أموالاً في البنوك لصالحهم.

قالت الآنسة ماربل: وهكذا فعندما... سئمت منهم...

سكتت هنيهة قبل كلمة «سئمت» ثم أكملت: طردتهم! بعد أن تربوا في رفاهية ونعمة. أليس هذا صحيحاً؟

قال كرادوك: ربما، لا أعرف تماماً.

ثم واصل نظره إليها باستغراب، فقالت الآنسة ماربل وهي تومئ برأسها: الأطفال يشعرون بالأمور... إنهم يشعرون بالأمور أكثر مما يتصور الناس الذين حولهم. إحساسهم بالجرح وبأنهم منبوذون وأنهم لا ينتسبون إلى أحد. إنه إحساس لا يمكن لهم أن يتغلبوا عليه

لمجرد المنافع التي يحصلون عليها... إن التعليم ليس بديلاً عنه ولا الحياة المريحة أو الدخل المضمون أو الوظيفة، إنه شيء قد يعتمل في الصدر.

- نعم. ولكن مع ذلك، أليس ماتفكرين فيه أمراً... حسناً، بماذا تفكرين بالضبط؟

- لم أصل في تفكيري إلى ما تعتقده. لقد تساءلت فقط أين هم الآن وكم هي أعمارهم؟ وأظن -حسبما قرأت- أنهم أصبحوا كباراً.

- أظن أن بإمكاني معرفة ذلك.

- آه، لا أريد إزعاجك أو حتى أن أوحي لك بأن رأيي الصغير هذا يستحق النظر فيه.

- على كلّ حال فالنظر في ذلك لا يضر.

سجل ملاحظة في دفتره الصغير وأضاف: والآن، هل تريدين رؤية قائمتي الصغيرة؟

- لا أعتقد أنني يمكن أن أفيدك في هذا الأمر، أنا لا أعرف مَنْ هم هؤلاء الناس.

- آه، يمكنني إعطاؤك ملاحظة عابرة عن كل واحد منهم. نبدأ بالزوج مثلاً: الزوج دائماً موضع اشتباه كبير، الجميع يقولون إن جيسن رد يحبها بجنون، وهذا بحد ذاته أمر مريب. ألا تعتقدين ذلك؟

- ليس بالضرورة؟

- لقد بذل جهده لإخفاء حقيقة أن زوجته كانت هي هدف هذا العمل ولم يلمّح للشرطة بأيٍّ من هذه الشكوك. لا أدري لماذا يعتقد أننا مغفلون لا نفكر في هذا الأمر، لقد فكرنا فيه من البداية، وقد برر ذلك بأنه كان يخشى أن تصل هذه الحقيقة إلى مسامع زوجته مما قد يجعلها تعاني من أزمة عصبية.

- هل هي من النوع الذي يُصاب بالذعر؟

- نعم، إنها من النوع العصبي وصاحبة مزاج متقلب، وقد أُصيبت بانهيارات عصبية وحالات من التوتر والاهتياج.

عارضته الآنسة ماربل: ربما لا يكون هذا مؤشراً على نقص شجاعتها.

- ومن ناحية أخرى إذا كانت تعرف جيداً أنها كانت هدف المحاولة فمن الممكن أن تعرف أيضاً مَن الذي فعلها.

- هل تعني أنها تعرف الذي فعل الجريمة ولكنها لا تريد كشف الحقيقة؟

- قلت إنه مجرد احتمال، وإذا كان كذلك فإنني أتساءل: لماذا لا تريد كشفها؟ يبدو كما لو أن الدافع أو جذر المشكلة كان شيئاً لا تريده أن يصل إلى مسامع زوجها.

- هذه فكرة مثيرة للاهتمام بالتأكيد.

- هاك بعض الأسماء الأخرى: السكرتيرة إيلا زيلنسكي، امرأة قديرة في عملها إلى أبعد درجة.

- هل تعتقد أنها على علاقة حب مع الزوج؟

- أحسبه أمراً وارداً، لكن ما الذي يدعوك لهذا الاعتقاد؟

- هذا يحدث، ولذلك لا أظنها تحب المسكينة مارينا غريغ؟

- وهذا دافع ممكن لارتكابها الجريمة.

- كثير من السكرتيرات والموظفات يكنّ على علاقة غرامية مع أزواج رئيساتهن، لكن القليل جداً منهن يحاولن قتلهن.

- لا بد أن نترك مجالاً للاستثناءات! ثم هناك مصوران محليان وآخر من لندن واثنان من الصحافيين، لا يبدو أن أحداً منهم هو القاتل المحتمَل لكننا سنتابع حالاتهم. وكانت هناك المرأة التي كانت من قبل زوجة لزوج مارينا الثاني أو الثالث. لقد استاءت عندما سرقت مارينا غريغ زوجها منها لكن هذا الأمر حدث قبل إحدى عشرة سنة، ومن غير المحتمل أن تأتي لزيارة مارينا بعد كل هذا الوقت بغرض قتلها لذلك السبب! ثم هناك رجل يُدعى آردويك فين، كان ذات مرة صديقاً مقرباً جداً لمارينا غريغ، ولم يكن قد رآها منذ سنوات ولم تكن تعرف أنه موجود في هذه البلاد، ولذلك أحست بدهشة كبيرة عندما ظهر في هذا الحفل.

- إذن فقد جفلت عندما رأته؟

- نعم، هذا مفترض.

- جفلت، وربما خافت؟

قال كرادوك: «لقد نزل بي القضاء المحتوم»... هذه هي الفكرة؟ ثم كان هناك الشاب هيلي بريستون يتنقل في المكان في ذلك اليوم وهو يقوم بعمله، إنه يتحدث كثيراً لكنه لم يسمع ولم يرَ ولم يعرف أي شيء، وكان ظاهر الحرص على تأكيد ذلك. فهل في هذا كله ما يقرع ناقوس الخطر؟

- لا شيء مميز. يوجد الكثير من الاحتمالات المثيرة للاهتمام، لكني ما زلت أود معرفة القليل عن الأطفال.

نظر إليها باستغراب: إن هذه الفكرة تستحوذ عليك، أليس كذلك؟ حسناً، سأرى هذا الأمر.

* * *

الفصل الثالث عشر

قال المفتش كورنيش باكتئاب: أحسب أنه من غير الممكن أن يكون المحافظ؟!

ثم نَقَر على الورقة التي سُجّلت بها قائمة الأسماء بقلم الرصاص الذي يحمله. ابتسم كرادوك وسأله: لعلّ هذا ما تتمنّاه؟

- يمكنك بالتأكيد أن تقول ذلك. ذلك العجوز المرائي المنافق المتبجح! إنه يتصرف بمنتهى الغرور ويتظاهر بشدة الورع، وهو غارق حتى أذنيه بأقاويل الفساد منذ عدة سنوات.

- ألم تستطع أن تثبت عليه شيئاً من ذلك أبداً؟

- لم يكن هذا ممكناً؛ إنه أمكر من أن يثبت عليه شيء، فهو يعمل دوماً في الجانب الآمن من القانون.

قال كرادوك: أوافقك على أن اتهامه مسألة مغرية، ولكن عليك أن تنزع من رأسك هذا الأمل الوردي يا فرانك.

- أعرف، أعرف. إنه مجرد احتمال، ولكنه مستبعد جداً. مَن لدينا غيره؟

تفحص الرجلان القائمة مرة أخرى، ما زال فيها ثمانية أسماء.
قال كرادوك: هل نحن متفقان على أنه لا يوجد أي شخص حضر الحفل ولم تتضمن القائمة اسمه؟

أجابه كورنيش: تستطيع أن تكون واثقاً جداً بأن هذه هي كل الأسماء، فبعد أن وصلت السيدة بانتري وصل الكاهن ثم بادكوك وزوجته. كان على الدرج ثمانية أشخاص وقتها: المحافظ وزوجته، وجوشوا غرايس وزوجته من المزرعة السفلى، ودونالد ماكنيل من شركة هيرالد وأروجوس في ماش بنهام، وآردويك فين الأميركي، والآنسة لولا بروستر النجمة السينمائية الأميركية، وبالإضافة إلى هؤلاء كانت هناك مصوّرة من لندن ومعها كاميرا مركّزة باتجاه الدرج. فعلى فرض أن ملاحظة السيدة بانتري حول النظرة الجامدة لمارينا كانت بسبب شخص رأته على الدرج فعليك أن تحدد الشخص المعني من بين هذه المجموعة. المحافظ خارج هذه المجموعة للأسف، وغرايس وزوجته خارجها أيضاً (حيث لم يخرجا من سينت ميري ميد أبداً حسب ظني)، وهذا يبقي لنا أربعة: الصحفي المحلي، وهو غير محتمل، والفتاة المصورة كانت موجودة هناك قبل ذلك بنصف ساعة فلماذا يتأخر رد فعل مارينا حتى تلك الساعة؟ ماذا بقي لنا الآن؟

قال كرادوك بابتسامة باهتة: بعض الغرباء المنحوسين من أميركا.

- لقد قلتها بنفسك.

- أوافقك على أنهما أفضل مشبوهين لدينا حتى الآن، لقد جاءا

على نحو غير متوقع، آردويك فين معجب سابق بمارينا لم تكن قد رأته منذ سنوات، ولولا بروستر كانت متزوجة ذات يوم زوج مارينا غريغ الثالث الذي طلقها لكي يتزوج مارينا، ولم يكن طلاقهما طلاقاً ودياً كما فهمت.

قال كورنيش: أنا أعتبرها المشتبه رقم واحد.

- حقاً؟ بعد مرور خمسة عشر عاماً تقريباً وبعد أن تزوجت هي نفسها مرتين بعد ذلك؟

قال كورنيش: لا أحد يعرف خبايا النساء.

ورغم أن ديرموت تقبل ذلك كقاعدة عامة إلا أنه قال إن الأمر يبدو غريباً بالنسبة له وإن ذلك أقل ما يمكن أن يُقال عن هذا الاحتمال.

- لكنك توافقني على أن الاشتباه يحوم حولهما فقط؟

- محتمل، لكني لا أميل لهذا كثيراً. ماذا عن الخدم المستأجَرين الذين كانوا يقدمون الشراب؟

- حسناً، لقد حققنا في أمرهم بصورة عامة: قامت بالعمل شركة محلية للتجهيزات الغذائية، أقصد لصالح المهرجان. وفي الواقع كان في البيت كبير الخدم غوسيب وهو المسؤول، وفتاتان محليتان من مطعم الأستوديوهات، ليستا ذكيتين لكنهما غير مؤذيتين.

- هل أصبحت الكرة في مرماي؟

- سأذهب لأتحدث مع الصحفي قليلاً فقد يكون رأى

ما يساعدنا، ثم إلى لندن حيث آردويك فين ولولا بروستر والفتاة المصورة، ما اسمها؟ مارغوت بينْس، ربما تكون هي الأخرى قد رأت شيئاً.

أومأ كورنيش وقال: "لولا بروستر هي أفضل رهان عندي". ثم نظر إلى كرادوك مستغرباً: لا تبدو متحمساً بشأنها مثلي؟

- إنني أفكر بالمصاعب.

- مصاعب؟

- مصاعب وضعها السم في كأس مارينا دون أن يلحظها أحد.

- لكن هذا ينطبق على كل واحد غيرها أيضاً، أليس كذلك؟ كان عملاً متهوراً.

- لا شك أنه كان عملاً متهوراً، لكنه سيكون بالنسبة لواحدة مثل لولا بروستر أكثر تهوراً من أي شخص آخر.

- لماذا؟

- لأنها كانت ضيفة مهمة، إنها شخصية مهمة ومعروفة والجميع سينظر إليها.

- فعلاً.

- كان أهل المنطقة الحاضرون سيتغامزون ويتهامسون ويحدقون فيها، ثم إنها -بعد أن حياها كلٌّ من مارينا غريغ وجيسن

رَذ- سُلّمت إلى المساعدين للقيام على رعايتها. ليس ذلك الأمر سهلاً يا فرانك... مهما كنت بارعاً لن تستطيع أن تتأكد من أن أحداً لن يراك، إنها عقبة كبيرة كما ترى.

- ما زلت أرى أن هذه هي نفس العقبة التي تواجه كل واحد؟

- كلا، ليس صحيحاً؛ خذ غوسيب على سبيل المثال: كان مشغولاً بالشراب والكؤوس والصب والتقديم، وكان يستطيع وضع بعض أقراص الكالمو في أحد الكؤوس بكل بساطة.

فكر فرانك كورنيش: غوسيب؟ أتعتقد أنه فعلها؟

- ليس لدينا سبب يدعونا لهذا الاعتقاد، ولكننا قد نجد سبباً يدعوه لذلك. قد يكون لديه دافع قوي ومعقول، من الممكن أن يكون هو الفاعل أو أحد هؤلاء الذين كانوا يقدمون الأشربة. إنهم لم يكونوا في المكان نفسه لسوء الحظ. ربما نجح أحدهم في إقحام نفسه في الشركة خصوصاً من أجل هذا الغرض.

- أتعتقد أن الجريمة يمكن أن تكون مُعدَّة مسبقاً إلى هذا الحد؟

قال كرادوك غاضباً: لا نستطيع أن نجزم بشيء من ذلك حتى الآن، بل نحن لا نعرف أي شيء أبداً ولن نعرف شيئاً مما نريده إلاّ إذا انتزعناه من مارينا غريغ أو من زوجها. لا بد أنهما يعرفان شيئاً أو يشكان في أحد، لكنهما لن يتكلما، ولا نعرف -بعد- لماذا لا يريدان أن يتكلما. إن الطريق أمامنا طويل.

سكت ثم استأنف: إذا استثنينا النظرة الجامدة التي قد تكون مجرد مصادفة، إذ أن أُناساً آخرين يمكن أن يفعلوها بسهولة تامة. السكرتيرة إيلا زيلنسكي كانت مشغولة هي الأخرى بالكؤوس وتقديمها إلى الضيوف ولم يكن أحد ليراقبها باهتمام خاص، وكذلك الحال مع الشاب النحيف، نسيت اسمه... هيلي، هيلي بريستون؟ هذا صحيح. كانت هناك فرصة كبيرة مهيأة لكليهما. وفي الواقع إن كان أحدهما قد أراد التخلص من مارينا غريغ فسيكون فعل ذلك في مناسبة عامة أكثر أماناً.

- أيوجد أحد غيرهما؟

يوجد الزوج دائماً.

قال كورنيش بابتسامة باهتة: ها قد عدنا إلى الأزواج مرة أخرى، كنّا نتهم ذلك المسكين بادكوك قبل أن ندرك أن مارينا هي الضحية المقصودة، والآن حولنا شكوكنا إلى جيسن رد، مع أني ما زلت أظن أنه يبدو متعلقاً بزوجته.

- هذا هو الظاهر والمعروف عنه، ولكن لا أحد يستطيع الجزم.

- إن كان يريد التخلص منها أليس الطلاق أسهل من ذلك بكثير؟

- هذا هو التصرف الطبيعي، ولكن ربما وُجدت في الأمر تعقيدات لا نعرفها نحن بعد.

رنّ جرس الهاتف فرفع كورنيش السماعة: ماذا؟ نعم؟ أوصلنا بهم. نعم، إنه هنا.

أصغى لحظة ثم وضع يده على السماعة ونظر إلى ديرموت وقال: الآنسة مارينا غريغ تشعر بتحسن كبير، وهي على استعداد تام للمقابلة.

قال ديرموت: من الأفضل أن أسرع إليها قبل أن تُغيّر رأيها.

* * *

في غوسينغتن هول استقبلت إيلا زيلنسكي رئيس المفتشين ديرموت كرادوك، وكانت رشيقة وقديرة كعادتها. قالت: السيدة غريغ في انتظارك يا سيد كرادوك.

نظر ديرموت إليها ببعض الاهتمام. كان قد شعر -منذ البداية- بأنها ذات شخصية آسرة تثير الفضول. قال في نفسه: إن لها وجهاً كوجه لاعب القمار لا يفصح عمّا في داخله. كانت قد أجابت عن جميع أسئلته بكل جاهزية ولم تُظهر أي إشارة على أنها تُخفي في نفسها شيئاً، لكنه ما زال لا يعرف شيئاً عما كانت تفكر فيه أو تشعر به أو حتى تعرفه. لم تكن كفاءتها موضع شك أبداً، ربما كانت تعرف أكثر مما قالت إنها تعرفه، ربما كانت تعرف الكثير... الشيء الوحيد الذي كان واثقاً منه (وكان عليه أن يعترف لنفسه بأنه لا يمتلك دلائل تدعم هذه الثقة) هو أنها كانت تحب جيسن رَدْ. كان ذلك -كما وصفه من قبل- مرضاً مهنياً يصيب السكرتيرات. ربما لم يكن هذا يعني شيئاً، لكن هذه الفرضية تشير إلى وجود دافع على الأقل. وكان واثقاً

تماماً أنها كانت تخفي شيئاً. ربما كان ذلك هو الحب، وربما كان الكراهية، وربما كان -ببساطة- الشعور بالذنب! ربما انتهزت فرصتها عصر ذلك اليوم أو ربما خططت عامدة لما كانت ستفعله.

كان يمكنه تخيلها وهي تقوم بذلك الدور بسهولة، وخاصة الجزء المتعلق بتنفيذ الجريمة. حركاتها الرشيقة غير المتعجلة، انتقالها هنا وهناك، اهتمامها بأمر الضيوف وتقديمها الكؤوس لهذا وذاك، وحملها الكؤوس بعيداً، ومراقبتها للمكان الذي وضعت فيه مارينا كأسها على الطاولة... ثم، وفي اللحظة التي كانت فيها مارينا تحيي ضيوفها القادمين من الولايات المتحدة بصيحات الدهشة والفرحة وكل العيون كانت ملتفتة على لقائها بهم، ربما كان بوسعها وضع الأقراص القاتلة في الكأس بهدوء وطبيعية. نعم، إن ذلك يتطلب الكثير من الجرأة والأعصاب القوية والخفة، لكنها كانت تملك كل هذه الأشياء. ومهما كان الذي فعلته فإنها لم تكن لتبدو مذنبة وهي تقوم بذلك العمل. كان من شأنها أن تكون جريمة بسيطة وذكية، جريمة لم يكن ممكناً أن تفشل. لكن المصادفة لعبت دورها؛ ففي وسط هذا العدد الحاشد دفع شخصٌ ما هيذر بادكوك من ذراعها فسقط كأسها وانسكب، وقامت مارينا -بدافع من كياستها الطبيعية- بتقديم كأسها الذي كان هناك على الطاولة ولم تشرب منه شيئاً إلى هيذر بادكوك، وهكذا ماتت المرأة غير المقصودة.

فكّر ديرموت أن في هذا التحليل الكثير من الافتراضات. إنه نظرية محضة، وربما يكون هراء. وفي نفس الوقت كان يخاطب إيلا زيلنسكي بأدب: كنت أريد أن أسألك سؤالاً واحداً؛ لقد فهمت

أن إعداد الطعام والشراب في الحفل قد قامت به شركة من ماركت بيسينغ. أليس كذلك؟

- بلى.

- لماذا تم اختيار تلك الشركة بذاتها؟

- الحق أنني لا أعرف؛ فهذا الأمر لا يقع ضمن واجباتي. أظن أن السيد رد قد اعتقد أن من الكياسة استخدام أناس محليين، وهو أولى من استخدام شركة من لندن. كان هذا كله أمراً صغيراً للغاية من وجهة نظرنا.

- تماماً.

راقبها وهي تقف متجهمة قليلاً تنظر إلى الأرض. ذقن توحي بالتصميم، وفم قاس يوحي بحب التملك. والعينان؟ نظر إليهما بدهشة. كان الجفنان محمرّين؛ عجباً: هل كانت تبكي؟ يبدو الأمر كذلك. لكنه كان واثقاً أنها لم تكن من النوع الذي يبكي! رفعت بصرها إليه وأخرجت منديلها وكأنها قد قرأت أفكاره ونشقت بقوة.

قال: أُصبتِ بالرشح؟

- ليس رشحاً، بل حمى القش. إنها نوع من الحساسية، دائماً أُصاب بها في مثل هذا الوقت من العام.

سمع صوت رنين خفيف. كان في الغرفة جهازا هاتف، واحد على الطاولة القريبة والآخر على الطاولة الأخرى في الزاوية، كان

هذا الأخير هو الذي بدأ بالرنين فتوجهت إليه إيلا زيلنسكي ورفعت السماعة. قالت: نعم، إنه هنا، سيحضر على الفور.

وضعت السماعة ثانية وقالت: مارينا مستعدة لاستقبالك.

* * *

استقبلت مارينا غريغ كرادوك في غرفة في الطابق الأول، كان واضحاً أنها غرفة الجلوس الخاصة بها والتي تفضي إلى غرفة نومها.

كان كرادوك -بعدما سمعه عن انهيارها وحالتها العصبية- يتوقع أن يجد أمامه مريضة ترتجف، ولكن رغم أن مارينا كانت تجلس نصف متكئة على أريكة إلاّ أن صوتها كان قوياً وعيناها لامعتين. كانت المساحيق على وجهها قليلة جداً، ولكن رغم هذا لم تكن تبدو في عمرها الحقيقي؛ كان الألق الخافت لجمالها والانسياب الجميل لعظم وجنتيها وفكها، والطريقة التي كان شعرها يتدلى بها ليؤطر وجهها، والعينان بلون البحر ودفء وجمال ابتسامتها... كل هذا كان له سحر غامض.

قالت: رئيس المفتشين كرادوك؟ كنت أتصرف بطريقة مخزية، أنا آسفة كثيراً. لقد سمحت لنفسي بأن أنهار تماماً بعد ذلك الحادث الفظيع... كنت أستطيع أن أنفض عن نفسي هذه الحالة ولكني لم أفعل، إنني أشعر بالخزي من نفسي.

ظهرت الابتسامة على وجهها جميلة وحزينة. قال: كان أمراً طبيعياً أن تشعري بالضيق.

- الكل كان متضايقاً، لم يكن من حقي أن أتظاهر أن وقع هذه المأساة عليّ كان أسوأ من وقعها على الآخرين.

- ألم يكن ذلك من حقك؟

نظرت إليه لحظة ثم أومأت برأسها وقالت: نعم، كان كذلك. أنت لمّاح جداً.

خفضت بصرها ثم نقرت برفق على ذراع الأريكة بسبابتها الطويلة، ولاحظ أنها حركة أدتها في أحد أفلامها. كانت حركة لا معنى لها، ومع ذلك بدت مليئة بالدلالة، كان فيها شيء من الرقة المتأملة.

قالت وعيناها ما تزالان تنظران إلى أسفل: أنا جبانة، أراد شخص أن يقتلني ولم أرد أن أموت.

- لماذا تعتقدين ذلك؟

اتسعت عيناها وقالت: لأنه كان كأسي... شرابي هو الذي عُبث به وشربَتْه تلك المسكينة خطأ. إنه أمر مرعب ومأساوي إلى جانب ذلك.

- نعم، أكملي يا سيدة غريغ؟

بدت مترددة قليلاً في الإدلاء بالمزيد.

- ربما كانت لديك أسباب أخرى تدعوك للاعتقاد بأنكِ كنتِ الضحية المقصودة؟

أومأت برأسها بالإيجاب.

- ما هي هذه الأسباب يا سيدة غريغ؟

سكتت دقيقة قبل أن تجيب: يقول جيسن إن عليّ أن أخبرك بكل شيء عن ذلك.

- إذن فقد أفضيت له بالأمر؟

- نعم، لم أكن أريد ذلك في البداية لكن الدكتور غيلكرايست قال إنني يجب أن أفعل ذلك، ثم اكتشفت أنه هو الآخر كان يعتقد ذلك من البداية. الحق أن هذا غريب.

ظهرت الابتسامة الحزينة على وجهها ثانية: خشي أن يخيفني إذا ما أخبرني بذلك! حبيبي جينكز... هل يظن بأنني مغفلة تماماً؟

- لم تخبريني بعد -يا سيدة غريغ- عن سبب اعتقادك بوجود أحد يريد قتلك.

جلست صامتة لحظة ثم مدّت يدها فجأة إلى حقيبتها اليدوية وفتحتها وأخرجت قصاصة من الورق فدفعتها إليه. قرأها، وكان مكتوباً عليها بالحروف المطبوعة: «لا تظني أنك ستفلتين في المرة القادمة».

قال كرادوك بحدة: متى تلقيت هذه؟

- كانت موضوعة على طاولة زينتي عندما عدت من الحمّام.

- إذن فإن شخصاً من البيت...

- ليس بالضرورة. يستطيع أي شخص أن يتسلق إلى الشرفة خارج نافذة غرفتي ثم يلقيها من هناك، أعتقد أنهم فعلوا ذلك لإخافتي أكثر، لكنها لم تخفني في الواقع... فقط شعرت بالغضب الشديد وأرسلت في طلبك لرؤيتك.

ابتسم ديرموت كرادوك: ربما كانت نتيجة غير متوقعة للذي أرسلها إليك، هل هذه هي الرسالة الأولى من نوعها؟

ترددت مارينا مرة أخرى ثم قالت: لا، ليست الأولى.

- هلاّ أخبرتني عن الحالات الأخرى؟

- كان ذلك قبل ثلاثة أسابيع، في بداية قدومنا إلى هنا. وقد جاءت الرسالة إلى الأستوديو وليس إلى البيت، وكانت سخيفة تماماً. كانت رسالة عادية غير مطبوعة في تلك المرة، كانت بالأحرف الكبيرة وكانت تقول: «تهيئي للموت».

ضحكت ضحكة مرحة، وربما كان في ضحكتها مسحة خفيفة جداً من الهستيريا ولكن بهجتها كانت حقيقية تماماً. قالت: كان ذلك سخيفاً جداً، من الطبيعي أن المرء يستلم دوماً كثيراً من الرسائل الغريبة... تهديدات وأشياء من هذا القبيل. وقد ظننت أنها ربما كانت بدافع ديني من شخص لم يكن يوافق على ظهور الممثلات في الأفلام، ولذلك مزقتها وألقيتها في سلة المهملات.

- هل أخبرت أحداً بها يا سيدة غريغ؟

هزت مارينا رأسها وقالت: أبداً، لم أقل شيئاً لأحدٍ أبداً، وفي

الواقع كنا في ذلك الوقت خائفين قليلاً على المشهد الذي كنا نصوره فلم أستطع أن أفكر في أي شيء سوى ذلك في تلك اللحظة. على أية حال ظننت أنها إمّا أن تكون مزحة سخيفة أو من أحد هؤلاء المجانين المتعصبين الذين يكتبون ويعارضون عمل الأفلام وأشياء كهذه.

- وبعد ذلك هل تلقيت رسالة أخرى؟

- نعم، في يوم المهرجان. أعتقد أن أحد عمّال الحديقة أحضرها إليّ وقال إن شخصاً قد ترك لي رسالة وسأل إن كنت أريد أن أجيبه عنها. ظننت أن لها علاقة بترتيبات المهرجان ففتحتها وقرأتها، كانت تقول: «اليوم سيكون آخر يوم لك على وجه الأرض». كوّرتها بيدي وقلت: ليس عندي جواب، ثم ناديت الرجل وسألته عن الذي سلمها له فقال إنها من رجل يلبس نظارات ويركب دراجة. ما الذي يمكنك أن تفعله إزاء ذلك؟ ظننت الأمر تمادياً في السخافة ولم أفكر ولو للحظة واحدة أنها تهديد حقيقي.

- أين تلك الرسالة الآن يا سيدة غريغ؟

- لا أعرف. كنت ألبس معطفاً إيطالياً من الحرير كما أذكر، فكوّرتها بيدي ثم وضعتها في جيب المعطف. لكنها ليست في المعطف الآن، ربما وقعت من الجيب.

- وليست لديكِ فكرة عمن كتب هذه الرسائل السخيفة يا سيدة غريغ؟ أو عمّن أوحى بكتابتها؟ ولا حتى الآن؟

اتسعت عيناها من الدهشة. ولاحظ أن فيهما نوعاً من الدهشة البريئة التي أعجبته ولكنه لم يصدقها.

- كيف لي أن أعرف؟ كيف يمكن أن أعرف؟

- ربما تكونت لديك فكرة جيدة يا سيدة غريغ؟

- ليس عندي... أؤكد لك أنه ليس عندي أية فكرة.

- أنت امرأة مشهورة جداً، وقد نلتِ نجاحاً عظيماً في مهنتك وعلى المستوى الشخصي أيضاً. لقد وقع الرجال في حبك وكانوا يريدون الزواج بك وتزوجوك، والنساء كنّ يغرن منك ويحسدنك... صحيح أنه حقل واسع جداً، لكن لا بد أن تتجه أفكارك إلى شخص ما.

- يمكن أن يكون أي واحد.

- لا يا سيدة غريغ، لا يمكن أن يكون أي واحد. من المحتمل أن يكون واحداً معيناً من بين مجموعة من الناس، يمكن أن يكون شخصاً متواضعاً تماماً، حلاّقاً أو كهربائياً أو خادماً... ويمكن أن يكون واحداً من بين أصدقائك أو من تسمينهم بالأصدقاء، لكن لا بد أنك تشكّين في شخص ما، أو ربما توجد عدة أسماء يمكنك اقتراحها.

فُتح الباب ودخل جيسن رد، التفتت مارينا إليه ومدّت له ذراعها مستغيثة: جينكز، حبيبي! إن السيد كرادوك يصرّ على أنني يجب أن أعرف الذي كتب لي تلك الرسائل البغيضة، مع أنني لا أعرف وأنت تعرف ذلك. لا أحد منا يعرف... لا نعرف أي شيء أبداً.

فكر كرادوك في نفسه: إنها تلحّ في هذا كثيراً. تُرى هل هي خائفة ممّا قد يقوله زوجها؟

تقدم جيسن وملامح الإرهاق بادية حول عينيه وأخاديد وجهه أعمق مما كانت. انضم إليهما فأمسك بيد مارينا وقال: أعرف أنك لن تصدق ذلك أيها المفتش، ولكن صدّقني: لا أنا ولا مارينا نعرف عن هذا الأمر شيئاً.

- إذن فأنتما ليس لكما أي أعداء؟

كانت نبرة الاستهزاء جلية في صوت ديرموت. واحمرّ وجه جيسن رد قليلاً: أعداء؟ هذه كلمة عميقة جداً يا حضرة المفتش، وبهذا المعنى أستطيع أن أؤكد لك أنه لا يوجد لنا أي عدو. صحيح أن هناك من يكره شخصاً ويرغب في التفوق عليه، وقد يقوم بتدبير شيء وضيع له إن استطاع بطريقة خبيثة وشريرة... نعم، لكن هذا بعيد جداً عن أن يبلغ وضعَ السم في الشراب.

- قبل قليل عندما كنت أتكلم مع زوجتك سألتها عن الذي يمكن أن يكتب لها هذه الرسائل أو يُحرّض على كتابتها، وقالت إنها لا تعرف. ولكن عندما نصل إلى التنفيذ الفعلي للعملية لا بدّ أن المجال يضيق. إن شخصاً قد وضع السم في ذلك الكأس، وهذا مجال ضيق للغاية.

قال جيسن: لم أر أي شيء.

قالت مارينا: لم أر شيئاً بالتأكيد. أعني أنني لو رأيت شخصاً يضع في كأسي شيئاً لما كنت سأشرب الكأس، أليس كذلك؟

قال ديرموت بلطف: لا يمكنني إلاّ أن أعتقد أنك تعرفين أكثر قليلاً مما تقولينه لي.

قالت مارينا: هذا ليس صحيحاً، أخبره يا جيسن أن هذا غير صحيح.

قال جيسن: أؤكد لك بأنني لا أعرف شيئاً أبداً. إن المسألة كلها غريبة، قد أصدق أن تكون هذه مزحة، مزحة أخذت مجرى آخر خاطئاً وفعلها شخص لم يكن يعتقد أنها ستكون خطيرة.

كانت نبرة السؤال واضحةَ في صوته ثم هزّ رأسه: لا، أرى أن هذه الفكرة لا تعجبك.

قال ديرموت كرادوك: أمر آخر أود أن أسألكما عنه: أنتما تذكران -بالطبع- وصول السيد بادكوك وزوجته... وصلا بعد وصول الكاهن مباشرة، وقد رحبتِ بهما -يا سيدة غريغ- بنفس الطريقة الجميلة التي رحبتِ بها بجميع الضيوف، لكن أحد شهود العيان أخبرني أنك بعد أن رحبت بهما نظرت فوراً وراء السيدة بادكوك ورأيت شيئاً بدا أنه أصابك بالذعر. أهذا صحيح؟ وإن كان كذلك فماذا رأيت؟

قالت مارينا بسرعة: ليس صحيحاً بالطبع... أصابني بالذعر؟ وماذا يمكن أن يكون هذا الذي أخافني؟

قال ديرموت صابراً: هذا ما نريد معرفته. إن شاهدي يصرُّ على هذه النقطة كثيراً.

- من هو شاهدك؟ ماذا قال أو قالت عن الذي رآه أو رأته؟

- كنت تنظرين إلى الدرج وكان بعض الناس يصعدون عليه. كان هناك صحفي، وكان هناك السيد غرايس وزوجته وهما زوجان

كهلان من أهل البلدة، وكان هناك السيد آردويك فين الذي كان قد وصل لتوه من الولايات المتحدة، وكانت هناك أيضاً الآنسة لولا بروستر... هل تضايقت من رؤية واحد منهم يا سيدة غريغ؟

قالت بطريقة أقرب إلى الصياح: قلت لك إنني لم أكن متضايقة.

- ومع ذلك فقد انشغلت بالتحديق بشيء وراء السيدة بادكوك التي كنتِ تحيينها ولم تتفاعلي مع ما كانت تقوله لك؟

هدأت مارينا غريغ نفسها وتكلمت بسرعة وبأسلوب مقنع: دعني أوضّح لك الأمر. إن كنت تعرف شيئاً عن التمثيل فستفهم ذلك بسهولة، تأتيك لحظات (حتى ولو كنت تتقن الدور، بل كثيراً ما تحدث عند إتقانك للدور)، لحظات تتصرف فيها بطريقة آلية؛ تبتسم وتقوم بالحركات والإيماءات اللازمة وتقول العبارات بالنبرة المعتادة دون تركيز، وفجأة تأتي لحظة فراغ مخيفة لا تعرف فيها ما كنت تقوله وأين وصلت في المسرحية وما هي العبارة التالية في دورك، لحظة يجف فيها تفكيرك! هذا ما حدث معي، أنا لست قوية كثيراً (كما يمكن لزوجي أن يؤكد لك). لقد عشت أوقاتاً عصيبة وعانيت الكثير من التوتر العصبي بخصوص هذا الفِلم، كنت أريد تحقيق النجاح لهذا المهرجان وأن أكون لطيفة ومرحة وأرحب بالجميع. لكن المرء يقول الأشياء ويكررها المرة تلو الأخرى بطريقة آلية لأشخاص يقولون نفس الكلام دائماً، تعرف كلامهم المعهود، كيف يحرصون على مقابلتي دائماً وكيف أنهم رأوني ذات مرة خارج أحد المسارح في سان فرانسيسكو أو سافروا معي في طائرة... شيء

سخيف في الحقيقة. لكن على المرء أن يكون مجاملاً ويقول أشياء لطيفة، وكل ذلك يتم بطريقة آلية دونما تفكير حقيقي فيما يقول لأنه سبق له أن قاله كثيراً من قبل. وقد غمرتني فجأة -كما أعتقد- موجة من التعب، ثم أدركت أن السيدة بادكوك كانت تحكي لي حكاية طويلة لم أسمعها أبداً وهي تنظر إليّ متلهفة وأنني لم أجبها ولم أتفاعل معها في ذلك... كان ذلك بسبب الإرهاق فقط.

- مجرد إرهاق. هل تصرين على هذا يا سيدة غريغ؟

- نعم؛ لا أفهم سبباً لشكك في كلامي.

التفت ديرموت كرادوك نحو جيسن رد وقال: سيد رد، أعتقد أنك قد تكون أكثر تفهماً لما أعنيه من زوجتك. إنني مهتم، مهتم كثيراً بسلامتها. لقد جرت محاولة لقتلها وأُرسلت رسائل تهديد، وهذا يعني أن شخصاً كان موجوداً هنا يوم المهرجان وربما ما زال هنا، شخصاً على صلة قريبة جداً بهذا البيت وما يجري فيه. قد يكون هذا الشخص معتوهاً بعض الشيء. والمسألة لم تتوقف عند التهديدات، بل وقعت محاولة متعمَّدة لتسميم السيدة غريغ. ألا ترى أن هذه المحاولة يمكن أن تتكرر؟ لا يمكن أبداً اتقاء ذلك إلا بإطْلاعي على كل ما لديكم من معلومات. أنا لا أقول إنك تعرف مَن هو هذا الشخص لكني أعتقد أنك قادر على التخمين أو على الوصول إلى تصور ما. ألن تخبرني بالحقيقة؟ أو إذا كنت لا ترغب في الحديث أولا تعرف الحقيقة فلا أقل من أن تحثّ زوجتك على مصارحتك بكل ما عندها. أنا لا أطلب ذلك إلاّ من باب الحرص على سلامتها هي.

التفت جيسن رد برأسه ببطء وقال: أنت تسمعين ما يقوله المفتش كرادوك يا مارينا، ربما تعرفين شيئاً لا أعرفه، وإن كان كذلك فأرجوك ألاّ تتحامقي في هذا الأمر... إن كنت تشكّين في أي شخص أدنى شك فأخبرينا الآن.

قالت: "لكني لا أعرف"، ثم ارتفع صوتها بشكل عويل: يجب أن تصدقني.

قال ديرموت: ممّن كنتِ خائفة في ذلك اليوم؟

- لم أكن خائفة من أي أحد.

- اسمعيني يا سيدة غريغ؛ من بين الأشخاص الذين كانوا يصعدون الدرج كان هناك صديقان فوجئتِ برؤيتهما ولم تكوني قد رأيتِهما منذ وقت طويل ولم تكوني تتوقعين رؤيتهما في ذلك اليوم: السيد آردويك فين والآنسة بروستر. هل ثارت في نفسك مشاعر خاصة عندما رأيتهما فجأة وهما يصعدان الدرج؟ لم تكوني تعلمين بأنهما سيأتيان، أليس كذلك؟

قال جيسن رَدْ: نعم، لم نكن نعرف حتى بوجودهما في إنكلترا.

قالت مارينا: كنت مبتهجة، مبتهجة تماماً.

- مبتهجة لرؤية الآنسة بروستر؟

نظرت إليه نظرة ارتياب سريعة: حسناً...

قال كرادوك: أظن أن لولا بروستر كانت زوجة لزوجك الثالث روبرت تراسكوت من قبل؟

- نعم، هذا صحيح؟

- وقد طلقها لكي يتزوجك؟

قالت مارينا بصبر نافد: آه، الجميع يعرفون ذلك، لا تظن أنك حققت معجزة باكتشافك هذا. لقد أثارت القضية بعض اللغط في حينها، ولكنها لم تخلّف أي مشاعر من البغض في نهاية الأمر.

- هل قامت بتوجيه التهديدات لك؟

- نعم، إلى حد ما، ولكن... يا إلهي! كيف أستطيع توضيح الأمر؟ لا أحد يأخذ مثل هذه التهديدات على محمل الجد. كان ذلك في أحد الحفلات وكانت قد شربت كثيراً، ربما كانت سترميني بالرصاص لو كان معها مسدس وقتها، ولحسن الحظ لم يكن معها مسدس... ولكن ذلك كله كان منذ سنوات! هذه أشياء تحدث في حينها ولا شيء منها يبقى، أليس كذلك يا جيسن؟

قال جيسن: هذا صحيح، إضافة إلى أنني متأكد من أن لولا بروستر لم تكن لديها الفرصة يوم المهرجان لتسميم شراب زوجتي، فقد كنت قريباً منها معظم الوقت. إن فكرة أن تأتي لولا فجأة بعد فترة طويلة من الصداقة بيننا إلى انكلترا وتصل إلى بيتنا من أجل تسميم شراب زوجتي... هذه الفكرة تبدو سخيفة من الأصل.

قال كرادوك: أقدّر وجهة نظرك.

- إنها ليست وجهة نظر بل حقيقة. الواقع أنها لم تقترب من كأس مارينا أبداً.

- وماذا عن زائرك الآخر: آردويك فين؟

سكت جيسن هنيهة قبل أن يجيب: إنه صديق قديم ولم نكن قد رأيناه منذ سنوات طويلة، رغم أننا كنا نتراسل من وقت لآخر. إنه شخصية مشهورة تماماً في التلفزيون الأميركي.

سأل ديرموت مارينا: هل كان صديقاً قديماً لك أنت أيضاً؟

جاءت أنفاسها سريعة وهي تجيب: نعم، نعم. لقد... لقد كان صديقاً لي دائماً، لكني لم أره في السنوات الأخيرة.

ثم أكملت بكلمات متسارعة: إن كنت تعتقد أنني رفعت بصري ورأيت آردويك فخفت منه فهذا هراء، إنه هراء حقاً. ولماذا أخاف منه؟ وأي سبب يدعوني للخوف منه؟ كنا صديقين حميمين وقد سررت للغاية عندما رأيته فجأة... قلت لك إنها مفاجأة سارة، نعم، مفاجأة سارة.

رفعت رأسها وهي تنظر إليه ووجهها ينبض بالحيوية والتحدي، فقال كرادوك بهدوء: أشكرك يا سيدة غريغ. إذا أحسست في أي لحظة بالميل إلى الثقة بي أكثر قليلاً فأنصحك أن لا ترددي في ذلك.

* * *

الفصل الرابع عشر

كانت السيدة بانتري جاثية على ركبتيها تقلّب التراب. كان يوماً جميلاً للزراعة؛ فالتربة جافة وملائمة، ومضت تقتلع الأعشاب الضارة والأشواك بنشاط. ثم نهضت لاهثة تغمرها السعادة وأطلّت من فوق السياج إلى الطريق، ففاجأتها قليلاً رؤية السكرتيرة ذات الشعر الأسود التي لم تكن تتذكر اسمها وهي تخرج من كُشْك الهاتف العمومي القريب من محطة الباصات على الجانب الآخر من الطريق.

ماذا كان اسمها؟ إنه يبدأ بحرف الباء... أم هو حرف الراء؟ لا، إنه زيلنسكي، هذا هو اسمها. تذكرت السيدة بانتري ذلك في الوقت المناسب تماماً بينما كانت إيلا تعبر الطريق وتدخل في الممشى الذي يمر أمام الكوخ. صاحت بصوت ودي: صباح الخير يا آنسة زيلنسكي.

جفلت إيلا زيلنسكي، وكان جفولها مثل الحصان الخائف، الأمر الذي أدهش السيدة بانتري. ردّت عليها إيلا: صباح الخير. ثم أضافت بسرعة: جئت لأتصل بالهاتف، إن هاتفنا معطل اليوم.

أحستِ السيدة بانتري بدهشة أكبر وتساءلت عن سبب اهتمام إيلا زيلنسكي بتبرير تصرفها.

ردّت عليها بأدب: لا بد أنه أمر مزعج بالنسبة لك. يمكنك أن تأتي إلى بيتي وتتصلي بالهاتف في أي وقت تشائين.

- آه، أشكرك كثيراً.

ثم انتابت إيلا نوبةٌ من العطاس، فقالت السيدة بانتري بتشخيص فوري: لقد أُصبتِ بحمى القش، جربي بيكربونات الصودا المخففة مع الماء.

- لا بأس بهذا، عندي دواء جيد على شكل بخّاخ. شكراً لك مع ذلك.

عطست ثانية بعد أن ابتعدت وهي تسير على الطريق بخفة. وتابعتها السيدة بانتري بنظراتها، ثم حولت عينيها إلى حديقتها وبدا عليها الاستياء إذ لم تعد ترى أي عشب ضار.

همست السيدة بانتري مرتبكة: لقد انتهى العمل هنا. أعتقد أنني عجوز فضولية لكنني أود أن أعرف إن...

ترددت السيدة بانتري لحظة، ثم أذعنت للإغراء. قررت أن تكون عجوزاً متطفلة وليكن ما يكون! دخلت البيت واتجهت إلى الهاتف، رفعت السماعة وأدارت الرقم، فتكلم صوت أميركي سريع: غوسينغتن هول.

- معك السيدة بانتري من الكوخ الشرقي.

- آه، صباح الخير يا سيدة بانتري. أنا هيلي بريستون وقد التقيت بك يوم المهرجان. ماذا يمكنني عمله من أجلك؟

- اعتقدت أن بإمكاني عمل شيء لكم إن كان هاتفكم معطلاً.

قاطعها بدهشة: هاتفنا معطل؟ ليس فيه أي عطل. ما الذي جعلك تعتقدين ذلك؟

قالت: "لا بد أنني أخطأت"، ثم أوضحت بلا تردد: أنا لا أسمع جيداً دائماً.

أعادت السماعة مكانها وانتظرت دقيقة ثم اتصلت مرة أخرى.

- جين؟ معك دولي.

- أهلاً دولي، ماذا لديك؟

- إن ما سأقوله يبدو غريباً. كانت السكرتيرة تتصل من هاتف عمومي في الطريق وقد كلفت نفسها عناء تبرير فعلها هذا دون ضرورة، قالت إنها فعلت ذلك لأن الخط في غوسينغتن هول كان معطلاً، لكني اتصلت بهم هناك ولم يكن معطلاً.

سكتت وانتظرت صوت الذكاء. قالت الآنسة ماربل متأملة: أمر مثير فعلاً.

- ما هو السبب برأيك؟

- واضح أنها لم تكن تريد أن يسمعها أحد.

- بالضبط.

- وقد يكون لهذا عدد كبير من الأسباب.

- نعم.

قالت الآنسة ماربل ثانية: هذا مثير.

* * *

لم يكن بوسع أحدٍ أن يكون أكثر استعداداً للحديث من دونالد ماكنيل. كان شاباً لطيفاً أحمر الشعر، ورحّب بديرموت كرادوك وبسعادة وفضول سأل مبتهجاً: كيف تسير أموركم؟ هل أحضرت لي أي نبأ خاص سار؟

- ليس بعد، ربما فيما بعد.

- تتأخرون كالمعتاد، كلكم هكذا: متكتمون لطفاء! ألم تصلوا بعد إلى مرحلة تطلبون فيها شخصاً ليأتي ويساعدكم في تحقيقاتكم؟

قال ديرموت كرادوك مبتسماً: ها قد جئت إليك.

- أشم في هذه الملاحظة قصداً آخر سيئاً... هل تشتبه حقاً في أنني قتلت هيذر بادكوك؟ وهل تعتقد أنني أخطأت حيث كنت أقصد مارينا غريغ؟ أو أنني كنت أقصد قتل هيذر بادكوك من البداية؟

- أنا لم أقل أي شيء.

- نعم، ما كنت لتفعل هذا، أليس كذلك؟ ستكون أكثر حذراً في كلامك. لا بأس، دعنا نناقش الأمر. كنت موجوداً هناك وكانت الفرصة مواتية لي، ولكن هل كان لدي أي دافع؟ آه، هذا ما تريد أنت معرفته، ماذا كان دافعي؟

قال كرادوك: لست قادراً على العثور على أي دافع لك حتى الآن.

- جميل جداً، أشعر بالأمان أكثر.

- أنا مهتم فقط بما يمكن أن تكون قد رأيته في ذلك اليوم.

- أنت تعرف إفادتي؛ فالشرطة المحليون أخذوا إفادتي مباشرة. أمر مخزٍ أن أكون حاضراً في مسرح الجريمة وتجري الجريمة تحت سمعي وبصري، ومع ذلك لا أعرف شيئاً عن الذي فعلها. إنني أخجل من الاعتراف بأن أول شيء عرفته عن الأمر كان رؤية تلك المرأة المسكينة تجلس على كرسي وتلهث ثم تفارق الحياة. نعم، كان ذلك بالنسبة لي سبقاً صحفياً وشهادة عيان، لكني أعترف لك بأنني أشعر بالخزي لأنني لا أعرف أكثر من ذلك. كان يجب أن أعرف أكثر، لا يمكنك خداعي بزعم أن الجرعة كانت موضوعة لهيذر بادكوك... كانت امرأة لطيفة كثيرة الكلام ولكن لا أحد يُقتل لهذا السبب، اللهم إلاّ إذا كان يكشف أسراراً... ولكن لا أظن أنها من النوع الذي يستودعه الناس أسرارهم، بل إنها لم تكن من النوع

الذي يهتم بأسرار الآخرين! إن رأيي عنها هو أنها امرأة كانت تتحدث عن نفسها باستمرار.

وافقه كرادوك: يبدو أن هذا هو الرأي الشائع عنها.

- وهكذا ننتقل إلى الشهيرة مارينا غريغ. يوجد الكثير من الدوافع المقنعة لقتل مارينا: الغيرة والحسد وعلاقات الغرام... وكلها أمور مثيرة. ولكن مَن الذي فعلها؟ أظن أنه شخص مجنون. والآن وقد عرفتَ رأيي القيّم، هل هذا ما كنت تريده؟

- ليس ذلك وحده. عرفتُ بأنك وصلتَ وصعدتَ الدرج في نفس الوقت الذي صعد فيه الكاهن والمحافظ تقريباً.

- صحيح تماماً، لكن ذلك لم يكن الوقت الذي وصلتُ فيه أول مرة. كنت قد وصلتُ إلى هناك قبل ذلك.

- لم أعرف هذا.

- نعم. كنتُ أدور هنا وهناك، وكان معي مصور. كنتُ قد نزلت لأخذ بعض اللقطات للمحافظ لحظة وصوله ولكي أشارك في مهرجان السخف الجماعي في الأسفل وأدلي بدلوي فيه وما إلى ذلك... ثم عدت إلى البيت مرة أخرى؛ ليس بدافع إكمال عملي وإنما لتناول بعض الشراب. كان الجو حاراً وكان العصير منعشاً.

- فهمت. هل تتذكر من كان معك على الدرج في أثناء صعودك؟

- مارغوت بينس من لندن كانت هناك ومعها آلة التصوير.

- هل تعرفها جيداً؟

- التقيتها مصادفة في مناسبات عديدة. إنها فتاة ذكية نجحت في عملها حيث تصور العروض الأولى للمسرحيات والمهرجانات، وهي متخصصة في التصوير من زوايا غير عادية... إنها متطفلة على الفن! اتخذت لنفسها موضعاً جيداً عند استراحة منتصف الدرج لتصوير كل شخص يصعد وأخذ صور للاستقبال في أعلى الدرج. كانت لولا بروستر أمامي تماماً على الدرج ولم أعرفها للوهلة الأولى، كان شعرها أحمر وتسريحتها جديدة، مثل تسريحة فتيات جزر فيجي الحديثة، في حين كان شعرها في آخر مرة رأيتها خرنوبياً أملس متساقطاً حول وجهها وذقنها. وكان معها رجل داكن البشرة ضخم الجسم، أميركي لا أعرف من هو لكنه كان يبدو شخصية مهمة.

- هل نظرت إلى مارينا غريغ نفسها وأنت تصعد الدرج؟

- نعم، بالطبع.

- ألم تكن تبدو منزعجة أو كأنها أصيبت بصدمة أو كانت خائفة؟

- كلامك هذا غريب! لقد اعتقدتُ -فعلاً- للحظات قصيرة أنها ستقع مغشياً عليها.

- فهمت، أشكرك. أليس لديك شيء آخر تود إخباري به؟

نظر ماكنيل إليه نظرة بريئة فيها دهشة: وما الذي يمكن أن يكون لديّ؟

قال كرادوك: أنا لا أثق بك.

- لكنك تبدو واثقاً تماماً من أنني لم أرتكب الجريمة، وهو أمر مخيب للآمال. افترِضْ أنه تبين لك أنني كنت زوجها الأول... لا أحد يعرف من هو ما عدا أنه شخصية مغمورة حتى إن اسمه أصبح منسياً.

ابتسم ديرموت وقال: ربما تزوجت أثناء دراستك الإعدادية... أو ربما في فترة الحضانة؟ يجب أن أسرع؛ أريد اللحاق بالقطار.

* * *

كان على طاولة كرادوك في مكتبه بالمركز الجديد لشرطة سكوتلانديارد كومة من الأوراق وضعت في أعلاها خلاصة مرتبة بعناية تحتوي على تفصيلات تلك الأوراق. نظر إليها نظرة لامبالية ثم سأل: أين تقيم لولا بروستر؟

- في فندق السافوي يا سيدي، جناح رقم ١٨٠٠، وهي تنتظرك.

- وآردويك فين؟

- إنه في فندق دوشستر. الطابق الأول، جناح رقم ١٩٠.

- جيد.

تناول بعض البرقيات وقرأها باهتمام قبل أن يدسها في جيبه، وافترّت شفتاه عن ابتسامة خفيفة وهو يقرأ الأخيرة منها، وهمس:

"لا تقولي إنني لا أقوم بعملي يا عمتي جين..."، ثم انطلق إلى فندق السافوي.

في جناحها بالفندق بذلت لولا بروستر كل جهد في الترحيب به بإسراف. تفحصها بحرص شديد وهو يتذكر التقرير الذي قرأه عنها لتوه: ما زالت جميلة بشيء من الترف والبدانة كأنها قطعة حلوى منفوخة، ولكن الرجال ما زالوا يحبون هذا النوع من النساء. إنها من نوع مختلف تماماً عن مارينا غريغ.

بعد أن انتهت آداب الاستقبال دفعت لولا شعرها إلى الوراء وطرفت بجفنيها وفتحت عينيها البنيتين الواسعتين وقالت: هل تحمل في جعبتك مزيداً من الأسئلة الفظيعة كتلك التي سألنيها مفتش القرية؟

- آمل أن لا تكون فظيعة جداً يا آنسة بروستر.

- آه، لا بد من وجود خطأ فاحش في القضية كلها.

- أتعتقدين ذلك حقاً؟

- نعم؛ فالأمر كله ليس منطقياً. أتعتقد أن أحداً حاول قتل مارينا حقاً؟ مَن يمكن أن يقتل مارينا؟ إنها محبوبة جداً، الجميع يحبونها.

- حتى أنت؟

- لقد أحببتها دائماً.

- لا تبالغي يا آنسة بروستر. ألم تحدث مشكلة صغيرة بينكما قبل نحو اثني عشر عاماً؟

- آه، تقصد تلك المشكلة؟

ثم استبعدتها بإشارة من يدها وقالت: كنت في حالة عصبية شديدة وكنت أتشاجر مع روب شجارات رهيبة. لم يكن أحد منا في حالته الطبيعية في تلك اللحظة. لقد وقعت مارينا في حبه بجنون وجعلته يفقد توازنه، ذلك المسكين!

- وهل ضايقك ذلك كثيراً؟

- اعتقدت أنه ضايقني وقتها يا حضرة المفتش، ولكنني أرى ذلك الآن واحداً من أفضل الأشياء التي حدثت معي. كنت قلقة على الأطفال... لقد كان البيت موشكاً على الانهيار، والحق أنني كنت قد أدركت سلفاً أنني وروب كنا نفتقر إلى الانسجام منذ البداية. أظن أنك تعرف أنني تزوجت إيدي غروفز مباشرة بعد حصولي على الطلاق؟ كنت أحبه منذ وقت طويل لكن آثرت عدم فسخ زواجي من أجل أطفالي. الأطفال بحاجة كبيرة إلى بيت مستقر، أليس كذلك؟

- ومع ذلك يقول الناس إنك تضايقت كثيراً؟

قالت لولا بغموض: آه، ما أكثر كلام الناس!

- لقد قلتِ وقتها الكثير يا آنسة بروستر، بل لقد هددت بأن تقتلي مارينا غريغ فيما أعلم.

- قلت لك إن المرء كثيراً ما يقول أشياء كثيرة... طبيعي أن

يقول مثل ذلك، ولكني لم أكن لأقتل أحداً بالطبع.

- رغم إطلاقك النار على إيدي غروفز بعد ذلك ببضع سنوات؟

- آه، كان ذلك بسبب مشاجرة بيننا... لقد فقدت أعصابي.

- لقد أخبرني من لا أشك في صدقه -يا آنسة بروستر- أنك قلت... وهذه كلماتك بالحرف الواحد (قرأ من دفتر ملاحظات): على هذه المومس أن لا تظن أنها ستنجو بفعلتها، إن لم أقتلها الآن فسوف أقتلها في أي وقت آخر. لن يهمني طول الانتظار، حتى لو تطلب ذلك سنوات، ولكنني سأنتقم منها في النهاية.

ضحكت وقالت: آه، أنا واثقة أنني لم أقل شيئاً من هذا القبيل.

فردّ كرادوك: وأنا واثق أنك قلت ذلك يا آنسة بروستر.

- الناس يبالغون في كل شيء.

بدت على وجهها ابتسامة جميلة ثم همست مصارِحة: كنت في حالة جنون ساعتها. إن المرء يقول كل شيء عندما يفقد أعصابه، ولكن لا أظنك تعتقد حقاً أنني كنت سأنتظر أربع عشرة سنة ثم آتي إلى إنكلترا وأزور مارينا وأضع بعض السم القاتل في شرابها بعد ثلاث دقائق من رؤيتها ثانية!

الحق أن كرادوك لم يكن يعتقد ذلك. بدا له ذلك احتمالاً بعيداً تماماً، فاكتفى بالقول: أنا أوضّح لك فقط يا آنسة بروستر أن تهديداتك السابقة لمارينا غريغ وخوفها الظاهر عندما رأت شخصاً

يصعد الدرج في ذلك اليوم قد جعلانا نشكّ بأن هذا الشخص هو أنت، وهو أمر طبيعي.

- لكن العزيزة مارينا كانت مسرورة لرؤيتي؛ لقد قبّلتني وأعربت عن سرورها للقائي. آه، أعتقد -حقيقةً- أنَ نظريتك كانت سخيفة جداً جداً يا حضرة المفتش.

- هل كنتم عائلة واحدة كبيرة وسعيدة في الواقع؟

- هذا صحيح أكثر من الأمور التي كنت تفكر بها.

- أليس لديك أية أفكار يمكن أن تساعدنا؟ أفكار عن الذي يمكن أن يقتلها؟

- قلت لك لا يمكن أن يوجد أحد يريد قتل مارينا؛ إنها امرأة سخيفة جداً على كل حال، دائماً تثير ضجة عن صحتها وتغيّر رأيها وتريد هذا وذاك، وعندما تحصل عليه تكرهه! لا أدري علامَ يحبّها الناس هذه المحبة؟ كان جيسن مجنوناً بها دائماً بلا شك. أي شيء يمكن أن يتحمله هذا الرجل؟! ولكن هذا هو الواقع. الكل يحب مارينا ويمد لها يد المساعدة فتبتسم لهم ابتسامتها الحزينة الجميلة وتشكرهم. والظاهر أنهم يشعرون عندها أن تعبهم لم يكن عبثاً! الحق أنني لا أعرف كيف تفعل ذلك، وعلى كل حال فمن الأفضل أن تُخرج من رأسك فكرة وجود أحد يريد قتلها.

- ليتني أستطيع، المصيبة أن ذلك وقع فعلاً.

- ماذا تعني بكلمة «وقع»؟ هل قتل أحدٌ مارينا؟

- لا، لكن المحاولة قد وقعت.

- لا أصدق ذلك أبداً! الشخص الذي فعل ذلك كان يقصد تلك المرأة من البداية، أقصد المرأة التي قُتلت. أظن أن أحداً سيرث مالها عندما تموت.

- ليست عندها أية أموال يا آنسة بروستر.

- حسناً، لا بد من وجود سبب آخر. على أية حال لو كنت مكانك لما خفت على مارينا، إنها بخير دائماً!

- أحقاً؟ إنها لا تبدو لي سعيدة جداً.

- آه، لأنها تعمل ضجة بسبب وبلا سبب، بحجة الزواج غير السعيد أو لعدم قدرتها على إنجاب أي طفل...

قال ديرموت وقد تذكر فجأة كلام الآنسة ماربل وإلحاحها: لقد تبنت بعض الأطفال، أليس كذلك؟

- أظن أنها فعلت ذلك مرة، وأعتقد أن ذلك لم يكن ناجحاً أيضاً. إنها تقدم على الأمور بتهور ثم تتمنى لو أنها لم تفعلها.

- ماذا حدث للأطفال الذين تبنتهم؟

- لا أعرف. لقد اختفوا بعد وقت قصير، وأظنها سئمت منهم مثلما تفعل مع أي شيء آخر.

- فهمت.

* * *

كانت المحطة التالية الجناح رقم ١٩٠ في فندق دورشستر.

نظر آردويك فين إلى البطاقة التي يحملها بيده وقال: حسناً، رئيس المفتشين...

- كرادوك.

- بماذا يمكنني أن أخدمك؟

- آمل أن لا يكون لديك مانع في توجيه بعض الأسئلة إليك.

- أبداً، إنه بخصوص ما وقع في ماش بنهام. لا... ما هو الاسم الحقيقي؟ سينت ميري ميد؟

- نعم، هذا صحيح... غوسينغتن هول.

- لا أعرف سبب شراء جيسن رَدْ لبيت كهذا، في إنكلترا كثير من البيوت المبنية على الطراز الجورجي... أو حتى على طراز عصر الملكة آن، أما غوسينغتن هول فليس سوى قصر على الطراز الفكتوري، أي جاذبية في هذا؟

- آه، يوجد بعض الجاذبية بالنسبة لبعض الناس، وهي تكمن في الاستقرار الذي يوحي به الطراز الفكتوري.

- الاستقرار؟ حسناً، ربما كنت مصيباً بعض الشيء في هذا الأمر. أظن أن مارينا تستهويها مسألة الاستقرار، إنه أمر لم تحصل عليه تلك المسكينة أبداً، وهذا هو سبب توقها الدائم له. ربما سيرضيها هذا المكان لبعض الوقت.

- هل تعرفها جيداً يا سيد فين؟

هزّ آردويك فين كتفيه وقال: لا أدري إن كنت أستطيع قول ذلك. لقد امتدت معرفتي بها لسنوات طويلة، لكن بشكل متقطّع.

نظر كرادوك محاوِلاً تقييم الرجل الجالس أمامه: رجل أسمر، قوي البنية، ذو عينين حادتين وراء نظارة سميكة، عريض الفك والذقن.

واصل آردويك فين حديثه: مما قرأته في الصحف فهمت أن هذه المرأة (التي لا أعرف اسمها) قد تناولت السم عن طريق الخطأ، وأن السم كان موضوعاً لمارينا... هل هذا صحيح؟

- نعم، هذا صحيح. كان السم في كأس مارينا غريغ، لكن حدث أن سقط كأس السيدة بادكوك فأعطتها مارينا كأسها لتشربه.

- أمر واضح جداً، ولكنني -مع ذلك- لا أصدق أن أحداً يريد قتل مارينا، ولا سيما أن لينيت براون لم تكن هناك.

بدا كرادوك مشدوهاً قليلاً وقال: لينيت براون؟

ابتسم آردويك فين: إذا فسخت مارينا هذا العقد وتخلّت عن دورها في الفِلم فإن لينيت ستحصل عليه، وهذا يعني الكثير لها. لكن رغم ذلك فإن فكرة إرسالها من يدسّ السم لمارينا فكرة خيالية جداً.

قال ديرموت بجفاء: تبدو فكرة مستبعدة قليلاً.

- آه، إنك تستغرب مما يمكن للنساء أن يفعلنه عندما يكنّ طموحات! ربما لم تكن تقصد قتلها، ربما كانت تريد تخويفها أو تعطيلها وإبعادها عن الفِلم، ولكن ليس قتلها.

هزّ كرادوك رأسه بالنفي وقال: لم تكن الجرعة جرعة تخويف أو تعطيل.

- الناس يخطئون في تقدير الجرعات ويكون خطؤهم كبيراً أحياناً.

- هل هذه هي نظريتك حقاً؟

- آه، لا؛ كان ذلك مجرد اقتراح. ليست لديّ نظرية، كنت مجرد متفرج بريء.

- هل فوجئت مارينا غريغ برؤيتك؟

قال: "نعم، كانت مفاجأة كبيرة". وضحك ثم أضاف: لم تصدّق عينيها عندما رأتني أصعد الدرج، وقد رحّبت بي ترحيباً رائعاً.

- ألم تكن قد رأيتها منذ مدة طويلة؟

- أظن أنني لم أكن قد رأيتها منذ أربع سنوات أو خمس.

- أظن أنكما كنتما صديقين حميمين قبل ذلك بوقت طويل. أليس كذلك؟

- هل تُلمّح إلى شيء بالتحديد بكلامك هذا يا حضرة المفتش؟

كانت نبرة صوته قد تغيرت قليلاً فشابَها شيء لم يكن موجوداً من قبل، شيء يوحي بالصلابة والوعيد. وأحس ديرموت فجأة بأن هذا الرجل سيكون خصماً صعباً.

قال آردويك فين: ربما كان من الأفضل أن تقول ما تعنيه بالضبط.

- أنا مستعد تماماً للقيام بذلك يا سيد فين، عليّ أن أحقق في العلاقات الماضية لكل شخص كان مع مارينا غريغ في ذلك اليوم، ويبدو أن شائعة رائجة تقول إنك كنت على علاقة حب جارف مع مارينا غريغ خلال تلك الفترة التي أشرتَ إليها.

هز آردويك فين كتفيه قائلاً: إن المرء يصاب بحالات افتتان يا حضرة المفتش، ولحسن الحظ فإنها لا تدوم.

- لقد قيل إنها شجعتك ثم صدّتك بعد ذلك ممّا جعلك تستاء من الأمر.

- لقد قيل... لقد قيل! أظنك طالعت هذا كله في مجلة «أسرار الفن»!

- لقد أخبرني بهذا أناس مطّلعون تماماً وعاقلون.

ألقى آردويك فين رأسه إلى الوراء مظهراً رقبته التي تشبه رقبة الثور، ثم قال: حسناً، كنتُ مغرماً بها في وقت ما. كانت امرأة جميلة وجذابة، ولم تزل، لكن الزعم بأنني هدّدتها يخالف الحقيقة. صحيح أنني لا أُسَرّ عندما يخذلني الآخرون وأن أغلب الذين خذلوني شعروا

غالباً بالأسف لخذلاني، ولكن هذا المبدأ ينطبق بشكل رئيسي على مجال العمل في حياتي المهنية.

- ومع ذلك فقد استخدمت نفوذك لحرمانها من تمثيل فِلم كانت تصوره؟

هزّ فين كتفيه قائلاً: لم تكن مناسبة لذلك الدور، وقد وقع نزاع بينها وبين المخرج. كنت قد استثمرت بعض أموالي في ذلك الفِلم ولم أكن أريد أن أفسده. أؤكد لك أن ذلك كان مجرد صفقة تجارية.

- لكن ربما كان لمارينا غريغ رأي آخر؟

- آه، أمر طبيعي. لا بد أنها ستفسر مثل هذا التصرف على أنه أمر شخصي.

- وأعتقد أنها أخبرت -فعلياً- بعض أصدقائها بأنها تخاف منك؟

- أحقاً؟ يا له من تصرف طفولي! إني لأحسب أنها استمتعت بمثل ذلك الإحساس.

- أتعتقد بأنه لا مبرر لخوفها منك؟

- بالطبع لا مبرر؛ فسرعان ما تجاوزتُ خيبة الأمل الشخصية التي تعرضتُ لها. لقد آمنت دوماً -عندما يتعلق الأمر بالنساء- بالمبدأ القائل: «إن في البحر سمكاً كثيراً أفضل مما تم اصطياده».

- طريقة مقنعة للسير عليها في هذه الحياة يا سيد فين.

- نعم، أعتقد ذلك.

- هل لديك معرفة واسعة بعالم السينما؟

- لديّ فيه مصالح مالية.

- أنت ذو رأي يجدر بالمرء أن يسمعه. هل يمكنك أن تخبرني عن أي شخص لديه حقد دفين على مارينا غريغ أو أي شيء يجعله مستعداً لقتلها؟

- ربما توجد دستة من الناس المستعدّين لذلك، وإن لم يكونوا مضطرين للقيام بذلك بأنفسهم. لو كانت المسألة مجرد الضغط على زر في جدار فإنني أعتقد أنه ستكون هناك الكثير من الأصابع المستعدة للضغط.

- كنتَ موجوداً هناك ذلك اليوم ورأيتَها وتحدثتَ معها، هل تتوقع أي شخص يمكن أن يقتل مارينا غريغ بين الناس الذين كانوا حولك أثناء تلك الفترة القصيرة، من لحظة وصولك إلى اللحظة التي توفيت فيها هيذر بادكوك؟ وأرجو أن تنتبه إلى أن هذا هو مجرد تخمين منك أو اقتراح لا أكثر.

- لا أود الخوض في ذلك.

- هذا يعني أن لديك فكرة معينة؟

- هذا يعني عدم وجود شيء لديّ لأقوله حول ذلك الموضوع، وهذا هو كل ما ستحصل عليه مني يا حضرة المفتش.

* * *

الفصل الخامس عشر

تأمل ديرموت كرادوك الاسم الأخير والعنوان الذي سجله في دفتر ملاحظاته. حاول الاتصال به بالهاتف للمرة الثالثة دون جدوى، فهزّ كتفيه ونهض عازماً على أن يذهب ويرى بنفسه.

كان أستوديو مارغوت بينس في زقاق متفرع من شارع توتنهام كوزت، وفيما عدا الاسم المحفور على لوحة بجانب الباب لم يكن هناك الكثير مما يمكن أن يعرِّف بهذا الاسم، ولم يكن هناك بالتأكيد أي شكل من أشكال الدعاية. وتابع طريقه صاعداً إلى الطابق الأول حيث دلف إلى حجرة انتظار صغيرة كُتِبَ على اللوحة المعلقة على بابها: «مارغوت بينس، مصورة شخصيات، يرجى الدخول».

وقف كرادوك متردداً عندما لم يجد أحداً، ثم تنحنح بصوت عال وبأسلوب استعراضي. وحين فشلت نحنحته في جذب أي انتباه رفع صوته منادياً: هل يوجد أحد؟

سمع صوت نعال من وراء ستارة مخملية، ثم فُتحت الستارة وأطل منها شاب متورد الوجه طويل الشعر قائلاً: أنا آسف جداً

يا عزيزي، لم أسمعك؛ فقد كنت أحاول تنفيذ فكرة مبتكرة جديدة.

دفع الستارة وفتحها أكثر وتبعه كرادوك إلى غرفة داخلية. كانت تلك الغرفة كبيرة بصورة غير متوقعة، وكان واضحاً أنها أستوديو التصوير؛ إذ كانت فيها آلات تصوير وأضواء وكشافات وأكوام من الستائر ومناظر خلفية على عجلات.

قال الشاب الذي كان رشيقاً مثل هيلي بريستون: الغرفة في حالة من الفوضى، ولكن المرء يجد صعوبة في العمل بغير هذا الجو. والآن، ما حاجتك؟

- لقد أردت رؤية الآنسة مارغوت بينس.

- آه، مارغوت. أمر مؤسف، لو جئت قبل نصف ساعة لوجدتها هنا؛ فقد ذهبت لأخذ بعض الصور لعارضات أزياء. كان عليك أن تتصل بالهاتف لتأخذ موعداً لأن مارغوت مشغولة جداً في هذه الأيام.

- لقد حاولت الاتصال بكم ولم يجب أحد.

- فعلاً، لقد رفعنا السماعة. تذكرتُ الآن، كان رنين الهاتف يزعجنا.

مسح بيده على المعطف الأرجواني الذي كان يلبسه قائلاً: هل يمكنني خدمتك؟ أتحب أن أحدد لك موعداً؟ إنني أقوم بتنسيق الكثير من أعمال مارغوت، هل تريد تصوير شيء؟ خاص أو مهني؟

قال كرادوك: لا هذا ولا ذلك.

ثم سلّم بطاقته إلى الشاب الذي قال: هذا مثير تماماً... من المباحث الجنائية! أظن أنني رأيت لك صوراً. هل أنت أحد الأربعة الكبار أو الخمسة الكبار أو ربما هي الآن الستة الكبار؟ تحصل الكثير من الجرائم ولذلك فهم يزيدون عدد المسؤولين، أليس كذلك؟ آه، أخشى أنني تجاوزت الأدب معك، لم أكن أقصد ذلك أبداً. ما الذي تريد مارغوت من أجله؟ أرجو أن لا تكون قد جئت لاعتقالها.

- كنت أريد توجيه بعض الأسئلة إليها.

- إنها لا تصور صوراً مخلّة بالآداب أو شيئاً كهذا... أرجو أن لا يكون أحد قد أخبرك بمثل هذه المزاعم لأن ذلك ليس صحيحاً؛ إن مارغوت تحب الفن كثيراً، وهي تقوم بالكثير من أعمال التصوير في الحفلات وفي الأستوديو، لكن أعمالها نظيفة جداً جداً إلى حد الاحتشام.

- اطمئن، أنا أريد أن أتحدث مع الآنسة بينس بخصوص جريمة حدثت قرب ماش بنهام، في قرية تُدعى سينت ميري ميد، وكانت هي شاهدة عيان عليها.

- آه، بالطبع. أعرف عن هذا؛ فقد أخبرتني مارغوت بالأمر. وضعوا مادة لا أعرف اسمها في العصير، أليس كذلك؟ شيء كهذا. بدا الأمر محزناً جداً، ولكن الأمر كان مرتبطاً بمستشفى سينت جون وهو ما لا يبدو موحياً بالحزن، أليس كذلك؟ ولكن ألم تسأل مارغوت عن ذلك من قبل، أم أنه كان شخصاً آخر؟

- هناك دائماً المزيد من الأسئلة مع تطور القضية.

- أتعني أنها تتطور؟ نعم، أفهم ذلك تماماً؛ جريمة القتل تتطور، مثل الصورة الفوتوغرافية، أليس كذلك؟

- الحق أنها تشبه التصوير الفوتوغرافي، تشبيه ذكي.

- لطف كبير منك أن تقول هذا. بخصوص مارغوت، هل تود اللقاء بها الآن مباشرة؟

- إن كنت تستطيع مساعدتي في ذلك، فنعم.

قال الشاب وهو ينظر إلى ساعته: في هذه اللحظة... في هذه اللحظة ستكون خارج بيت عائلة كيت في هامبستِدْ هيث. سيارتي في الخارج، هل تحب أن أوصلك إلى هناك؟

- سيكون ذلك لطفاً كبيراً منك يا سيد...

- جيثرو، جوني جيثرو.

وعلى درجات الدرج سأله ديرموت: لماذا ذهبَتْ إلى بيت كيت؟

- لم نعد نصور لقطات الأزياء في الأستوديو، نريدها أن تبدو طبيعية: تطيرها الرياح وإذا أمكن في خلفيات أخرى غير مألوفة، مثل ثوب من أزياء أسكوت أمام سجن واندسورث أو بدلة غير تقليدية أمام بيت أحد الشعراء...

قاد السيد جيثرو سيارته بسرعة وبمهارة من شارع توتنهام

كورت ثم من خلال كامدن تاون، وعندما وصل إلى منطقة قريبة من هامبستد هيث كان على الرصيف القريب من بيت كيت مشهد صغير يجري تمثيله: فتاة نحيفة تلبس ثوباً من الموسلين وتقف ممسكة بقبعة سوداء كبيرة ووراءها بمسافة قصيرة كانت فتاة أخرى تجلس على ركبتيها ممسكة بطرف الفتاة الأولى، وهناك فتاة ثالثة تحمل آلة تصوير وتوجه العمل بصوتها الأجش: أرجوك يا جين، أنزلي طرف ثوبها إلى الأرض، لا، إلى اليسار أكثر... تماماً. إن الغصن يغطي وجهك الآن... هذا جيد، انتظري، سنأخذ واحدة أخرى... كلا اليدين وراء القبعة هذه المرة. ارفعي رأسك... جيد، والآن استديري يا إلسي، انحني أكثر، انحني. هذا جيد، رائع... صورة رائعة! والآن تحركي إلى اليسار، نفس الوقفة ولكن التفتي برأسك إلى الوراء...

قال السيد جيثرو: مرحباً مارغوت.

التفتت برأسها: آه، هذا أنت؟ ما الذي أتى بك؟

- أحضرت شخصاً يريد رؤيتك، إنه رئيس المفتشين كرادوك من المباحث الجنائية.

نظرت الفتاة إلى ديرموت بسرعة، ورأى أنها كانت نظرة حذر وتمعن لكنه كان يعرف أن ذلك لم يكن بالشيء الغريب، إنه رد فعل طبيعي تماماً عند رؤية رجال التحري. كانت فتاة نحيلة دقيقة العظم لكنها كانت ذات شكل جميل مع ذلك. كان شعرها الأسود الغزير يتساقط على جانبي وجهها، وبدت له متسخة وشاحبة ولا تلفت النظر بشكل خاص، لكنه أدرك أن خلف هذه الملامح شخصية

قوية. رفعت حاجبيها من الدهشة وقالت: وماذا يمكنني أن أفعله لك حضرة المفتش كرادوك؟

- كيف حالك آنسة بينس؟ أردت أن تتكرمي عليّ وتجيبي عن بعض الأسئلة عن ذلك الحادث المشؤوم في غوسينغتن هول قرب ماش بنهام. أذكر أنك ذهبت إلى هناك لأخذ بعض الصور.

أومأت الفتاة برأسها: "بالطبع، أتذكر ذلك جيداً". ثم نظرت إليه بإمعان: لم أرك هناك، كان شخصاً آخر بالتأكيد، المفتش، المفتش...

- المفتش كورنيش.

- هذا صحيح.

- لقد تم استدعاؤنا في وقتٍ لاحق.

- هل أنت من شرطة سكوتلانديارد؟

- نعم.

- تدخلتم وتوليتم القضية عن الشرطة المحلية، أليس كذلك؟

- ليست المسألة مسألة تدخل، إن الأمر يعود إلى قرار رئيس شرطة المقاطعة إن كان يريد إبقاء القضية بين يديه أو تحويلها إلينا.

- وما الذي يجعله يقرر ذلك؟

- غالباً ما يعتمد ذلك على طبيعة القضية؛ إن كانت ذات خلفية محلية أو وطنية، وربما تكون القضية دولية.

- وهل قرر أن هذه القضية دولية؟

- ربما لها علاقة بالجانب الآخر من الأطلسي... هذا تعبير أفضل.

- لقد ألمحوا إلى ذلك في الصحف، أليس كذلك؟ ألمحوا إلى أن القاتل جاء من الخارج لقتل مارينا غريغ لكنه قتل امرأة بائسة من أهل المنطقة بطريق الخطأ. أهذا صحيح أم أنه جزء من الدعاية لفِلمهم؟

- أخشى أن ذلك مما لا شك فيه يا آنسةَ بينس.

- ما الذي تريد أن تسألني عنه؟ هل يتعيّن عليّ الحضور إلى مقرّ سكوتلانديارد؟

هزّ رأسه: لا، إلاّ إذا كنت تريدين. سنعود إلى الأستوديو الخاص بك إن شئت.

- حسناً، لنذهب إلى هناك. إن سيارتي في طرف الشارع.

سارت على الرصيف بسرعة وذهب ديرموت معها، وناداهما جيثرو وهما ذاهبان: وداعاً، لن أتدخل في أمركما. لا بدّ أنكما ستتحدثان في أسرار كبيرة.

ركبت مارغوت سيارتها وفتحت الباب في الجانب الآخر، فركب ديرموت كرادوك إلى جانبها. لم تتفوه بكلمة واحدة في الطريق، وانعطفت إلى الزقاق ودخلت في أحد المداخل حتى آخره.

قالت: أنا أوقف سيارتي هنا. إنه مستودع للأثاث لكنهم أجروني مساحة صغيرة فيه، إذ أن إيقاف السيارة مشكلة كبيرة في لندن، وربما تعرف هذا جيداً رغم أنني لا أظنك تتعامل بمسائل المرور، أليس كذلك؟

- نعم، إنها ليست من ضمن اختصاصاتي.

- أعتقد أن جرائم القتل هي المفضَّلة عندك دون شك.

سبقته إلى دخول الأستوديو وأشارت له بالجلوس على أحد الكراسي، وقدمت له عصيراً وجلست على كنبة كبيرة مقابله. نظرت إليه من وراء خصلات شعرها الأسود المتساقط على وجهها نظرات فيها بعض الارتياب. قالت: انطلق أيها الغريب.

- عرفتُ أنك كنتِ تصورين في الحفل الذي وقعت فيه الوفاة؟

- نعم.

- هل تم توظيفك رسمياً؟

- نعم، أرادوا شخصاً من أجل بعض اللقطات المتخصصة. إنني أقوم بكثير من هذا العمل، أحياناً أقوم ببعض هذه الأعمال لصالح أستوديوهات التصوير السينمائي، ولكن هذه المرة كنت آخذ صوراً للمهرجان وبعد ذلك لقطات لنخبة من الناس الذين استقبلتهم مارينا غريغ وجيسن رد... الشخصيات البارزة محلياً.

- نعم، عرفتُ ذلك. وكنت تضعين آلة التصوير على الدرج؟

- لبعض الوقت، نعم؛ كنت آخذ الصور من زاوية جيدة هناك. يمكنك أخذ صور للناس وهم يصعدون الدرج تحتك، ثم تستدير معهم لتأخذ صوراً لمارينا وهي تصافحهم... كنتُ أستطيع أخذ الكثير من الصور من زوايا مختلفة دون أن يتطلب ذلك مني الكثير من الحركة.

- أعرف طبعاً أنك أجبت سابقاً عن أسئلة فيما إذا كنتِ قد رأيت أي شيء غير عادي أو أي شيء قد يساعد، وكانت أسئلة عامة.

- هل لديك أسئلة أكثر تخصصاً؟

- أعتقد أنها متخصصة قليلاً. لقد كنتِ ترين مارينا غريغ جيداً من المكان الذي كنت تقفين فيه؟

أومأت برأسها موافقة: رؤية ممتازة.

- وجيسن رد؟

- من وقت لآخر. كان يتنقل في المكان لإحضار العصير والأمور الأخرى، ويعرّف الحاضرين بعضهم ببعض ويُعرّف الشخصيات المشهورة على أهل البلدة... أظن أنه كان يقوم بشيء من هذا. ولم أر السيدة باديلي هذه...

- تقصدين بادكوك؟

- أنا آسفة، بادكوك. لم أرها وهي تشرب الجرعة القاتلة أو أي شيء من هذا القبيل، وفي الواقع لا أعتقد أنني أعرف من هي من بين الحضور.

- هل تتذكرين وصول المحافظ؟

- آه، نعم، أتذكّر المحافظ تماماً. كان يلبس لباسه الرسمي ويضع الأوسمة، وأخذت صورة قريبة له وهو يصعد الدرج، أو بالأحرى صورة جانبية، ثم صوّرته وهو يصافح مارينا.

- إذن لا بدّ أنك تذكرين السيدة بادكوك. لقد صعدت وزوجها الدرج لملاقاة مارينا غريغ قبله مباشرة.

هزّت رأسها نافية: أنا آسفة، ما زلت لا أتذكرها.

- هذا لا يهم كثيراً، المهم أنك كنت ترين مارينا غريغ رؤية جيدة وكنت تنظرين إليها وتركزين الكاميرا عليها أحياناً كثيرة.

- صحيح تماماً، معظم الوقت عليها. كنت أنتظر ريثما تأتي اللحظة المناسبة.

- هل تعرفين رجلاً يُدعى آردويك فين شخصياً؟

- آه، نعم، أعرفه جيداً من خلال شبكة التلفزيون فهو يعمل بالأفلام.

- هل أخذت له صورة؟

- نعم، أخذتها له وهو يصعد مع لولا بروستر.

- كان ذلك بعد المحافظ مباشرة، أليس كذلك؟

فكرت بعض الوقت ثم وافقته: بلى، بعده تقريباً.

- هل لاحظتِ ظهور ألم مفاجئ على مارينا غريغ في ذلك الوقت تقريباً؟ هل لاحظت أي ملامح غير عادية على وجهها؟

مالت مارغوت بينس إلى الأمام وقلّبت بعض الصور الموضوعة على الطاولة أمامها، ورغم أنها لم تجب إلا أن ديرموت لم يضغط عليها بل انتظر وهو يتساءل عن ذلك الذي كانت تقلّبه في ذهنها، وأخيراً قالت فجأة: لِمَ تسألُني ذلك؟

- إنها مسألة مهمة بالنسبة لي وأحرص كثيراً على الحصول على إجابة لها، إجابة موثوقة.

- هل تعتقد أن إجابتي ستكون موثوقة؟

- نعم؛ لا بد أنك معتادة على مراقبة وجوه الناس عن قُرب، تنتظرين ملامح معينة لتظهر عليهم... لحظات مؤاتية معينة.

أومأت برأسها بالإيجاب.

- هل رأيتِ شيئاً من هذا؟

- أُناس آخرون رأوا ذلك أيضاً، أليس كذلك؟

- بلى؛ أكثر من شخص، لكن كل واحد منهم كان يصفه بطريقة مختلفة.

- كيف وصفه الآخرون؟

- أحدهم قال لي إنها قد أُغمي عليها.

هزّت مارغوت بينس رأسها ببطء.

- وقال شخص آخر إنها جفلت... وشخص آخر أشار إلى ظهور نظرة جامدة على وجهها.

قالت مارغوت متأملة: جامدة.

- هل توافقين على هذا الوصف الأخير؟

- لا أعرف، ربما.

- ولقد تم التعبير عن ذلك بطريقة أكثر خيالية، قيلت بكلمات الشاعر الراحل تينيسون: «المرآة مكسورة من طرف إلى طرف. وصاحت سيدة شالوت: لقد نزل بي القضاء المحتوم»!

قالت مارغوت بينس: لم تكن أية مرآة هناك، ولو كانت هناك واحدة فربما كانت ستتصدع.

نهضت فجأة وقالت: انتظر، سأفعل شيئاً أفضل من وصفها؛ سوف أريك إياها.

فتحت الستارة في الجانب الآخر من الغرفة واختفت بعض الوقت، وكان يسمع أصوات همهماتها وهي تبحث. ثم قالت وهي ترجع ثانية: لا يستطيع المرء العثور على الشيء عندما يريده... ومع ذلك فقد أحضرتها.

اقتربت منه وسلمته صورة لامعة فنظر إليها. كانت صورة رائعة جداً لمارينا غريغ، كانت يدها ممسكة بيد امرأة تقف أمامها ولذلك كان ظهر المرأة إلى آلة التصوير، لكن مارينا غريغ لم تكن تنظر إلى المرأة. لم تكن عيناها مركزتين على آلة التصوير مباشرة بل على جهة اليسار قليلاً. ولكن ما أثار المفتش كرادوك هو أن وجهها كان خالياً من أي تعبير؛ لا خوف، ولا ألم...

كانت المرأة الظاهرة في الصورة تحدق إلى شيء... شيء رأته، وكان الانفعال الذي نشأ فيها كبيراً جداً إلى حد لم تستطع معه تقاسيمُ الوجه أن تعبّر عنه بشكل محدد. كان ديرموت كرادوك قد رأى مثل هذه النظرة مرة على وجه رجل، رجل قُتل بعد ذلك بثانية!

سألته مارغوت بينس: هل أنت راض؟

تنهد كرادوك بعمق وقال: نعم، أشكرك. من الصعب على الإنسان أن يقرر شيئاً إذا كان الشهود يبالغون أو كانوا يتصورون أنهم قد رأوا أشياء. ولكن الأمر ليس كذلك في هذه الحالة؛ لا بدّ أن هناك شيئاً فوجئت لرؤيته.

ثم سألها: هل يمكنني الاحتفاظ بهذه الصورة؟

- آه، نعم؛ يمكنك أخذها فعندي أصل الفِلم.

- ألم ترسليها إلى الصحف؟

هزّت مارغوت بينس رأسها بالنفي.

- إنني أعجب قليلاً من ذلك؛ فهي صورة درامية وقد تحصلين على مبلغ مغرٍ من الصحف مقابلها.

- لم أكن لأهتم بذلك. إذا صَدَفَ واطّلعتَ على خبايا نفس إنسانٍ ما بشكل عرضي فستشعر بالحرج من استغلال ذلك للربح.

- هل كنت تعرفين مارينا غريغ؟

- لا.

- لقد جئتِ من الولايات المتحدة، أليس كذلك؟

- وُلدتُ في إنكلترا، لكني تدربتُ في أميركا وعدتُ إلى هنا قبل ثلاث سنوات تقريباً.

أومأ ديرموت كرادوك برأسه. كان يعرف الإجابة عن أسئلته، فقد كانت في انتظاره على طاولة مكتبه بين القوائم الأخرى التي تحتوي على المعلومات. كانت الفتاة تبدو صريحة مستقيمة. وسألها: أين تدربت؟

- في أستوديوهات رينغاردن حيث عملت مع أندرو غيلب بعض الوقت. لقد علّمني الكثير.

أثار ذكر أستوديوهات رينغاردن وأندرو غيلب يقظة فجائية لدى كرادوك، أوحت هذه الأسماء له بذكرى معينة.

- كنت تعيشين في مدينة سفن سبرينغز، أليس كذلك؟

بدت مسرورة وقالت: يبدو أنك تعرف الكثير، هل كنت تحقق عني؟

- أنت مصورة مشهورة يا آنسة بينس. لقد كُتِبَتْ عنكِ مقالات في الصحف، لماذا جئت إلى إنكلترا؟

رفعت كتفيها وقالت: آه، من باب التغيير. إلى جانب ما قلته لك: فقد وُلدتُ في إنكلترا رغم أنني ذهبت إلى الولايات المتحدة وأنا طفلة.

- أعتقد أنك كنت طفلة صغيرة جداً.

- إن كنت مهتماً بذلك فقد كان عمري خمس سنوات.

- أنا مهتم بذلك فعلاً. أعتقد أنك تستطيعين إخباري بأكثر مما سمعته منك يا آنسة بينس.

تصلب وجهها وحدقت إليه قائلة: ماذا تقصد بهذا؟

نظر ديرموت كرادوك إليها وقرر المجازفة. لم يكن لديه الكثير مما يمكن له أن يستند إليه، مجرد أستوديوهات رينغاردن وأندرو غيلب واسم مدينتها، لكنه أحس وكأن الآنسة ماربل العجوز تقف خلفه وتحثه على المضي. قال: أظن أنك تعرفين مارينا غريغ بأكثر مما تصرحين؟

ضحكت وقالت: أثبتْ ذلك... إنك تتوهم.

- صحيح؟ لا أظن أنني واهم، كما يمكن إثبات ذلك بقليل من الوقت والجهد. هيّا يا آنسة بينس، أليس من الأولى لك الاعتراف بالحقيقة؟ اعترفي بأن مارينا غريغ قد تبنتك عندما كنت طفلة وأنك عشت معها أربع سنوات.

سحبت أنفاسها بحدّة وهي تهسهس وقالت: أيها المتطفل الوغد!

أفزعه هذا التحول المفاجئ في سلوكها، ونهضت وهي تهزّ رأسها ذا الشعر الأسود: حسناً، حسناً، هذا صحيح. نعم، لقد أخذتني مارينا غريغ إلى أميركا معها. كان لأمي ثمانية أطفال وكانت

تعيش في حي فقير، كانت واحدة من بين مئات الناس الذين كانوا يكتبون لأي ممثلة سينما يرونها أو يسمعون بها ويخبرونها عن حياتهم الصعبة ويتوسلون إليها لتبني الطفل الذي لا تستطيع أمه إعالته... آه، إنه عمل مقزز!

- كان هناك ثلاثة منكم، ثلاثة أطفال تبنّتهم في أوقات مختلفة ومن أماكن مختلفة.

- هذا صحيح، أنا وورود وأنغوس. كان أنغوس أكبر مني وكان رود طفلاً رضيعاً. عشنا حياة رائعة، حياة رائعة حقاً، وكنا نتمتع بجميع المزايا.

ارتفع صوتها بسخرية: ملابس وسيارات وبيت رائع نعيش فيه وأناس يعتنون بنا، وتعليم جيد وطعام شهي... كل شيء كان بترف! وكانت هي نفسها، أمّنا... أمّنا، ضع خطاً تحت هذه الكلمة... كانت تؤدي دورها؛ تغني لنا وتتصور معنا... إنها صورة عاطفية جداً!

- لكنها كانت تريد أطفالاً بالفعل، ألم يكن ذلك حقيقياً بما فيه الكفاية؟ لم تكن مجرد نزوة لغرض الدعاية.

- آه، ربما. نعم، أظن ذلك صحيحاً. كانت تريد أطفالاً لكنها لم تردنا نحن! الحق أنها لم تكن تريدنا، كان مجرد مقطع تمثيلي رائع: "عائلتي، جميل جداً أن تكون لي عائلتي الخاصة بي"... وقد تركها إيزي تعمل ذلك. كان عليه أن يكون أكثر دراية بها!

- هل إيزي هو إيسدور رايت؟

- نعم، زوجها الثالث أو الرابع... نسيت رقمه. الحق أنه كان رجلاً رائعاً وكان يفهمها، وكان يقلق علينا أحياناً. كان لطيفاً معنا لكنه لم يتظاهر بأنه أبٌ لنا، لم يكن يشعر بالأبوّة تجاهنا، كان يهتم بكتاباته فقط. لقد قرأتُ بعضاً من كتاباته، إنها قاسية ولكنها قوية ومؤثرة. أظن أن الناس سيعتبرونه كاتباً كبيراً ذات يوم.

- وإلى متى استمر هذا الحال؟

انزوت فجأة ابتسامة مارغوت بينس وقالت: إلى أن سئمَتْ من تمثيل ذلك المقطع المسرحي. لا، هذا ليس صحيحاً، بل اكتشفت أنها ستضع مولوداً.

ضحكت فجأة بمرارة وقالت: ثم انتهى أمرنا! لم تعد تريدنا من بعد، لقد أدينا دورنا جيداً كبديل مؤقت لكنها لم تكن تهتم بنا ولو قليلاً... لقد طردتنا بطريقة جميلة؛ أعطتنا بيتاً ومربية وأموالاً لتعليمنا ومبلغاً مناسباً لنبدأ حياتنا العملية... لا أحد يمكن أن يتهمها بأنها لم تتصرف معنا بطريقة صحيحة ولطيفة. لكنها لم تكن تريدنا أبداً، كل ما كانت تريده هو طفل من لحمها ودمها.

قال ديرموت بلطف: لا يمكنك أن تلوميها على ذلك.

- أنا لا ألومها لأنها تريد طفلاً حقيقياً، ولكن ماذا عنّا؟ لقد أخذتنا من أحضان والدينا، من المكان الذي ننتمي إليه. لقد باعتني أمي في مقابل مقدار ضئيل من الطعام... قل هذا إن شئت، لكنها لم تبعني لتحقيق مصلحة خاصة بها. باعتني لأنها كانت امرأة غبية لعينة اعتقدت بأنني سأحصل على مزايا وعلى تعليم وعلى حياة رائعة...

اعتقدتْ أنها كانت تفعل الأفضل من أجلي. الأفضل من أجلي؟ ليتها كانت تعلم الحقيقة!

- أرى أنك ما زلت تشعرين بالمرارة؟

- لا، لا أشعر بالمرارة الآن؛ لقد تغلبت على تلك المشاعر. أنا أشعر بالمرارة لأنني أتذكر، لأنني عدتُ إلى تلك الأيام الخوالي بذاكرتي... كنّا جميعاً نشعر بالمرارة.

- جميعكم؟

- باستثناء رود. لم يكن رود يهتم بأي شيء أبداً، وإلى جانب ذلك كان صغيراً. لكن أنغوس شعر بما شعرت به، إلاّ أنني أعتقد أنه كان يحب الانتقام أكثر مني، قال إنه عندما يكبر سيذهب ويقتل ذلك الطفل الذي كانت ستلده.

- هل كنت تعرفين أمر الطفل الرضيع؟

- كنت أعرف بالطبع، والكل يعرف ماذا حدث. لقد طارت فرحاً لأنها ستضع مولوداً، ثم عندما ولدته جاء معتوهاً! إنه الجزاء الذي تستحقه، ولكن سواء أكان معتوهاً أم غير معتوه فإنها لم تعد تريد عودتنا ثانية.

- إنك تكرهينها كثيراً.

- ولماذا لا أكرهها؟ لقد عملت معي أسوأ ما يمكن لمرء أن يعمله مع الناس؛ أي أن يجعلهم يصدّقون أنهم محبوبون ومرغوبون ثم يريهم أن كل هذا زيف وخداع.

وماذا حدث لأخويك الاثنين؟ سوف أدعوهما «أخويك» على سبيل التبسيط فقط.

- آه، افترقنا جميعاً بعد ذلك. يقوم رود بالعمل في الزراعة في مكان ما من الغرب الأوسط، كان وما زال ذا طبيعة مرحة. أنغوس؟ لا أعرف؛ لم أعد أراه.

- هل استمر في شعوره بالأسى؟

- لا أعتقد ذلك؛ فهذا الشعور ليس من المشاعر التي تدوم لدى الإنسان. في آخر مرة رأيته فيها قال إنه سيذهب للتمثيل، ولا أعرف إن كان قد فعل ذلك أم لا.

- ومع ذلك فقد تذكرتِ.

- نعم، لقد تذكرت.

- هل فوجئت مارينا غريغ عندما رأتك في ذلك اليوم أم أنها هي التي قامت بترتيب أمر إحضارك للتصوير بغرض إرضائك؟

- هي؟!

ابتسمت الفتاة بازدراء: لم تكن تعرف شيئاً عن الترتيبات. شعرت أنا بالفضول لرؤيتها ولذلك استخدمت بعض النفوذ لأقوم بهذه المهمة. كان لي بعض التأثير على العاملين بالأستوديو كما قلت، وكنت أريد أن أعرف كيف تبدو اليوم.

ضربت على سطح الطاولة وقالت: حتى إنها لم تعرفني... ما رأيك بذلك؟ كنت معها لمدة أربع سنوات، منذ أن كان عمري

خمس سنوات وحتى بلغت التاسعة، ولم تعرفني.

- الأطفال يتغيرون؛ إنهم يتغيرون كثيراً بحيث لا يمكنك أن تميزيهم. لقد قابلت ابنة أخ لي قبل أيام، وأؤكد لك أنني مررت من جانبها في الشارع دون أن أعرفها.

- هل تقول هذا لتخفّف عني؟ إنني لا أهتم. آه، دعنا نكن صادقين. إنني أهتم فعلاً، كنت مهتمة فعلاً... كان لها سحرها، مارينا! ذات سحر رائع ومفجع يسيطر عليك، يمكنك أن تكره إنساناً ومع ذلك تهتم بأمره.

- ألم تخبريها من تكونين؟

هزت رأسها: نعم، لم أخبرها. كان ذلك آخر شيء يمكن أن أفعله.

- هل حاولت تسميمها آنسة بينس؟

تغير مزاجها فجأة. نهضت وضحكت: أي أسئلة سخيفة هذه التي تسألها! ولكن أظن أن عليك أن تفعل ذلك؛ فهو جزء من عملك. لا، أؤكد لك أنني لم أقتلها.

- ليس هذا ما سألتك عنه يا آنسة بينس.

نظرت إليه عابسة ومتحيرة فقال: إن مارينا غريغ ما زالت على قيد الحياة.

- إلى متى؟

- ماذا تقصدين بهذا؟

- ألا تظن -يا حضرة المفتش- أن من المحتمل أن يحاول شخص قتلها ثانية؟ وهذه المرة... ربما هذه المرة سينجح.

- سيتم اتخاذ الاحتياطات.

- آه، أنا متأكدة من ذلك. سيعتني زوجها المحب ويحميها من أي أذى يمكن أن يصيبها، أليس كذلك؟

كان يصغي باهتمام للاستهزاء الواضح في نبرة صوتها. وقالت وهي تتذكر فجأة: ماذا كنت تقصد عندما قلت لي إنك لم تسألني عن ذلك؟

- سألتك إن كنت قد حاولت تسميمها فأجبتني بأنك لم تقتليها، وهذا صحيح. ولكن هناك واحدة ماتت، واحدة قُتلت.

- أتقصد أنني حاولت قتل مارينا وبدلاً من ذلك قَتلتُ السيدة التي لا أعرف اسمها؟ إن كنت تريدني أن أجيبك حرفياً فأقول بأنني لم أحاول تسميم مارينا ولم أُسمم السيدة بادكوك.

- ولكن ربما تعرفين من الذي فعل ذلك؟

- لا أعرف أي شيء حضرة المفتش، أؤكد لك ذلك.

- ولكن ربما كانت لديك فكرةٌ ما؟

- آه، إن المرء تكون لديه أفكار دائماً.

ابتسمت ابتسامة ساخرة: من بين هذا العدد الكبير من الناس قد يكون الفاعل هو السكرتيرة ذات الشعر الأسود التي تشبه الرجل الآلي، أو الوسيم هيلي بريستون، أو الخدم أو المدلك أو المزين

أو شخصٌ يعمل في الأستوديوهات... أو أناس كثيرون جداً، وربما كان أحد هؤلاء متخفياً تحت اسم أو عمل مختلف.

ثم عندما خطا نحوها دون وعي هزّت رأسها بقوة وقالت: استرحْ يا حضرة المفتش، إنني أحاول إثارتك فقط. إن شخصاً ما قد خرج سعياً لقتل مارينا ولكني لا أعرف من هو، حقاً لا أعرف أبداً.

* * *

الفصل السادس عشر

في المنزل رقم ١٦ في أوبري كلوز كانت السيدة شيري بيكر الشابة تتحدث مع زوجها جيم بيكر، وهو رجل وسيم ضخم الجسم، وكان منكباً على تركيب نموذج لمجسَّم. قالت شيري: جيران!

رفعت رأسها ذا الشعر الأسود المتجعد وقالت بحقد: جيران!

رفعت المقلاة عن الطبّاخ بحذر، ثم أفرغت محتوياتها بمهارة في صحنين، وكان أحدهما مليئاً أكثر من الآخر. وضعت الطبق المليء أمام زوجها وقالت: لحم مشوي مُشكَّل.

رفع جيم بصره وشمّ بشهية. قال: ما أروع ذلك! ما هو اليوم؟ أهو عيد ميلادي؟

- يجب أن تتغذى جيداً.

كانت تبدو جميلة جداً بمريلتها الحمراء والبيضاء المقلمة ذات الزخارف. وأبعد جيم بيكر أجزاء نموذج سفينة الفضاء لكي يفسح مجالاً للطبق، وابتسم لزوجته وسألها: من قال هذا؟

قالت: "الآنسة ماربل"، ثم أضافت وهي تجلس مقابل جيم وتسحب طبقها: لو أنها تنفّذ نصيحتها هي الأخرى! أعتقد أنها ستكون أفضل مما هي عليه لو أنها أخذت غذاء أفضل مما تأخذه الآن. إن تلك القطة العجوز نايت التي تخدمها لا تقدم لها إلاّ النشويات، وأقصى ما تفكر فيه هو خبز لذيذ وكعكة لذيذة بالزبدة ومعكرونة بالجبن لذيذة وكعكة طرية لذيذة بالصلصة... وطبّاخ الغاز يعمل ويعمل طول اليوم. إنها تبرمها بحديثها.

قال جيم بغموض: أظن أنها حمية العَجَزة.

- حمية العَجَزة! الآنسة ماربل ليس عاجزة، إنها كبيرة في السن فقط، وتلك المرأة تحشر أنفها في كل شيء.

- من؟ الآنسة ماربل؟

- لا. كنت أعني الآنسة نايت؛ إنها تخبرني كيف أفعل الأشياء. تصوَّر أنها تريد أن تدُلّني كيف أطبخ! أنا أستطيع أن أعلمها الطهي.

قال جيم بإعجاب: أنت أفضل من يطبخ يا شيري.

- في الطبخ شيء ما يجعلك تكرس نفسك له.

ضحك جيم: إنني أكرس نفسي لهذا تماماً. لكن لماذا قالت الآنسة ماربل إنني بحاجة إلى تغذية؟ هل رأت أن صحّتي سيئة عندما ذهبتُ لتركيب رف في حمّام بيتها قبل أيام؟

ضحكت شيري: سأقول لك ما قالته بالحرف. قالت: "إن لديك

زوجاً وسيماً يا عزيزتي، زوجاً وسيماً جداً". بدت مثل تلك الكتب القديمة التي يقرؤونها بصوت عالٍ في التلفزيون.

قال جيم مبتسماً: أرجو أن تكوني قد وافقتِها في الرأي؟

- قلت لها: "لا بأس به".

- "لا بأس"! هذا أسلوب فاتر في الحديث.

- ثم قالت: "يجب أن تهتمي بزوجك يا عزيزتي، احرصي على أن تطعميه طعاماً مناسباً، فالرجال يحتاجون للكثير من اللحم المطبوخ جيداً".

- اسمعي، اسمعي!

- وطلبت مني أن أعدّ لك سمكاً ولا أشتري لك الفطائر الجاهزة ثم أضعها في الفرن لتسخن. ثم أضافت شيري بقوة: مع أني لا أفعل هذا في الغالب.

- لا يمكنك أن تفعلي لي ذلك حتى في حالات نادرة. إن طعمها يتغير كثيراً.

- ليتك تلاحظ ما تأكله ولا تنشغل بهذه السفن الطائرة والأشياء التي تعملها دائماً. لا تخبرني أنك أحضرت ذلك الجهاز هدية عيد ميلاد لابن أخيك ميشيل... لقد اشتريتَه لكي تلعب به.

- إنه ليس كبيراً بما يكفي ليلعب به.

- وأعتقد أنك ستمضي وقتك منشغلاً به طوال المساء. ماذا لو

سمعنا بعض الموسيقى؟ هل أحضرت تلك الأسطوانة الجديدة التي كنت تتحدث عنها؟

- نعم، أحضرتها. إنها لتشيكوفسكي.

- هل هي تلك الموسيقى الصاخبة التي تتحدث عن معركة؟ قطبت جبينها وقالت: السيدة هارتوبل لن يعجبها ذلك... جيران! لقد سئمت الجيران، دائماً يشكون ويتذمرون، لا أعلم من هو الأسوأ من الآخر: أهي عائلة هارتوبل أم عائلة برنابي؟ أحياناً تبدأ عائلة هارتوبل في الضرب على الحائط حتى قبل أن تبلغ الساعة الحادية عشرة إلاّ ثلثاً... حتى التلفزيون والإذاعة يستمران في البث إلى أبعد من هذا الوقت. لماذا لا نسمع نحن شيئاً من الموسيقى إذا ما شئنا؟ دائماً يطلبون منّا أن نخفض الصوت.

قال جيم بثقة: لا يمكن للمرء أن يخفض صوت مثل هذه الأشياء، لا يمكنكِ أن تستمتعي بالموسيقى إلاّ إذا كان الصوت مرتفعاً قليلاً... الكل يعرف هذا، هذا معروف تماماً في الدوائر الموسيقية. وماذا عن قطتهم التي تأتي إلى حديقتنا دائماً وتنبش أحواض الزرع التي تعبت حتى جعلتها تبدو جميلة.

- لقد سئمت هذا المكان يا جيم.

- أنت لم تشتكي من جيرانك في هادرسفيلد.

- لم يكن الوضع مشابهاً هناك؛ كنّا ننعم هناك بالاستقلالية تماماً، إذا وقعت في مشكلة تجد شخصاً يمد لك يد العون وأنت تمد لهم يد العون، لكنك لا تتدخل في شؤونهم. إن في هذه المباني

الجديدة شيئاً يجعل الناس يتطفلون على جيرانهم. ربما كان السبب أن الجميع جدد على المكان... إن كثرة الغيبة والإشاعات والشكاوى إلى المجلس البلدي هنا تزعجني! الناس في المدن الحقيقية مشغولون عن مثل هذه الأمور.

- قد تكونين على حق في هذا.

- هل تحب هذا المكان يا جيم؟

- عملي هنا جيد، وفوق ذلك فإن هذا بيت جديد. ليت في البيت مساحة أكبر حتى أتوسع في البناء قليلاً، سيكون جميلاً لو عملت ورشة هنا.

- في البداية ظننتُ أن المكان رائع، لكني لست واثقة من ذلك الآن. البيت لا بأس به على العموم وأحب الدهان الأزرق، كما أن الحمّام جميل، لكني لا أحب الناس والجو المحيط بنا هنا. هل أخبرتك بأن ليلي برايس وخطيبها هاري قد انفصلا؟ غريب هذا الذي حصل عندما ذهبا لمعاينة البيت، قالت إن هاري وقف جامداً كالأبله ولم يحرك ساكناً لإنقاذها عندما أوشكت على السقوط من النافذة.

- أنا مسرور لأنها انفصلت عنه؛ فهو لا ينفع أبداً.

- من الخطأ أن تتزوج المرأة لمجرد أنها تريد طفلاً! لم يكن يريد الزواج بها، إنه ليس بالشاب اللطيف. الآنسة ماربل قالت إنه لم يكن لطيفاً، وقد تحدثت مع ليلي عنه... لقد ظنت ليلي أنها معتوهة!

- الآنسة ماربل؟ لم أكن أعرف أنها رأته من قبل؟

- بلى، كانت تتمشى هنا يوم سقطت وأخذتها السيدة بادكوك إلى بيتها. هل تظن أن آرثر والسيدة بين سينسجمان معاً؟

قطب جيم جبينه وهو يرفع قطعة من مجسم السفينة وينظر إلى خريطة التعليمات. قالت شيري: أرجو أن تصغي إليّ عندما أتكلم.

- ماذا كنت تقولين؟

- آرثر بادكوك وماري بين.

- أرجوك يا شيري... إن زوجته لم تجفّ تربتها بعد! عجيب أمر النساء! سمعت أنه ما زال في حالة عصبية سيئة ويجفل إذا تكلم معه أحد.

- تُرى ما السبب؟ ما كنت أظن أنه سيتأثر هكذا؟

قال جيم في محاولة للتخلي عن أي اهتمام بأمور جيرانه: هلاّ نظفتِ طرف هذه الطاولة قليلاً حتى أستطيع وضع هذه القطع عليها؟

تنهدت شيري ثم قالت بمرارة: إذا أردتُ أن أستحوذ على شيء من اهتمامك فلا بدّ لي من أن أصبح طائرة نفاثة أو شيئاً بمحرك نفاث... اذهبْ أنت وهذه النماذج التي تركّبها!

جمعت بقايا الطعام على الصينية وحملتها إلى الحوض. لم تكن تودّ أن تغسل الأطباق وكانت تحاول تأجيل هذه المهمة الثقيلة

قدر الإمكان، ولذلك فقد كوّمت كل شيء في حوض المغسلة كيفما اتفق ولبست سترة مخملية واتجهت إلى الباب، حيث التفتت إلى الخلف قائلة: سأذهب لرؤية غلاديس ديكسون، أريد استعارة مجلة من مجلات الأزياء التي تحتفظ بها.

انكبّ جيم على مجسّم الطائرة وهو يقول: حسناً يا عزيزتي.

ألقت شيري نظرة حقد على الباب الأمامي لجارتها وهي تعبر من جانبه، ثم انعطفت عند الزاوية ودخلت في شارع بلينهيم كلوز وتوقفت عند البيت رقم ١٦ فيه. كان الباب مفتوحاً فعبرته شيري ودخلت الصالة وهي تنادي: هل غلاديس هنا؟

أطلت السيدة ديكسون من المطبخ وهي تقول: أهذه أنت يا شيري؟ إنها في غرفتها في الطابق العلوي تخيط.

- حسناً، سأصعد إليها.

صعدت شيري إلى غرفة نوم صغيرة. كانت غلاديس الفتاة المليئة ذات الوجه الدميم جاثية بركبتيها على الأرض وقد احمرّ خدّاها وفي فمها عدة دبابيس تصنع نموذجاً على الورق. قالت: مرحباً يا شيري. انظري، لقد اشتريت هذا القماش الجميل من مزاد هاربر في ماش بنهام. سأعمل نموذجاً بالكشكش كالذي عملته من قبل بقماش التريلين.

- ممتاز.

نهضت غلاديس وهي تلهث قليلاً وقالت: أحس بعسر في الهضم الآن.

- عليك أن لا تشتغلي بالخياطة بعد العشاء مباشرة، إن الانحناء بهذه الطريقة يضر.

قالت غلاديس: عليّ أن أخفف من وزني قليلاً.

ثم جلست على السرير، فقالت شيري المتحمسة دائماً لسماع أخبار أهل الفن: هل سمعت أي أخبار من الأستوديوهات؟

- لا شيء يهم، ولكن تدور هناك الكثير من الأحاديث التي يتناقلها الناس. لقد عادت مارينا غريغ إلى العمل بالأمس وأثارت عاصفة هوجاء.

- بشأن ماذا؟

- لم يعجبها طعم قهوتها. إنهم يتناولون القهوة في الضحى هناك، وقد أخذت رشفة واحدة وقالت إن فيها شيئاً غير طبيعي. هراء، لا يمكن وجود مثل هذا الشيء؛ فقد جاءت في إبريق من المطعم مباشرة. إنني أضع قهوتها دائماً في فنجان خاص من الخزف الصيني، فنجان أنيق يختلف عن الفناجين الأخرى، لكنها نفس القهوة. لا يمكن أن يكون فيها أي شيء غير طبيعي، أليس كذلك؟

- ربما كان ذلك بسبب حالتها العصبية، ثم ماذا جرى بعد ذلك؟

- آه، لا شيء. هَدّأَ السيد رَدْ الجميع. إنه رائع في هذا، وأخذ القهوة منها فسكبها في الحوض.

- إنه عمل أحمق.

- لماذا، ماذا تقصدين؟

- الآن لن يعرف أحدٌ إن كان في القهوة شيء ما.

سألتها غلاديس وهي تبدو مذعورة: هل تعتقدين أنه ربما كان فيها شيء حقيقة؟

هزت شيري كتفيها وقالت: لقد كان في شرابها شيء غير طبيعي يوم المهرجان، أليس كذلك؟ ما الذي يمنع وجوده في القهوة؟ إذا لم ينجح الفاعل أول مرة فإنه سيحاول ويحاول مرة تلو الأخرى.

ارتجفت غلاديس: لا أحب ذلك يا شيري. لا شك أن شخصاً يستهدفها بالتأكيد، وقد تلقت مزيداً من الرسائل التي تهددها، وهناك أيضاً حادث التمثال.

- وما هو حادث التمثال هذا؟

- تمثال نصفي من الرخام يفترض أن يكون في المشهد الذي تمثله، والذي يجري في زاوية في غرفة أحد القصور النمساوية، وفي المشهد لوحات فنية وفخار وتماثيل نصفية من الرخام. كان هذا التمثال موضوعاً على رف ويبدو أنه لم يكن مدفوعاً إلى الوراء بما فيه الكفاية، على أية حال مرت خارج الأستوديو إحدى الشاحنات الكبيرة على الطريق وأحدثت اهتزازاً في الرف فسقط التمثال ليقع تماماً على الكرسي الذي كانت تجلس عليه مارينا لتقوم بتمثيل مشهدها الكبير مع الكونت فلان أو غيره... وقد تحطم التمثال تماماً! لحسن الحظ لم يكونوا يصوّرون المشهد في ذلك الوقت. لقد طلب السيد رد أن لا يقول لها أحد شيئاً عن الحادث ووضع كرسياً آخر مكانه، وعندما جاءت بالأمس وسألت عن سبب تبديل الكرسي

قال إن الكرسي الآخر لم يكن من كراسي العصر الذي كانوا يقومون بتمثيله وإن ذلك الكرسي الآخر يعطي للكاميرا زاوية أفضل... لكن الأمر كله لم يعجبها أبداً.

تبادلت المرأتان النظرات وقالت شيري ببطء: هذا مثير إلى حد ما، ولكن ليس...

- أظن أنني سأترك العمل في مطعم الأستوديوهات.

- لماذا؟ لا أظن أن أحداً يريد أن يسمّمك أو يُسقِط تمثالاً من المرمر على رأسك!

- صحيح، ولكن قد يتكرر ما حصل لهيذر بادكوك، ليس الشخص المقصود بالقتل هو الذي يُقتل دائماً.

- فعلاً.

- أتعرفين؟ لقد كنت أُقدّم لهم الشراب في ذلك اليوم... كنت قريبة منهم في ذلك الوقت.

- عندما ماتت هيذر؟

- لا، بل عندما اندلق العصير كله على ثوبها. كان ثوباً رائعاً أزرق من التفتة اشترته خصوصاً لتلك المناسبة... غريب!

- ما الغريب؟

- لم أفكّر في الأمر في ذلك الوقت، ولكن عندما أُفكّر فيه مرة أخرى أجده غريباً.

نظرت شيري إليها وهي تتوقع منها أن توضح أكثر. قبلت كلمة

«غريب» بما تحمله من معنى ظاهر، لم تكن الكلمة بقصد السخرية. سألتها: قولي بالله عليك، ما هو الذي كان غريباً؟

- أكاد أكون واثقة من أنها فعلت ذلك عامدة.

- سكبت العصير على ثوبها عامدة؟

- نعم، وأعتقد أنه أمر غريب حقاً، ألا ترين ذلك؟

- على ثوب جديد؟ لا أصدق ذلك.

- ترى ماذا سيفعل آرثر بادكوك بملابس هيذر كلها؟ ذلك الثوب يمكن تنظيفه تماماً، أو أستطيع أخذ قطعة منه... ستكون تنورة رائعة. هل تعتقدين أن آرثر بادكوك سيظن الأمر مريعاً لو طلبت شراءها منه؟ لا حاجة لتغيير شيء فيه... إنه من قماش رائع.

ترددت شيري: هل أنت... هل أنت مهتمة بهذا؟

- مهتمة بماذا؟

- بالحصول على ثوب امرأة ماتت فيه، أقصد ماتت بتلك الطريقة.

حدقت غلاديس إليها وقالت: لم أفكر بذلك.

فكرت لبعض الوقت، ثم انفرجت أساريرها وقالت: لا أظن أن هذا يهم، كما أن الواحدة تشتري ملابس مستعملة عادة، وقد تكون واحدة لبستها قبل أن تموت، أليس كذلك؟

- بلى، لكن هذه ليست الحالة نفسها تماماً.

- لَشدّ ما أنت خيالية! إنه ثوب أزرق فاتح وجميل، إنه ثوب غال. ثم أكملت متأملة: بخصوص ذلك الأمر الغريب... أظن أنني سأذهب إلى غوسينغتن هول صباح الغد وأنا في طريقي إلى العمل وأتكلم مع السيد غوسيب عن هذا الأمر.

- هل تعنين الخادم الإيطالي؟

- نعم، إنه شاب وسيم جداً وذو عينين براقتين. لقد كان له مزاج مخيف عندما ذهبنا لنساعدهم في تقديم الشراب هناك وكان يزعجنا نحن الفتيات، ولكننا لم نهتم. أحياناً يكون لطيفاً جداً. على أية حال... سأخبره بهذا وأسأله عمّا يتوجب عليّ عمله.

- لا أظن أن لديك شيئاً تخبرينه به.

قالت غلاديس وهي تُصرّ على كلمتها المفضلة: لقد كان أمراً غريباً.

- أعتقد أنك تريدين فقط إيجاد ذريعة لتذهبي وتتحدثي إلى السيد غوسيب. من الأفضل أن تحذري يا فتاتي، أنت تعرفين كيف يكون هؤلاء الطليان!

تنهدت غلاديس، ونظرت شيري إلى وجه صديقتها البدين المليء بالبقع وتأكدت أن تحذيراتها تلك لم تكن ضرورية. قالت لنفسها إن السيد غوسيب سيجد لنفسه صيداً أفضل من هذا!

* * *

قال الدكتور هيدوك: آها... أرى أنك تنقضين غزلك؟

قلّب بصره بين الآنسة ماربل وكومة الصوف الأبيض أمامها. قالت الآنسة ماربل: لقد نصحتني بتجريب نقض الغزل إذا لم أستطع نسجه.

- ويبدو أنك كنت جادة تماماً في هذه العملية.

- لقد أخطأتُ في تنفيذ التصميم من البداية مما جعل عملي كله غير صحيح، ولذلك توجب عليّ نقض النسيج بأكمله. إنه تصميم معقد جداً.

- وماذا تعني لك التصاميم المعقدة؟ لا شيء على الإطلاق.

- ربما كان عليّ أن ألزم عمل النماذج البسيطة بسبب ضعف بصري.

- ستجدين ذلك مملاً، أنا مسرور لأنك التزمت بنصيحتي.

- ألا ألتزم بنصائحك دوماً يا دكتور هيدوك؟

- فقط عندما تناسب مزاجك.

- أخبرني يا دكتور، هل كنت تقصد نسج الصوف فعلاً عندما قدمت لي تلك النصيحة؟

طرفت عيناه عندما رآها هي الأخرى تطرف عيناها وسألها: دعينا من حلّ النسيج وأخبريني: كيف تتقدمين في حلّ خيوط جريمة القتل؟

قالت الآنسة ماربل وهي تهز رأسها وتتنهد: أخشى أنني لم أعد كما كنت في السابق.

- هراء، لا بدّ أنك قد وصلت إلى بعض الاستنتاجات.

- لقد وصلت إلى بعض الاستنتاجات بالطبع، وهي استنتاجات محددة تماماً.

قال هيدوك متسائلاً: مثل ماذا؟

- إذا تم العبث بكأس العصير ذلك اليوم، ولا أفهم كيف تم عمل ذلك تماماً...

قال هيدوك: ربما وُضعت تلك المادة جاهزة في قطّارة عيون؟

قالت الآنسة ماربل بإعجاب: إن مهنتك تؤثر كثيراً في تفكيرك. ولكن حتى لو حدث ذلك، فإنه يبدو لي من الغريب جداً أن لا يرى أي أحد ذلك وهو يحدث.

- يجب أن لا يتم عمل الجريمة فقط، ولكن يجب رؤية الجريمة وهي تتم! أليس كذلك؟

- أنت تعرف ما أعنيه بالضبط.

- كانت تلك مجازفة توجّب على القاتل القيام بها.

- آه، هذا صحيح تماماً. لا أشك في ذلك ولو لحظة، ولكني عرفت -من خلال تحقيقاتي- أنه كان هناك ما لا يقل عن ثمانية عشر شخصاً إلى عشرين شخصاً في المكان، ويبدو لي أنه لا بد من وجود واحد بين هؤلاء العشرين قد رأى وقع ذلك العمل.

أومأ هيدوك: هذا أمر طبيعي بالتأكيد، ولكن من الواضح عدم وجود أحد رأى ما حدث.

- هذا ما تعجبت منه.

- ما الذي تفكرين فيه بالضبط؟

- حسناً، لدينا ثلاثة احتمالات: إنني أفترض وجود شخص واحد على الأقل قد رأى شيئاً، واحد من عشرين. أليس افتراضٌ كهذا معقولاً؟

- أعتقد أنك تسلّمين بهذه المسألة، وأستطيع أن أخمن أنك ستبدئين في ممارسة أحد هذه التمارين المتعلقة بالاحتمال حيث ستة رجال لهم قبعات بيض وستة رجال لهم قبعات سود وكيف نعرف حسابياً مدى اختلاط القبعات بعضها ببعض وما هي الاحتمالات! إذا بدأت تفكرين بالأمور بهذه الطريقة فسوف يصيبك الجنون.

- لم أفكر بشيء من هذا، كنت أفكر بما هو محتمل فقط.

- أنت بارعة في هذا، كنتِ دائماً بارعة.

- من المحتمل أن يكون واحد من هؤلاء العشرين على الأقل قد لاحظ ما حدث.

- إنني أستسلم. لِنَرَ ما هي الاحتمالات الثلاثة.

- أخشى أنني سأضطر لشرحها لك بطريقة عامة؛ فهي لم تتبلور لديّ بعد. لا بُدّ أن المفتش كرادوك وربما فرانك كورنيش من قبله

قد استجوبا كل واحد كان موجوداً هناك، وكان من الطبيعي أن يقوم الشخص الذي رأى أي شيء بالاعتراف بما رآه على الفور.

- أهذا أحد الاحتمالات؟

- لا، بالطبع لا، لأن هذا لم يحدث. إن ما ينبغي أن يُؤخذ بالحسبان هو: إن كان شخص قد رأى شيئاً فلماذا لا يقوله؟

- كلي آذانٌ صاغية.

قالت الآنسة ماربل وقد احمرّت وجنتاها من الانفعال: الاحتمال الأول هو أن الشخص الذي رأى الحدث لم يدرك ما رآه، وهذا سيعني أنه لا بد أن يكون شخصاً غبياً بالطبع. دعنا نَقُلْ إنه شخص يستخدم عينيه ولا يستخدم عقله. إنه من الناس الذين إذا سألتهم: هل رأيت أي شخص يضع أي شيء في كأس مارينا غريغ؟ سيجيبك قائلاً: آه، لا. ولكن إن قلت: هل رأيت أحداً يمد يده فوق كأس مارينا غريغ؟ سيقول: آه، نعم، لقد رأيت بالطبع.

ضحك هيدوك وقال: أعترف بأن أحداً لا يحسب حساباً لوجود معتوه بيننا. حسناً، إنني أُسلّم لك بالاحتمال الأول: رأى ذلك الأبله ما حدث لكنه لم يفهم معنى ما رآه. فما هو الاحتمال الثاني؟

- الاحتمال الثاني غريب بعض الشيء، ولكني أظن أنه ممكن. ربما كان ثمة شخص يُعتَبر وضعه لشيء في الكأس أمراً طبيعياً.

- انتظري، انتظري، أوضحي لي هذا قليلاً.

- يبدو لي أن الناس يضيفون هذه الأيام أشياء إلى طعامهم

وشرابهم. في أيام شبابي كان تناول الأدوية مع الطعام يُعَدُّ سلوكاً مشيناً، كان ذلك يعتبر مساوياً للتمخط أثناء تناول الطعام ولم يكن ذلك يحدث. إذا كان عليك تناول أقراص أو حبوب أو ملعقة دواء فإنك كنت تخرج من الغرفة لتفعل ذلك، ولكن الحال اختلف الآن. عندما كنت أقيم مع ابن أخي ريموند لاحظت أن بعض ضيوفه يأتون ومعهم كمية كبيرة من الزجاجات الصغيرة المليئة بالحبوب والأقراص، وهم يتناولونها مع الطعام أو قبله أو بعده. إنهم يحتفظون بالأسبرين وبعض الأدوية الأخرى في حقائبهم ويأخذونها دائماً، مع الشاي أو مع القهوة بعد العشاء. هل تفهم ما أعنيه؟

- آه، نعم. فهمت ما تقصدينه الآن، وهو أمر مثير للاهتمام. أنت تقصدين أن شخصاً... سكت قليلاً ثم قال: دعينا نعبّر عمّا تريدينه بمفرداتك أنتِ.

- كنت أقصد أنه من الممكن، وهو أمر فيه تهور لكنه محتمل، من الممكن أن يرفع أحدهم الكأس وعند ذلك سيفترض الآخرون أنه كأسه، وبذلك يضع فيها ما يشاء علناً، وفي تلك الحالة لن يفكر الناس في هذا الأمر أو يتذكروه.

- ومع ذلك فإنه (أو إنها) لن يكون واثقاً من عدم التفات الناس لذلك.

- بالطبع، ستكون مقامرة ومغامرة، لكنه يمكن أن يحدث. وبعد ذلك يأتي الاحتمال الثالث.

قال الطبيب: الاحتمال الأول: وجود شخص أبله، الاحتمال الثاني: مغامر، وما هو الاحتمال الثالث؟

- شخص رأى ما حدث وأمسك لسانه متعمداً.

قطب هيدوك جبينه: وما هو السبب؟ هل تريدين أن تقولي بوجود ابتزاز؟ إن كان كذلك...

- إن كان كذلك فهو عمل خطير جداً.

- نعم.

نظر بحدة إلى السيدة العجوز الهادئة وهي تضع في حجرها كنزة من الصوف الأبيض: هل هذا الاحتمال الثالث هو الاحتمال الراجح في نظرك؟

- لا، لن أذهب إلى هذا المدى في الاعتقاد، إذ ليست لديّ أسباب كافية لذلك، إلاّ إذا قُتِلَ شخص آخر!

- وهل تعتقدين أن شخصاً آخر قد يُقتل؟

- أرجو أن لا يحدث هذا؛ أدعو الله أن لا يحدث، لكنه يحدث كثيراً يا دكتور هيدوك. هذا هو المحزن والمخيف، إنه أمر غالباً ما يحدث!

* * *

الفصل السابع عشر

وضعت إيلا سماعة الهاتف وابتسمت، ثم خرجت من غرفة الهاتف العمومي وقد بدت عليها علامات الرضا. قالت في نفسها: كبير المفتشين الذي لا يُخطئ، كرادوك! إنني أكثر براعة منه في هذا العمل، تنويعات على موضوع: اهربْ؛ فقد انكشف كل شيء.

تخيلت بكثير من المتعة ردود الفعل التي يُعاني منها الآن الشخص الذي كان على الطرف الآخر من الهاتف وقد سمع ذلك الهمس الضعيف المتوعّد من سماعة الهاتف: لقد رأيتك.

ضحكت بصمت وارتفعت بالتواءٍ زاويتا فمها لتشكّلا خطاً يوحي بالقسوة. ربما كان من شأن طالب علم النفس أن يراقبها ببعض الاهتمام إن رآها على هذه الحال؛ لم تكن تشعر بهذه القوة إلاّ في الأيام القليلة الماضية، وحتى هي نفسها لم تكد تدرك مدى تأثير نشوة هذا الأمر عليها.

فكرت إيلا: تباً لتلك المرأة العجوز!

كان بوسعها الإحساس بعينَي السيدة بانتري ترقبانها وهي تسير على الممر المؤدي إلى البيت، وتذكرت عبارة وردت على ذهنها

دون سبب معين: قد تتعمد الشاة الذهاب إلى مسلخها برجليها.

هراء، لا أحد يمكن أن يشك أنها هي التي همست بكلمات التهديد تلك. عطست ثم رددت: تباً لحمّى القش هذه!

عندما دخلت مكتبها كان جيسن رد يقف قرب النافذة، استدار حوله وقال: لا أعرف أين كنت.

- كان عليّ أن أذهب لأتحدث مع البستاني، فقد كان...

سكتت عندما رأت وجهه، وسألته بحدة: ما الأمر؟

كانت عيناه غائرتين أكثر من أي وقت مضى، وقد زال عن وجهه كل مرح المهرج. كان الذي أمامها رجلاً متوتر الأعصاب. لقد رأته متوتر الأعصاب من قبل لكنه لم يكن يبدو كهذه المرة أبداً. قالت ثانية: ما الأمر؟

مدّ لها ورقة وقال: إنه تحليل لتلك القهوة، القهوة التي اشتكت مارينا بخصوصها ولم تشربها.

جفلت إيلا وقالت: هل أرسلتَها إلى المختبر لتحليلها؟ لكنك سكبتها في المغسلة، لقد رأيتك تفعل ذلك.

ارتسمت الابتسامة على فمه الواسع وقال: إنني ماهر جداً في خفة اليد يا إيلا، لم تكوني تعرفين هذا، أليس كذلك؟ نعم، لقد سكبت معظم المحتويات لكني أبقيت قليلاً منها وأخذته مباشرة للتحليل.

نظرت إلى الورقة التي كانت بيدها وقالت غير مصدقة: زرنيخ؟

- نعم، زرنيخ.

- إذن كانت مارينا على حق عندما قالت إن في طعم القهوة مرارة.

- أبداً؛ فالزرنيخ لا طعم له، لكن غريزتها كانت مصيبة تماماً.

- كنا نظن أنها مجرد هستيرية منها!

- إنها مصابة بالهستيريا، نعم. ومن منّا لن يصاب بالجنون في حالة كهذه؟ لقد سقطت امرأة عند قدميها ميتة، وهي تتلقى رسائل تهديد واحدة بعد الأخرى. لم تصل أي رسالة هذا اليوم، أليس كذلك؟

هزت إيلا رأسها بالنفي.

- من يفعل هذه الأشياء اللعينة؟ حسناً، أظن أن الأمر سهل للغاية؛ فبوجود كل هذه النوافذ المفتوحة يستطيع أي شخص أن ينسلّ إلى داخل البيت.

- هل تعني أنه يتوجب علينا أن نُبقي جميع الأبواب والنوافذ مغلقة؟ الجو حار جداً وهناك رجل موجود خارج البيت باستمرار رغم كل هذا.

- نعم، كما أنني لا أريد أن أخيفها أكثر ممّا هي خائفة.

إن رسائل التهديد لا تهم كثيراً، ولكن الزرنيخ يا إيلا... الزرنيخ مختلف.

- لا أحد يمكن أن يعبث بالطعام هنا في البيت.

- ألا يستطيعون ذلك يا إيلا؟ ألا يستطيعون؟

- لا يمكنهم فعل ذلك دون أن يراهم أحد، لا يمكن لشخص غير مصرح له أنه...

قاطعها: الناس يفعلون أموراً مقابل المال يا إيلا.

- ولكن ذلك لا يبلغ درجة القتل.

- بل يبلغ، وربما لا يدركون أنها جريمة قتل. الخدم...

- أنا واثقة أن الخدم لا غبار عليهم.

وماذا عن غوسيب؟ أشك إن كان بوسعي أن أثق بغوسيب كثيراً إذا كان الأمر يتعلق بالمال، إنه يعمل عندنا منذ وقت طويل بالطبع ولكن...

- هل يجب أن تعذب نفسك هكذا يا جيسن؟

ألقى بنفسه على الكرسي ومال إلى الأمام وذراعاه الطويلتان تتدليان بين ركبتيه، ثم قال ببطء وهدوء: ما العمل؟ يا إلهي، ما العمل؟

لم تتكلم إيلا بشيء، بل جلست هناك ترقبه. قال: كانت سعيدة هنا.

كان يخاطب نفسه أكثر ممّا يخاطب إيلا، وكان يحدق إلى السجادة تحته. ولو أنه رفع بصره فإن ملامح وجهها ربما كانت ستدهشه.

قال ثانية: كانت سعيدة. كانت ترجو أن تكون سعيدة، وكانت سعيدة بالفعل. هذا ما كانت تقوله في ذلك اليوم، اليوم الذي جاءت فيه تلك السيدة التي لا أعرف اسمها.

- السيدة بانتري؟

- نعم، اليوم الذي جاءت فيه السيدة بانتري لشرب الشاي عندنا. قالت إن البيت هادئ جداً، قالت إنها وجدت أخيراً بيتاً يمكنها أن تستقرّ فيه وتشعر فيه بالسعادة والأمن، يا إلهي، الأمن!

- تعيش سعادة دائمة؟

كانت نبرة إيلا محملة بالسخرية، وأضافت: إن تعبيراً كهذا -في حالة مارينا- يبدو كقصة خرافية.

- كانت تعتقد هذا على أية حال.

- لكنك لم تأخذ ذلك على محمل الجد، لم تعتقد أبداً أن ما تقوله سيكون صحيحاً؟

ابتسم جيسن وقال: نعم؛ لم أذهب إلى حد تصديقها كليّاً، لكني فكرت أنها ستشعر بالهدوء والرضا مدة سنة أو سنتين. ربما كان ذلك سيجعل منها امرأة جديدة، وربما كان سيشعرها بالثقة في نفسها. يمكنها أن تكون سعيدة، وعندما تكون سعيدة تكون كالطفل،

تماماً مثل الطفل... والآن يحدث لها هذا الشيء.

تململت إيلا في جلستها وقالت بجفاء: كلنا تحت رحمة الأقدار. هكذا هي الحياة، وعلينا أن نتقبّلها هكذا. بعضنا يستطيع وبعضنا لا يستطيع، وهي من النوع الذي لا يستطيع.

عطست فسألها: حمى القش مرة أخرى؟

- نعم. على فكرة، لقد ذهب غوسيب إلى لندن.

بدا جيسن دَهِشاً قليلاً وقال: إلى لندن؟ لماذا؟

- بعض المشكلات العائلية؛ لديه في سوهو قريب مريض في حالة ميؤوس منها، وقد أخبر مارينا بالأمر فلم تُمانع، ولذلك أعطيته يوم إجازة. سيعود هذه الليلة. أنت لا تُمانع، أليس كذلك؟

- نعم، لا أمانع.

نهض وصار يمشي في الغرفة ذهاباً وإياباً، ثم قال: ليتني أستطيع أن آخذها بعيداً الآن، فوراً.

- وتُفسد الفِلم؟ فكر في الأمر.

ارتفع صوته: لا يمكنني أن أفكر بشيء سوى مارينا، ألا تفهمين؟ إنها في خطر، هذا كل ما أفكر فيه.

فتحت فمها لتتكلم ثم أغلقته، وعطست مرة أخرى ثم نهضت قائلة: من الأفضل أن أُحضر البخّاخ.

ذهبت إلى غرفة نومها وكانت كلمة واحدة تتردد في ذهنها: مارينا، مارينا، مارينا... دائماً مارينا.

ثار الغضب في نفسها، هدأته، ذهبت إلى الحمام وأخذت البخاخ الذي كانت تستعمله.

أدخلت الأنبوب في إحدى فتحتَي أنفها وضغطت على قارورة البخاخ. جاءها التحذير متأخراً ثانية واحدة؛ فقد أدرك عقلُها الرائحةَ غيرَ المألوفة... رائحة اللوز المر. ولكن ردّ فعلها لم يكن سريعاً بما يكفي لوقف ضغط الأصابع على قارورة البخاخ.

* * *

الفصل الثامن عشر

وضع فرانك كورنيش سمّاعة الهاتف وقال: الآنسة بروستر خارج لندن هذا اليوم.

قال كرادوك: هل هذا صحيح؟

- هل تعتقد أنها...

- لا أعرف. لا أظن ذلك، ولكني لا أعرف، وآردويك فين؟

- خرج. تركت له ملاحظة ليتصل بك، وكذلك فإن لدى مارغوت بينس المصوّرة الشخصية موعد عمل في مكانٍ ما في الريف، شريكها الشاب المخنث لا يعرف أين، أو هكذا قال... وكذلك فإن كبير الخدم غوسيب هرب إلى لندن.

- تُرى هل هرب كبير الخدم إلى الأبد؟ إنني أشك دائماً في المزاعم التي تتحدث عن أقارب يحتضرون. ما سر اهتمامه بالذهاب إلى لندن فجأة في هذا اليوم؟

- كان يمكنه وضع السيانيد في البخاخ بكل سهولة ثم يغادر.

- أي واحد يستطيع ذلك.

- ولكني أعتقد أن الدلائل تشير إليه؛ فلا يمكن أن يكون الفاعل شخصاً من الخارج.

- بل هو ممكن جداً، يمكن لأي شخص أن يقدّر اللحظة المناسبة، يمكن أن يوقف سيارته في إحدى الطرق الجانبية وينتظر حتى يكون الجميع في غرفة الطعام مثلاً ويدخل متسللاً من إحدى النوافذ ويصعد إلى الطابق العلوي؛ الشجيرات كثيفة وتحيط بالبيت من كل الجهات.

- ولكنها مغامرة كبيرة.

- هذا المجرم لا يهتم بالمجازفة، لقد كان ذلك واضحاً منذ البداية.

- كنا قد جندنا شرطياً للمراقبة حول البيت.

- أعرف، ولكنه لم يكن كافياً. لقد افترضنا أن مسألة رسائل التهديد لن تشكل خطراً داهماً إذ أن مارينا كانت محروسة جيداً، ولكن لم يخطر لي على بال أن هناك شخصاً آخر في خطر! إنني...

رنّ جرس الهاتف فتولى كورنيش الرد.

- إنه فندق دورشستر... السيد آردويك فين على الهاتف.

أعطى سماعة الهاتف لكرادوك الذي تناولها قائلاً: السيد فين؟ معك كرادوك.

- آه، نعم. سمعت أنك خابرتني، كنت في الخارج طوال اليوم.

- أنا آسف أن أخبرك -يا سيد فين- بأن الآنسة زيلنسكي قد ماتت هذا الصباح نتيجة التسمم بالسيانيد.

- أحقاً؟ يا إلهي! لقد صدمتني بهذا الكلام. هل كان ذلك حادثاً؟

- لا، لقد وُضع حمض البروسيك في بخاخٍ كانت تستخدمه في العادة.

- فهمت. نعم، فهمت.

ثم ساد صمت قصير قبل أن يُكمِل السيد فين: هل لي أن أسألك لماذا خابرتني بخصوص هذا الحادث المؤسف؟

- هل كنت تعرف الآنسة زيلنسكي يا سيد فين؟

- كنت أعرفها بالتأكيد. لقد عرفتها منذ بضع سنوات، لكنها لم تكن صديقة حميمة.

- كنا نأمل أن تستطيع مساعدتنا.

- كيف؟

- لقد تساءلنا إن كنت تستطيع أن تُخبرنا بأي شيء قد يكون دافعاً لقتلها. إنها غريبة في هذا البلد ولا نعرف عن أصدقائها ومعارفها وظروف حياتها إلاّ القليل القليل.

- عليكم بجيسن رَد؛ إنه أفضل شخص يمكنكم أن تسألوه عن هذا الأمر.

- هذا طبيعي. لقد فعلنا ذلك، ولكن من المحتمل أن تعرف عنها شيئاً لا يعرفه جيسن رد.

- لا أعتقد ذلك. أنا لا أعرف أي شيء عن إيلا زيلنسكي سوى أنها كانت امرأة قديرة في عملها. لا أعرف أي شيء عن حياتها الخاصة أبداً.

- إذن ليست عندك أية أفكار تساعدنا بها؟

كان كرادوك مستعداً لتلقي إجابة جازمة بالنفي، ولكن الذي أدهشه أنه لم يتلقَّ مثل هذا الجواب وإنما قوبل سؤاله بصمت. كان بوسعه أن يسمع صوت أنفاس آروديك على الجانب الآخر من الهاتف، وأخيراً جاء الجواب: هل ما زلت معي يا حضرة المفتش؟

- نعم يا سيد فين، أنا هنا.

- لقد قررتُ إخبارك بشيء قد يساعدكم. عندما تعرف ما هو ستقدّر موقفي في عدم البوح به، لكني أرى أن من الحكمة أن أخبركم بذلك. لقد تلقيت مكالمة هاتفية قبل يومين، تحدث معي فيها صوت هامس. قال (وأنا الآن أذكر ما قاله): "لقد رأيتك، رأيتك تضع الأقراص في الكأس. لم تكن تعرف أن هناك شاهد عيان، أليس كذلك؟ هذا يكفي الآن، في القريب العاجل سأُخبرك بما يتوجب عليك عمله".

هتف كرادوك بتمتمة تعبّر عن الدهشة، ومضى فين قائلاً: أليس هذا مفاجئاً يا سيد كرادوك؟ أؤكد لك صراحة بأن هذا الاتهام لا أساس له من الصحة. أنا لم أضع أقراصاً في كأس أي شخص وأتحدّى أي واحد ليثبت أنني فعلت ذلك. كان ذلك الكلام سخيفاً تماماً، ولكن يبدو أن الآنسة زيلنسكي كانت تحاول الابتزاز.

- هل ميزت صوتها؟

- لا يمكنك أن تُميّز الهمس، لكنها كانت إيلا زيلنسكي بلا شك.

- وكيف تعرف؟

- عطست المتكلمة عطسة كبيرة قبل أن تضع السماعة، وأنا أعرف أن الآنسة زيلنسكي كانت تعاني من حُمّى القش.

- وماذا تعتقد؟

- أعتقد أن الآنسة زيلنسكي قد اختارت الشخص الخطأ في محاولتها الأولى للابتزاز، لكن يبدو لي أنه من الممكن أن تكون قد نجحت فيما بعد. الابتزاز يمكن أن يكون لعبة خطيرة.

استجمع كرادوك قواه وقال: لا بد لي أن أشكرك على كلامك هذا يا سيد فين، ومن الناحية الإجرائية أريد أن أتأكد من تحركاتك هذا اليوم.

- هذا طبيعي، سائقي يمكنه أن يعطيك معلومات دقيقة.

وضع كرادوك السماعة وكرر ما قاله فين. صفّر كورنيش وقال: إمّا أن هذا يبرئه تماماً، أو أنه...

- أو أنها رواية رهيبة ملفقة. وقد تكون كذلك، فهو رجل يمتلك الأعصاب القوية لتلفيق مثل هذا الكلام. إن كانت توجد أية فرصة في أن تكون إيلا زيلنسكي قد تركت سجلاً لشكوكها فإن هذا الموقف المتحدي سيكون تلفيقاً رهيباً.

- وماذا عن دفعه بالغيبة عن مكان الحادث؟

- لقد صادفتنا الكثير من الدفوعات الملفقة بأتقن الطرق في زماننا هذا. يمكنه أن يدفع مبلغاً كبيراً من المال لشخص ليشهد معه على ذلك.

* * *

كان منتصف الليل قد انقضى عندما عاد غوسيب إلى غوسينغتن. أخذ سيارة أجرة من ماش بنهام حيث إن آخر قطار يسير في الخط الفرعي إلى سينت ميري ميد كان قد ذهب.

كانت معنوياته عالية جداً. أوقف سيارة الأجرة عند البوابة وصرفها بعد أن دفع الأجرة. وأخذ طريقاً مختصراً بين الأشجار وفتح الباب الخلفي بمفتاحه. كان البيت مظلماً وساكناً، وأغلق غوسيب الباب بالمزلاج، لكنه عندما وصل إلى الدرج المؤدي إلى الجناح المريح الذي يتكون من غرفة نوم وحمّام لاحظ وجود تيار هوائي. ربما كانت إحدى النوافذ مفتوحة... قرّر أن لا يهتم بالأمر، صعد

الدرج مبتسماً ووضع مفتاحه في باب غرفته. كان يبقي غرفته مقفلة بالمفتاح دائماً، وعندما أدار المفتاح ودفع الباب أحس بضغط حلقة مدورة صلبة على ظهره وسمع صوتاً يقول: ارفع يديك ولا تصرخ.

رفع غوسيب يديه بسرعة... لم يكن يريد المجازفة، وفي الواقع لم تكن أمامه أية فرصة ليغامر فيها.

ضُغط على زند المسدس للمرة الأولى، وللمرة الثانية. وقع غوسيب على وجهه.

رفعت بيانكا رأسها عن وسادتها: هل كانت تلك طلقة؟

كانت متأكدة تقريباً من أنها سمعت صوت طلقة. انتظرت بضع دقائق، ثم قررت أنها كانت مخطئة وعادت لتنام ثانية.

* * *

الفصل التاسع عشر

قالت الآنسة نايت: إنه عمل فظيع!

وضعت اللفافات التي تحملها وسحبت أنفاسها، فسألتها الآنسة ماربل: هل حدث شيء؟

- لا أحب حقاً أن أخبرك عنه يا عزيزتي، لا أحب. ربما كان صدمة لك.

- إذا لم تخبريني أنت فسوف يخبرني شخص آخر.

- هذا صحيح. نعم، هذا صحيح جداً. الجميع يثرثرون كثيراً، أنا واثقة من ذلك. أنا شخصياً لا أردد أي شيء مما يقولون، إنني حذرة جداً.

- كنت تقولين إن حادثاً فظيعاً قد وقع؟

- لقد أذهلني ذلك حقاً. ألا يضرك التيار الهوائي القادم من هذه النافذة يا عزيزتي؟

- أحب قليلاً من الهواء المنعش.

- ولكن يجب أن نحمي أنفسنا من البرد، أليس كذلك؟ سأخبرك بالأمر. لحظات وآتيك بشراب البيض المخفوق مع السكر والقشدة، سوف نحب هذا، أليس كذلك؟

- لا أعرف إن كنت ستحبينه، سأكون مسرورة إذا شربتِه إن كنت تحبينه.

قالت الآنسة نايت وهي تهز إصبعها: هيا، هيا، لقد راق لك المزاج، أليس كذلك؟

- لكنك كنت ستخبرينني بشيء.

- لا تقلقي لهذا الأمر ولا تدعي الأمر يثير أعصابك بأي طريقة كانت، أنا واثقة من أنه لا علاقة لنا به، ولكن مع وجود كل هؤلاء الأميركيين الأشقياء وغيرهم... لا أحسب أنه بقي أي شيء يثير الدهشة.

- لقد قُتل شخص آخر، أليس هذا ما حدث؟

- آه، هذا ذكاء خارق منك، لا أعرف كيف علمت بهذا.

قالت الآنسة ماربل متأملة: الواقع أنني كنت أتوقعه.

صاحت الآنسة نايت: آه، حقاً؟

- دائماً يرى شخصٌ شيئاً ما، وأحياناً يتطلب الأمر بعض الوقت حتى يدرك حقيقة ما رآه. من هذا الذي مات؟

- رئيس الخدم الإيطالي، لقد قُتل الليلة الماضية بالرصاص.

- فهمت. نعم، هذا محتمل جداً بالطبع، لكني ظننت أنه قد أدرك قبل الآن أهمية ما رآه.

- حقاً! تتحدثين وكأنك تعرفين كل شيء عن الأمر. ولماذا قُتل؟

- أظن أنه حاول ابتزاز شخص ما.

- يقولون إنه ذهب إلى لندن بالأمس.

- أحقاً؟ هذا مثير جداً وله دلالته أيضاً.

ذهبت الآنسة نايت إلى المطبخ لإعداد الشراب، وبقيت الآنسة ماربل جالسة تتأمل إلى أن قُوطعت أفكارها بصوت المكنسة الكهربائية المزعج بمصاحبة صوت شيري وهي تدندن بواحدة من الأغاني التي تمثل آخر الصرعات المرغوبة.

أطلت الآنسة نايت برأسها من باب المطبخ وقالت: أرجوك أن لا تزعجينا كثيراً بهذه الضجة يا شيري. هل تريدين إزعاج الآنسة ماربل؟ يجب أن لا تكوني عديمة الشعور.

أغلقت باب المطبخ ثانية بينما قالت شيري تحدّث نفسها أو تحدث العالم بشكل عام: ومن قال إنك تستطيعين رفع الكلفة ومناداتي «شيري» يا مرطبان المربّى العجوز؟

واصلت المكنسة أزيزها بينما كانت شيري تغني بصوت خافت، ثم صاحت الآنسة ماربل بصوت عال وواضح: شيري، تعالي هنا دقيقة.

أوقفت شيري المكنسة الكهربائية وفتحت باب غرفة الاستقبال قائلة: لم أقصد إزعاجك بغنائي يا آنسة ماربل.

- غناؤك أعذب بكثير من ذلك الصوت المخيف الذي تحدثه المكنسة، لكني أعرف أن على المرء أن يساير الزمن. لن ينفع معكنّ أيتها الشابات إن طلبنا منكن استخدام مكنسة القش والفرشاة على الطريقة القديمة.

- ماذا؟ أجثو على ركبتي ومعي مكنسة القش والفرشاة؟

بدت شيري مذعورة.

- أعرف أنك لم تسمعي بها. ادخلي وأغلقي الباب وراءك، ناديتك لأنني أريد التحدث إليك.

أذعنت شيري وجاءت إلى الآنسة ماربل وهي تنظر إليها متسائلة. قالت الآنسة ماربل: ليس لدينا الكثير من الوقت، إن العجوز... أقصد الآنسة نايت، ستدخل علينا في أي لحظة ومعها شراب البيض.

- أظن أن هذا مفيد لك؛ فهو يبث فيك الحيوية والنشاط.

- هل سمعت أن كبير الخدم في غوسينغتن هول قد قُتل الليلة الماضية؟

- ماذا؟ الإيطالي؟

- نعم، عرفت أنه يُدعى غوسيب.

- كلا، لم أسمع بذلك. سمعت أن سكرتيرة رد قد أُصيبت

بأزمة قلبية بالأمس وقال أحد الأشخاص إنها قد ماتت بالفعل، لكني أشك أن هذا مجرد شائعة. من أخبرك عن أمر كبير الخدم؟

- أخبرتني الآنسة نايت قبل قليل.

- لم أرَ أي أحد لأتحدث معه هذا الصباح قبل مجيئي إلى هنا، لا بدّ أن هذا الخبر قد انتشر الآن لتوّه. هل قُتل؟

- هكذا يُفترض، لا أعرف إن كان هذا صحيحاً أم غير صحيح.

- هذا مكان رائع للحديث، أتساءل إن كانت غلاديس قد ذهبت لرؤيته أم لا؟

- غلاديس؟

- آه، إنها صديقة لي. إنها تعيش في بيت قريب من بيتي وهي تعمل في مطعم الأستوديوهات.

- وهل تكلمت معك عن غوسيب؟

- لقد خطر لها شيء أحسَّتْ أنه غريب بعض الشيء وكانت ذاهبةً لسؤال غوسيب عن رأيه فيه. لكني أظن أنه مجرد عذر، فهي تميل إليه بعض الشيء. إنه شاب وسيم جداً، وللإيطاليين طريقتهم مع النساء. لكني أخبرتها أن تحذر منه؛ فأنت تعرفين ما هم الإيطاليون.

- لقد ذهب إلى لندن بالأمس ولم يعد إلاّ في الليل كما فهمت.

- أتساءل إن كانت قد تمكنت من رؤيته قبل أن يذهب.

- ولماذا كانت تريد رؤيته يا شيري؟

- بسبب شيء أحست أنه غريب بعض الشيء.

نظرت إليها الآنسة ماربل متسائلة. كانت قادرة على أن تفهم كلمة «غريب» بالمعنى الذي تستعملها فيه أمثال غلاديس في هذه القرية. قالت شيري: كانت من ضمن الفتيات اللائي كنّ يقدمن الشراب في الحفل هناك يوم المهرجان، عندما ماتت السيدة بادكوك.

- نعم؟

كانت الآنسة ماربل تبدو أكثر يقظة من أي وقت مضى، تماماً كما يقف كلب الصيد منتظراً أمام جحر الفأر.

- وكان هناك شيء رأته واعتبرته غريباً.

- لماذا لم تذهب إلى الشرطة بخصوصه؟

- لم تعتقد أنه كان يعني شيئاً. وعلى أية حال فقد اعتقدت أنه من الأفضل لها أن تسأل غوسيب عنه أولاً.

- وما هو الذي رأته ذلك اليوم؟

- بصراحة، ما أخبرتني به يبدو لي هراء... وقد تساءلتُ إن كانت تريد مجرد التملص وأن سبب ذهابها لرؤية السيد غوسيب كان شيئاً مختلفاً عمّا قالته.

قالت الآنسة ماربل بتجلّد: ماذا قالت؟

عبست شيري: كانت تتحدث عن السيدة بادكوك وكأس العصير، وقالت إنها كانت قريبة منها تماماً وقتها وقالت إنها فعلت ذلك بنفسها.

- ماذا فعلت؟

- دلقت كأسها على ثوبها وأفسدته.

- تقصدين أنه كان إهمالاً منها؟

- لا، ليس إهمالاً. قالت غلاديس إنها فعلت ذلك عن قصد وإنها تعمدت فعله. ألا ترين أنه لا معنى لهذا الأمر كيفما نظرت إليه؟

هزّت الآنسة ماربل رأسها متحيرة وقالت: نعم، بالتأكيد؛ لا أرى أي معنى لهذا.

- كانت تلبس ثوباً جديداً أيضاً، وقد كان هذا هو السبب الذي أثار الموضوع؛ فقد تساءلت غلاديس إن كان سيمكنها شراؤه، وقالت إنه يمكن تنظيفه تماماً لكنها لم تحب أن تذهب وتطلب من السيد بادكوك شراءه بنفسها. إنها ماهرة في خياطة الثياب غلاديس هذه، وقالت إنه من قماش رائع، من التفتة الزرقاء، وقالت إنه حتى لو تلف القماش في المنطقة التي سقط عليها الشراب فإنها تستطيع اقتطاع الجزء المتضرر.

فكرت الآنسة ماربل بمشكلة الخياطة هذه لحظة ثم وضعتها

جانباً. قالت: ولكن، هل تعتقدين أن صديقتك غلاديس ربما كانت تخفي عنك شيئاً؟

- لقد تعجبتُ لأنني لم أرَ أي شيء يمكنها أن تسأل السيد غوسيب عنه إن كان هذا كل ما رأته: أن هيذر بادكوك قد دلقت العصير على ثوبها متعمدة. أليس كذلك؟

- بلى، هذا صحيح، لكن الأمر مثير دائماً عندما لا يفهم الشخص. إن كنت لا تفهمين ماذا يعني شيءٌ ما فلا بد أنك تنظرين إليه من الجانب الخاطئ، إلاّ إذا لم تكن لديك معلومات كاملة بالطبع... ومن المحتمل أن هذا هو الحال هنا.

ثم تنهدت وقالت: أمر مؤسف أنها لم تذهب إلى الشرطة.

فُتح الباب ودخلت الآنسة نايت وهي تحمل كأساً طويلاً شهياً في أعلاه زبد أصفر اللون. قالت: هاك يا عزيزتي، وجبة بسيطة ورائعة، سوف تستطيبينه.

سحبت طاولة صغيرة ووضعتها إلى جانب الآنسة ماربل، ثم التفتت إلى شيري وقالت ببرود: لقد تركتِ المكنسة الكهربائية في أخطر مكان في الصالة، كدت أتعثر بها وأي شخص يمكن أن يُصاب بحادث.

قالت شيري: حسناً، الأفضل أن أكمل عملي.

ثم تركت الغرفة، فقالت الآنسة نايت: عجيب أمر شيري هذه. يتوجب عليّ أن أتحدث معها باستمرار بما يتوجب عليها فعله. إنها

تترك المكنسة الكهربائية في أي مكان وتأتي لتتحدث معك في الوقت الذي تبحثين فيه عن الهدوء.

- أنا التي طلبتها، فقد كنت أريد الحديث معها.

- حسناً، أرجو أن تكوني قد أشرت إلى طريقة ترتيبها للأسرّة. لقد صُدمتُ تماماً عندما جئتُ لأطوي لك فراشك الليلة الماضية، كان عليّ أن أعيد ترتيبه مرة أخرى.

- هذا جميل منك.

- آه، إنني لا أستاء أبداً من مساعدة الآخرين، هذا هو سبب وجودي هنا؛ لكي نجعل شخصاً نعرفه مرتاحاً وسعيداً قدر الإمكان. آه يا عزيزتي! لقد نقضتِ كثيراً من الصوف المنسوج.

استندت الآنسة ماربل إلى ظهر الكرسي وأغلقت عينيها، قالت: أريد أن أرتاح قليلاً، ضعي الكأس هنا ولك الشكر، وأرجوك أن لا تدخلي عليّ وتقلقي راحتي لمدة ثلاثة أرباع الساعة على الأقل.

- لن أقلقك يا عزيزتي، وسوف أخبر شيري أن تكون هادئة جداً.

ثم خرجت من الغرفة.

* * *

نظر الشاب الأميركي الوسيم حوله متحيراً، فقد حيّره تشعب المباني السكنية. خاطب بأدب سيدة مسنة بيضاء الشعر ومتوردة

الخدين كانت تبدو الشخص الوحيد أمامه: معذرة يا سيدتي، هل يمكنك أن تدلّيني على حارة بلينهايم كلوز؟

أمعنت السيدة العجوز النظر إليه لحظة. كان قد بدأ يتساءل إن كانت هذه المرأة صماء لا تسمع ولذلك فقد تهيأ ليكرر سؤاله بصوت مرتفع أكثر عندما تحدثت: من هنا على اليمين، ثم دُرْ إلى اليسار، الفتحة الثانية على اليمين مرة أخرى ثم أمامك مباشرة. ما هو الرقم الذي تريده؟

نظر إلى ورقة صغيرة بيده وقال: رقم ١٦، غلاديس ديكسون.

قالت العجوز: هذا صحيح، لكني أعتقد أنها تعمل في مطعم أستديوهات هيلينغفورث، ستجدها هناك إن كنت تريدها.

أوضح الشاب قائلاً: لم تأتِ هذا الصباح. أريدها أن تأتي إلى غوسنغتن هول، فلدينا نقص كبير في الخدم اليوم.

قالت العجوز: بالطبع، لقد قُتل كبير الخدم الليلة الماضية، أليس كذلك؟

ارتبك الشاب قليلاً من إجابتها تلك وقال: أظن أن الأخبار تدور بسرعة كبيرة في هذه المنطقة.

- إنها كذلك فعلاً. وقد فهمت أن سكرتيرة السيد رد توفيت أمس من أزمة قلبية هي الأخرى. ثم هزّت رأسها وقالت: أمر فظيع، فظيع تماماً، ما الذي ينتظرنا؟

* * *

الفصل العشرون

بعد ذلك بوقت قصير من نفس اليوم ذهب زائر آخر إلى البيت رقم ١٦ في بلينهايم كلوز، كان ذلك هو رقيب التحري ويليام (توم) تيدلار. دقّ على الباب الأصفر الجميل دقات حادة ففتحت له الباب فتاة في الخامسة عشرة من عمرها. كانت ذات شعر أشقر طويل وتلبس بنطالاً أسود ضيقاً وسترة برتقالية. سألها: هل تسكن الآنسة غلاديس ديكسون هنا؟

- هل تريد غلاديس؟ أنت غير محظوظ؛ فهي ليست هنا.

- أين هي؟ هل ذهبت للسهر في الخارج؟

- لا، لقد سافرت، نوع من العطلة.

- إلى أين ذهبت؟

- هذا كشف أسرار.

ابتسم توم تيدلار لها ابتسامته اللطيفة متسائلاً: هل لي أن أدخل؟ هل أمك في البيت؟

- أمي خرجت إلى العمل ولن تعود قبل السابعة والنصف. إنها لن تستطيع أن تخبرك بأكثر مما أخبرتك به؛ فقد ذهبت غلاديس في إجازة.

- آه، فهمت. متى ذهبت؟

- هذا الصباح. حدث ذلك فجأة، وقالت إنها حصلت على رحلة مجانية.

- هل لك أن تعطيني عنوانها؟

هزّت الفتاة الشقراء رأسها بالنفي وقالت: ليس لدينا أي عنوان الآن. قالت غلاديس إنها سترسل لنا عنوانها حالما تعرف أين ستقيم، ومع ذلك فالأغلب أنها لن تخبرنا به. لقد ذهبت الصيف الماضي إلى نيوكواي ولم ترسل لنا حتى بطاقة بريدية! إنها كسولة من هذه الناحية، أضف إلى ذلك أنها لا ترى ضرورة لقلق الأمهات على بناتهن طول الوقت.

- هل تولى أحدٌ دفع نفقات إجازتها؟

- لا بد أن الأمر كذلك، فهي في وضع مالي صعب حالياً.

- أليست لديك فكرة عمّن قدّم لها هذه الرحلة المجانية؟

اتخذت الفتاة وضعاً عدوانياً فجأة وقالت: لا تكوّن أية أفكار خاطئة؛ إن غلاديس ليست من هذا النوع.

أجاب تيدلار بهدوء بأنه لم يفكر بأشياء خاطئة، لكنه يريد عنوان غلاديس ديكسون في حال إرسالها أي بطاقة بريدية.

عاد إلى المركز ومعه نتائج تحقيقاته المختلفة، فقد علم من العاملين بالأستوديوهات أن غلاديس ديكسون قد اتصلت هاتفياً في ذلك اليوم وقالت إنها لن تستطيع أن تذهب إلى عملها لمدة أسبوع تقريباً، كما علم أيضاً ببعض الأشياء الأخرى.

قال: إن الفوضى التي حدثت هناك مؤخراً لا نهاية لها... مارينا غريغ تصاب بنوبات من الهستيريا معظم الأيام قائلة إن بعض القهوة التي قُدِّمت لها كانت مسممة. قالت إن طعمها كان مراً وكانت في حالة عصبية شديدة، فأخذ زوجها منها الفنجان وسكبه في الحوض وطلب منها أن لا تثير ضجة كبيرة حول الحادث.

قال كرادوك: نعم؟

كان يبدو واضحاً أن المزيد سيأتي.

- لكن الشائعات تقول إن السيد رد لم يسكب القهوة كلها، فقد أبقى بعضها وحلّله فوجد القهوة مسمّمة.

قال كرادوك: يبدو لي أن هذا مستبعد جداً، على كل حال سوف أسأله عن هذا.

* * *

بدا جيسن رد عصبياً وغاضباً. قال: كنت أقوم بما اعتبرته حقاً كاملاً لي يا حضرة المفتش.

- لو كنت اشتبهت في أي شيء غير طبيعي في تلك القهوة يا سيد رد لكان من الأفضل لك أن تسلّمنا إياها.

- الحقيقة أنني لم أشتبه لحظة واحدة بوجود أي شيء غير طبيعي فيها.

- رغم أن زوجتك قالت إن طعمها كان غريباً؟

- آه، ذاك...

ارتسمت على وجه رد ابتسامة باهتة وقال: منذ يوم المهرجان أصبحت زوجتي تعتبر أن لكل شيء تأكله أو تشربه طعماً غريباً. ماذا عن هذا وعن رسائل التهديد التي كانت تأتي...

- هل وصلها المزيد منها؟

- رسالتان إضافيتان: واحدة أُلقيت من النافذة هناك في الطابق السفلي والأخرى وُضعت في صندوق الرسائل، ها هما إن كنت تريد رؤيتهما.

نظر كرادوك، كانتا مطبوعتين مثل الرسالة الأولى وكانت إحداهما تقول: «لن يطول الأمر الآن. استعدي». أما الأخرى فكان بها رسم لجمجمة وعظمين متقاطعين عليها وقد كُتب أسفلها: «أنت المقصودة يا مارينا».

رفع كرادوك حاجبيه دهشة وقال: هذا عمل صبياني.

- هل هذا يعني أنك لا تعتبرهما خطيرتين؟

- لم أقل ذلك، فكثيراً ما يكون عقل المجرم صبيانياً. أليست لديك أية فكرة عن الذي أرسل هذه الرسائل يا سيد رد؟

- لا أعرف شيئاً، ما زلت أشعر أنها مزحة مخيفة أكثر من أي شيء آخر. يبدو لي...

- نعم يا سيد رد؟

- ربما هو شخص محلي، شخص أثاره حادث القتل الذي حدث يوم المهرجان، وربما كان شخصاً يحقد على مهنة التمثيل... هناك مناطق ريفية يعتبر التمثيل فيها واحداً من أسلحة الشيطان.

- أتريد أن تقول إن السيدة غريغ ليست مهدَّدة فعلياً؟ ماذا عن موضوع القهوة؟

قال رد منزعجاً: لا أعرف كيف سمعت عن هذا الموضوع.

هزّ كرادوك رأسه: الكل تحدثوا عنه وكنا سنسمع عنه عاجلاً أو آجلاً. كان عليك أن تأتي إلينا، وحتى عندما حصلت على نتيجة التحليل لم تخبرنا، أليس كذلك؟

- نعم، لم أخبركم. ولكن كانت عندي أمور أخرى شغلتني... وفاة إيلا المسكينة كانت إحداها، والآن حادث غوسيب هذا. حضرة المفتش، متى يمكنني إبعاد زوجتي عن هذا المكان؟ إنها نصف مجنونة.

- أنا أتفهم هذا، ولكن توجد جلسات تحقيق ينبغي حضورها.

- ألا تدرك أن حياتها ما زالت في خطر؟

- أرجو أن لا يصيبها أي شيء، جميع الاحتياطات سيتم اتخاذها.

- جميع الاحتياطات! أظن أنني سمعت هذا من قبل، يجب أن أبعدها من هنا يا كرادوك، يجب.

* * *

كانت مارينا مستلقية على الكرسي الطويل في غرفة نومها وعيناها مغمضتان، وكانت تبدو شاحبة من الإجهاد والتعب. وقف زوجها ينظر إليها لحظة، ففتحت عينيها وقالت: هل كان ذلك الرجل هو كرادوك؟

- نعم.

- لماذا جاء؟ بخصوص إيلا؟

- إيلا وغوسيب.

قطبت مارينا جبينها: غوسيب؟ هل عرفوا من الذي قتله؟

- ليس بعد.

- إنه كابوس، هل قال إن باستطاعتنا الرحيل؟

- قال: ليس بعد.

- لماذا؟ يجب أن نذهب. ألم تُفهمه أنني لا أستطيع الانتظار يوماً بعد الآخر حتى يأتي شخص ويقتلني؟ هذا غريب.

- سيتم اتخاذ جميع الاحتياطات.

- قالوا ذلك من قبل. هل استطاعوا أن يمنعوا قتل إيلا أو غوسيب؟ ألا تعرف أنهم سيصلون إليّ في النهاية؟ كان في قهوتي شيء ذلك اليوم في الأستوديو؛ أنا متأكدة من هذا، ليتك لم تسكبها في الحوض! لو أننا حفظناها لأمكننا أن نحلّلها، كنا سنعرف ونتوثق من الأمر.

- هل كان ذلك سيجعلك أكثر سعادة؟

حدقت إليه وقد اتسعت عيناها من الدهشة: لا أفهم ما تقصده. لو أنهم عرفوا أن أحداً كان يحاول قتلي بالسم لتركونا نغادر المكان ونرحل.

- ليس بالضرورة.

- لكني لا أستطيع البقاء هكذا... لا أستطيع، لا أستطيع! يجب أن تساعدني يا جيسن، يجب أن تفعل شيئاً. إنني خائفة، خائفة جداً. يوجد عدو لي هنا ولا أعرف من هو، يمكن أن يكون واحداً... أي واحد من الأستوديوهات أو هنا في البيت، شخص يكرهني، ولكن لماذا؟ لماذا؟ شخص يريد قتلي، ولكن من هو؟ من هو؟ ظننتُ، بل كدتُ أجزم، أنها إيلا، ولكن...

بدا جيسن مذهولاً: كنت تعتقدين أن الفاعل هو إيلا؟ لماذا؟

- لأنها كانت تكرهني. نعم، كانت تكرهني. ألا يفهم الرجال هذه الأمور أبداً؟ لقد كانت تحبك بجنون. لا أظن أنك كنت تعرف شيئاً عن هذا. ولكن لا يمكن أن يكون المجرم إيلا لأن إيلا قد ماتت،

آه، جيسن، أرجوك ساعدني، أرجوك أخرجني من هنا، دعني أذهب إلى مكان آمن، آمن...

قفزت عن كرسيها وصارت تمشي في الغرفة بسرعة جيئةً وذهاباً وتفرك وتقلب يديها. وكان جيسن، كمخرج، معجباً كثيراً بهذه الحركات الانفعالية المعذَّبة، وفكر في نفسه: يجب أن أتذكر هذه الحركات، ربما لتعليمها للممثلة البديلة هيدا غابلر. ثم تذكر -مصدوماً- أنه إنما يراقب زوجته!

- لا بأس يا مارينا، لا بأس، سأعتني بك.

- يجب أن نرحل عن هذا البيت الكريه فوراً. إنني أكره هذا البيت، أكرهه.

- اسمعيني، لا نستطيع أن نرحل على الفور.

- لماذا؟ لماذا؟

- لأن الوفيات تسبب تعقيدات، كما يجب التفكير بأمر آخر: هل سيفيدنا الهروب بشيء؟

- بالطبع سيفيدنا، سنهرب من هذا الشخص الذي يكرهني.

- إن كان شخص يكرهك إلى هذا الحد فسوف يتبعك بسهولة تامة.

- هل تقصد، هل تقصد... أنني لن أنجو أبداً؟ أنني لن أكون آمنة مرة أخرى أبداً؟

- حبيبتي، سيكون الأمر على ما يرام. سوف أهتم بأمرك؛ سأجعلك تعيشين في أمان.

همست: آه، إنني جبانة، جبانة... لو أنني أعرف من يكون، ولماذا؟ أحضِرْ لي أقراصي... الأقراص الصفراء وليس البنية، أريد أن آخذ شيئاً يهدئني.

- أرجوك أن لا تُكثري من هذه الأقراص يا مارينا.

- حسناً، حسناً... أحياناً لا يكون لها أي مفعول.

رفعت بصرها تنظر إليه، وابتسمت ابتسامة لطيفة وجميلة: هل ستعتني بي يا جيسن؟ أقْسِمْ أنك ستعتني بي.

- دائماً، ورغم كل المصاعب.

فتحت عينيها وأردفت: لقد ظهرتَ... ظهرتَ غريباً جداً وأنت تقول هذا.

- حقاً؟ كيف بدوت؟

- لا أستطيع التوضيح. مثل... مثل مهرج يضحك من شيء محزن جداً، لم يره أي شخص آخر.

* * *

الفصل الحادي والعشرون

كان المفتش كرادوك مرهقاً مكتئباً عندما جاء لرؤية الآنسة ماربل في اليوم التالي. قالت: اجلس وخذ راحتك، أرى أنك تمر بوقتٍ عصيب.

- لا أحب أن يقهرني شيء. جريمتا قتل في أربع وعشرين ساعة! أنا فاشل في عملي أكثر مما كنت أعتقد... أعطيني فنجاناً جيداً من الشاي يا عمة جين، مع بعض الخبز الرقيق والزبدة، وهدّئيني بذكرياتك القديمة عن سينت ميري ميد.

- لا تتحدث بهذه الطريقة يا ولدي العزيز، كما أنني لا أظن أن الخبز والزبد هو ما تريده أصلاً. عندما يصاب الرجال بخيبة الأمل يحتاجون شيئاً أقوى من الشاي. لنشرب القهوة.

- حقاً يا عمة جيني؟ حسناً، لن أرفض.

قالت الآنسة ماربل وهي تنهض: سوف أحضرها لك بنفسي.

- آه، لا، لا تفعلي هذا؛ دعيني أحضرها أنا، أو ماذا عن الآنسة التي لا أعرف اسمها؟

- لا نريد أن تعكر الآنسة نايت جوّنا هنا. هي لن تحضر لي فنجان الشاي إلاّ بعد عشرين دقيقة وهذا يوفر لنا قليلاً من الهدوء والراحة. كان ذكاء منك أن تأتي من الباب الخلفي وليس الأمامي، فهذا سيمكّننا من قضاء بعض الوقت وحدنا في هدوء دونما إزعاج.

اختفت قليلاً ثم عادت بالقهوة. قال: لا بد أن الزوجات كنّ رائعات أيام صباكِ.

- أنا واثقة -يا ولدي العزيز- أنك ستعتبر الشابة من النوع الذي تشير إليه زوجة غير ملائمة في هذه الأيام. لم تكن الفتيات يلقين أي تشجيع ليصبحن مثقفات، وقليل منهن نلن درجات جامعية أو أي نوع من المؤهلات الدراسية.

- توجد أمور أفضل من المؤهلات الدراسية... أن تعرف ما الذي يحتاجه الرجل وتعطيه إيّاه.

ابتسمت له الآنسة ماربل بودٍّ وقالت: هيا، هات كل ما عندك... أو ما يُسمح لك بإخباري به على الأقل.

- أظن أنك تعرفين ما أعرفه، وربما لديك ما تخفينه في نفسك. ماذا عن كلب الأثر عندك، عزيزتك الآنسة نايت؟ ماذا عن إمكانية ارتكابها هي للجريمة؟

سألته الآنسة ماربل بدهشة: ولماذا ترتكب الآنسة نايت مثل هذا العمل؟

- لأنها أكثر امرأة مستبعَدة... هذا يصدق في الغالب عندما تظهرين إجابتك.

- أبداً. لقد قلت مراراً وتكراراً، ليس لك فقط يا عزيزي ديرموت، إن الذي يرتكب الجريمة هو الشخص الواضح عادة. المرء يفكر كثيراً في الزوجة أو الزوج، وفي الغالب يكون هذا صحيحاً.

- تقصدين جيسن رد؟ هزّ رأسه وأضاف: هذا الرجل غارق في حب مارينا غريغ.

- كنت أتكلم بشكل عام. لدينا في البداية السيدة بادكوك التي قُتلت كما هو واضح. يسأل المرء نفسه: من يمكن أن يفعل مثل هذا الشيء؟ من الطبيعي أن يتبادر إلى الذهن أن يكون الزوج هو الفاعل، هذا أمر يجب أن يؤخَذ بعين الاعتبار. ثم قررنا أن الهدف الحقيقي للجريمة كانت مارينا غريغ، وهنا علينا أن نبحث -مرة أخرى- عن الشخص المرتبط بمارينا غريغ ارتباطاً جوهرياً، ولذلك فإننا نبدأ بالزوج أيضاً. ما من شكٍّ أنه كثيراً ما يريد الأزواج التخلص من زوجاتهم، ولكن ذلك يبقى في معظم الأحيان في حيز التمني ولا يتجاوز إلى مرحلة الفعل. أنا أوافقك هنا بأن جيسن رد يهتم بزوجته من كل قلبه، ربما يكون ذلك مجرد تمثيل ذكي، لكنني أستبعد هذا الاحتمال. هذا بالإضافة إلى أنني لا أجد له دافعاً معقولاً للتخلص منها، فإن كان يريد أن يتزوج امرأة أخرى فليس أبسط من هذا الأمر، إذ أظن أن الطلاق طبيعة ملازمة لنجوم السينما. كما لا توجد أي منفعة فعلية، فالرجل ليس فقيراً بأي من المقاييس، فلديه مهنته الخاصة به وهي ناجحة جداً كما عرفت. والخلاصة أن

علينا أن نفتش عن شخص آخر، لكن هذا صعب بالتأكيد... نعم، صعب جداً.

- نعم، لا بد أن تظهر لك صعوبات معينة لأن عالم السينما يبدو عالماً جديداً تماماً بالنسبة لك.

- أنا أعرف أكثر بقليل مما تعتقده... لقد قرأت بحرص شديد أعداداً مختلفة من مجلات السينما والنجوم.

ضحك ديرموت كرادوك، لم يستطع منع نفسه من ذلك، وقال: يسرني أن أراك جالسة هنا لتخبريني عن المواد الأدبية التي قمت بمطالعتها.

- إنها تفتقد متانة الصياغة ولكنها مشوقة جداً، إنما المخيِّب للآمال أنها جميعاً تشبه تلك التي كانت في أيام شبابي شبهاً كثيراً، كلها تحتوي على الكثير من القيل والقال والفضائح وتشغل معظم صفحاتها أخبار تافهة: من يحب من، وأشياء كهذه... إنها -في الحقيقة- نفس الأشياء التي تدور في سينت ميري ميد بالضبط، وفي منطقة التطوير أيضاً... أقصد أن الطبيعة البشرية هي نفسها في كل مكان. المهم أن الذي يريد قتل مارينا غريغ يريد ذلك بإصرار، وعندما فشل أرسل رسائل تهديد وكرر المحاولة كثيراً، ربما هو شخص...

ضربت على جبينها ضرباً خفيفاً تشير إلى أنه مضطرب عقلياً.

- نعم، هذا يبدو واضحاً بالتأكيد، وهو لا يظهر دائماً بالطبع.

وافقته الآنسة ماربل بحماسة: آه، أعرف. كان الابن الثاني للسيدة بايك، ويدعى ألفريد، يبدو عاقلاً تماماً وطبيعياً، لكنني فهمت أنه كان ذا نفسية شاذة جداً في الواقع، والحق أنه كان خطيراً جداً؛ كان يبدو سعيداً تماماً ومرتاحاً كما أخبرتني السيدة بايك، وهو الآن في مصح فيرويز للأمراض العقلية. إنهم يفهمونه هناك ويعتقد الأطباء أنه حالة مثيرة للاهتمام، وهذا يسعده كثيراً بالطبع. نعم، كل شيء انتهى نهاية سعيدة، لكنها نجت من كوارث وشيكة مرة أو مرتين.

فكر كرادوك في إمكانية وجود شبه بين شخص من بطانة مارينا غريغ وبين الابن الثاني للسيدة بايك.

أكملت الآنسة ماربل: كبير الخدم الإيطالي، الشاب الذي قُتل... لقد ذهب إلى لندن في يوم وفاته كما فهمت. هل يعرف أحد ماذا فعل هناك، إن كان مسموحاً لك أن تخبرني؟

- وصل إلى لندن الساعة الحادية عشرة والنصف صباحاً، ولا أحد يعرف ما الذي فعله هناك حتى ذهب بعد ساعة من ذلك إلى البنك وأودع مبلغ خمسمئة جنيه نقداً. لا أظن بوجود ما يؤيد روايته بأنه ذهب إلى لندن لزيارة قريب مريض، فلم يره أحد من أقاربه هناك.

أومأت الآنسة ماربل برأسها متعجبة وقالت: خمسمئة جنيه؟ نعم، إنه ليس بالمبلغ القليل. أظن أنه أول دفعة من دفعات كثيرة أخرى، أليس كذلك؟

- هذا ما يبدو.

- ربما كان هذا المبلغ هو كل النقود الموجودة عند الشخص الذي كان يهدّده، ربما تظاهر أنه راض بهذا المبلغ وربما يكون قبله كدفعة مقدمة، وربما كان الطرف الآخر قد وعده بجمع مبالغ أخرى في المستقبل القريب. وهذا يجعلنا نستبعد فكرة أن قاتل مارينا غريغ يمكن أن يكون شخصاً فقير الحال لديه ثأر قديم ضدها، وكذلك الحال مع الفكرة القائلة بأنه شخص حصل على عمل مساعد في الأستوديو أو وظيفة خادم أو بستاني. ما لم... ما لم يكن هذا الشخص مجرد عميل بينما الذي استخدمه موجود في منطقة قريبة، ولذلك كانت الزيارة إلى لندن.

- بالضبط. عندنا في لندن آردويك فين ولولا بروستر ومارغوت بينس. جميع هؤلاء كانوا حاضرين في الحفل، وجميعهم يستطيع أن يلتقي بغوسيب في مكان متفق عليه في لندن بين الحادية عشرة والثانية إلاّ ربعاً. كان آردويك فين خارج مكتبه خلال تلك الساعات، أمّا لولا بروستر فقد غادرت جناحها في الفندق للتسوق، وأمّا مارغوت بينس فكانت خارج الأستوديو الخاص بها. على فكرة...

- نعم؟ هل لديك شيء تقوله لي؟

- سألتِني عن الأطفال، الأطفال الذين تبنتهم مارينا غريغ قبل أن تعرف أن بإمكانها أن تحمل جنيناً في أحشائها.

- نعم، سألتك عن ذلك.

روى لها كرادوك كل ما عرفه، فقالت الآنسة ماربل بهدوء: مارغوت بينس؟ لدي إحساس بأن الأمر يتعلق بالأطفال.

- لا يمكن أن أصدّق أنه بعد كل هذه السنوات...

- أعرف، أعرف. لا يمكن للمرء أن يُصدّق هذا أبداً، ولكن هل تعرف الكثير عن الأطفال يا عزيزي ديرموت؟ عُدْ بتفكيرك إلى أيام الطفولة. ألا يمكنك أن تتذكر حادثاً معيناً، واقعة معينة سببت لك أسى أو آلاماً لا تتناسب مع أهميتها الحقيقية؟ بعض الأسى أو الكراهية التي لم تستطع أبداً أن تنتصر عليها منذ ذلك الحين؟ يوجد كتاب للكاتب العبقري ريتشارد هيوز... نسيت اسم الكتاب، لكنه يتحدث عن بعض الأطفال الذين وقعوا ضحية إعصار... آه، نعم، إعصار في جامايكا. إن الذي ترك في نفوسهم انطباعاً قوياً هو قطتهم التي كانت تجري في البيت كالمجنونة، كان ذلك هو الشيء الوحيد الذي تذكّروه، كل الرعب والإثارة والخوف الذي عاشوه تلخّصَ كله في منظر القطة ذاك.

- يا لها من مصادفة أن تقولي مثل هذا الكلام!

- لماذا؟ هل جعلك هذا تتذكر شيئاً؟

- كنت أفكر في لحظة وفاة والدتي. أظن أنني كنتُ في الخامسة أو السادسة من عمري، وكنتُ أتناول العشاء في الحضانة... حلوى بالمربى. كنت أحب الحلوى بالمربى كثيراً. ودخل أحد الخدم وقال لمربيتي: أليس ذلك رهيباً؟ لقد وقع حادث وماتت السيدة كرادوك! عندما أفكر في وفاة والدتي هل تعرفين ما الذي أتخيله؟

- ماذا؟

- صحناً عليه حلوى بالمربى وأنا أُحدّق إليه، وأستطيع أن أرى الآن أيضاً كيف كان المربى يخرج من أحد جانبي الحلوى. لم أبكِ ولم أقل شيئاً. أتذكّر فقط جلوسي هناك كالقطعة الجامدة أُحدّق إلى الحلوى. وحتى هذا الوقت إذا رأيت في محل أو مطعم أو في أي بيت قطعة من الحلوى بالمربى تسري في جسدي موجة عارمة من الرعب والبؤس والحزن... وأحياناً تمضي لحظات لا أتذكر فيها لماذا أحس بذلك. هل ترين في ذلك نوعاً من الجنون؟

- أبداً، إنه طبيعي تماماً، إنه يعطيني فكرة معينة.

فتح الباب وظهرت الآنسة نايت تحمل صينية الشاي. صاحت: يا إلهي! لدينا زائر هنا، أليس كذلك؟ كم هو جميل. كيف حالك أيها المفتش كرادوك؟ سأحضر فنجاناً آخر.

قال ديرموت: لا تقلقي، لقد شربت شيئاً آخر بدلاً منه.

عادت الآنسة نايت ووقفت عند الباب وقالت: ترى، هل يمكنك أن تأتي هنا دقيقة واحدة يا سيد كرادوك؟

انضم كرادوك إليها في الصالة، فذهبت إلى غرفة الطعام وأغلقت الباب. قالت: يجب أن تكون حريصاً.

- حريصاً؟ كيف يا آنسة نايت؟

- سيدتنا العجوز هناك... إنها تهتم بكل شيء، ولكن من المفيد لها أن لا تنفعل بخصوص جرائم القتل وغيرها من الحوادث العنيفة. لا نريدها أن تكتئب وتحلم أحلاماً سيئة، فهي طاعنة في

السن وضعيفة ومن الأفضل أن تحيا حياة آمنة، أنا متأكدة أن كل هذا الحديث عن جرائم القتل والعصابات يضرها كثيراً.

نظر ديرموت إليها بشيء من التسلية وقال بلطف: لا أعتقد أن أي شيء تقولينه أو أقوله عن الجرائم سيثير الآنسة ماربل أو يصدمها، وأحب أن أطمئنك -يا آنسة نايت- أن الآنسة ماربل قادرة على التعامل مع جرائم القتل والوفيات الفجائية والحوادث العنيفة بأقصى درجات الاتزان.

عاد إلى غرفة الاستقبال تتبعه الآنسة نايت وهي تطقطق بلسانها مستاءة، واستغلت الفرصة أثناء شرب الشاي للحديث عن الأخبار السياسية في الصحيفة وعن كل الموضوعات المفرحة التي كان بوسعها أن تفكر بها. وعندما أخذت صينية الشاي وأغلقت الباب وراءها تنفست الآنسة ماربل الصعداء وقالت: أخيراً حصلنا على بعض الهدوء! أرجو أن لا أقتل هذه المرأة في يوم من الأيام. والآن، اسمعني يا ديرموت، هناك أشياء أريد معرفتها.

- نعم؟ ما هي؟

- أريد أن أستعيد بالتفصيل الدقيق ما حدث يوم المهرجان: وصلت السيدة بانتري ووصل الكاهن بعدها بوقت قصير، ثم جاء السيد بادكوك وزوجته، وكان على الدرج في نفس الوقت المحافظ وزوجته وهذا الرجل آردويك فين ولولا بروستر وصحفي من ماش بنهام وهذه الفتاة المصورة مارغوت بينس. قلتَ إن مارغوت بينس كانت تحمل الكاميرا وتوجهها إلى الدرج وكانت تلتقط صوراً لما كان يجري. هل رأيت أياً من هذه الصور؟

- لقد أحضرت واحدة لأريك إياها في الواقع.

أخرج من جيبه صورة نظرت إليها الآنسة ماربل بتمعّن: مارينا غريغ وجيسن رد وراءها قليلاً إلى الجانب وآرثر بادكوك يده على وجهه ويبدو مُحرَجاً قليلاً يقف في الوراء بينما زوجته تمسك يد مارينا غريغ وتنظر وتتحدث إليها. لم تكن مارينا تنظر إلى السيدة بادكوك، كانت تنظر فوق رأسها كما يبدو، إلى الكاميرا تماماً أو ربما إلى يسارها قليلاً.

قالت الآنسة ماربل: صورة مثيرة تماماً. لقد ذكروا لي أوصافاً لهذه النظرة التي تبدو على وجهها... نظرة جامدة. نعم، هذا هو الوصف المضبوط لها. نظرة قدرٍ محتوم؟ لست متأكدة من هذا كثيراً. إنه نوع من شلل في الإحساس أكثر من كونه خشية من قدر محتوم، ألا تعتقد ذلك؟ لا أقول إن هذه نظرة خوف رغم أن الخوف يعطي هذه الملامح. ربما أحست بالشلل لكني لا أظن أنها شعرت بالخوف... وبالأحرى أعتقد أنها كانت صدمة. ديرموت، ولدي العزيز، أريدك أن تخبرني عن الذي قالته هيذر بادكوك بالحرف لمارينا غريغ في تلك المناسبة. أعرف لب الموضوع بشكل عام ولكني أريد الكلمات الفعلية التي قالتها. أظن أن لديك رواياتٍ لما قالته من أناس مختلفين.

أومأ ديرموت برأسه: نعم، دعيني أتذكر. صديقتك السيدة بانتري ثم جيسن رد وكذلك آرثر بادكوك، كما قلتِ فإنهم اختلفوا قليلاً في أقوالهم لكن لبّ الموضوع كان واحداً.

- أعرف، أريد أن أطّلع على هذه الخلافات في الأقوال. أعتقد أن ذلك قد يساعدنا.

- لا أفهم كيف، ربما تفهمين أنت. كانت صديقتك السيدة بانتري أكثرهم وضوحاً في هذا الموضوع حسبما أذكر. ربما كان معي ما دوّنته حول هذه المسألة. انتظري، إنني أحمل الكثير من الملاحظات التي أدونها.

أخرج من جيبه دفتر ملاحظات صغيراً وتصفحه لينعش ذاكرته. قال: ليست عندي الألفاظ بالضبط لكني كتبت ملاحظات تقريبية. من الواضح أن السيدة بادكوك كانت مبتهجة جداً وقالت شيئاً مثل: لا أستطيع أن أعبّر لك كم هذه المناسبة رائعة بالنسبة لي. لن تتذكري، ولكن قبل سنوات في برمودا نهضت من سريري عندما كنت مصابة بالجدري وجئت بسرعة لأراك ووقّعتِ لي على أوتوغراف، وكان ذلك من أعز أيام حياتي التي لن أنساها أبداً.

- فهمت، ذكرت لها المكان لكنها لم تذكر التاريخ، أليس كذلك؟

- بلى.

- وماذا قال رد؟

- جيسن رد؟ قال إن السيدة بادكوك تحدثت كيف نهضت من سريرها عندما كانت مصابة بالزكام وجاءت لمقابلة مارينا وما زالت تحتفظ بتوقيعها. كان سرداً أقصر من سرد صديقتك لكن أساس الموضوع واحد.

- هل ذكر الوقت والمكان؟

- لا، لا أظن ذلك. أعتقد أنه قال إن ذلك حدث قبل عشرة أعوام أو اثني عشر عاماً.

- فهمت. وماذا عن السيد بادكوك؟

- قال السيد بادكوك إن هيذر كانت منفعلة كثيراً ومتلهفة لمقابلة مارينا غريغ وإنها معجبة جداً بمارينا غريغ وإنها أخبرته أنها عندما كانت مريضة ذات يوم نهضت من فراشها وقابلت السيدة غريغ وأخذت توقيعها. لم يدخل في تفصيلات محددة، حيث كان ذلك قبل أن يتزوج امرأته. وقد رأيت أنه لم يكن يظن أن للحادث أهمية كبيرة.

- فهمت. نعم، فهمت.

- وما الذي فهمته؟

- ليس بقدر ما أريده بعد، ولكن لديّ شعور... لو أنني أعرف فقط السبب الذي لأجله أتلفت ثوبها الجديد.

- من؟ السيدة بادكوك؟

- نعم. غريب جداً، أمر لا يمكن تفسيره، اللهم إلاّ إذا... يا إلهي! إنني غبية جداً!

فتحت الآنسة نايت الباب ودخلت وهي تضيء المصباح. قالت بمرح: أظن أننا نريد قليلاً من الضوء هنا.

أجابتها الآنسة ماربل: فعلاً، أنت على حق يا آنسة نايت.

هذا ما كنا نريده بالضبط: قليل من الضوء. وأظن أننا حصلنا عليه أخيراً.

وبدا أن المحاورة الخصوصية قد انتهت، ولذلك نهض كرادوك وهو يقول: بقي أمر واحد فقط، الدور عليك الآن أن تخبريني بتلك الذكرى من ماضيك التي تلهب عقلك الآن.

- الكل يغيظني بخصوص هذا الأمر، ولكن أعترف بأنني تذكرت خادمة استقبال عائلة لورستون.

بدا كرادوك متحيراً: خادمة استقبال لورستون؟!

- كان عليها أن تتلقى الرسائل على الهاتف ولم تكن ماهرة في ذلك. اعتادت أن تفهم ما يقال لها بشكل عام فقط، ولكن عندما كانت تدوّن ذلك كان كلامها يصبح بلا معنى أحياناً. ربما كان بسبب ضعفها في اللغة، وكانت النتيجة أن وقعت حوادث مؤسفة جداً أتذكّر منها واحداً بشكل خاص. أظن أن رجلاً يدعى السيد باروفس اتصل بها وقال إنه أراد رؤية السيد إلفاستون بخصوص السياج الذي تحطم، لكنه قال إن إصلاح السياج لم يكن من شأنه هو؛ فقد كان عند الجانب الآخر من الأرض. وقال إنه يريد معرفة إن كانت هذه هي القضية حقيقة قبل عرض الأمر على المحكمة حيث سيعتمد ذلك على معرفة إن كان هو المسؤول قانونياً عن إصلاحه أم لا، وقال إن من المهم له أن يعرف الحد الصحيح لأرضه قبل أن يأمر المحامين. كانت رسالة غامضة جداً كما ترى... إنها تثير الارتباك أكثر مما توضح.

قالت الآنسة نايت وهي تضحك ضحكة خفيفة: إن كنت

تتحدثين عن خادمات الاستقبال فلا بد أن هذا كان منذ وقت طويل جداً. أنا لم أسمع عن خادمة استقبال منذ سنوات عديدة.

قالت الآنسة ماربل: كان هذا قبل عدد كبير من السنوات. ومع ذلك فإن الطبيعة البشرية لم تتغير، وما زالت الأخطاء تقع لنفس الأسباب. يا إلهي! الحمد لله أن تلك الفتاة آمنة في بورنماوث.

سألها ديرموت: الفتاة؟ أية فتاة؟

- الفتاة التي تخيط الثياب والتي ذهبت لترى غوسيب ذلك اليوم. ماذا كان اسمها؟ أظن أنه غلاديس.

- غلاديس ديكسون؟

- نعم، هذا هو اسمها.

- هل تقولين إنها في بورنماوث؟ وكيف عرفتِ ذلك؟

قالت الآنسة ماربل: أعرف لأنني أنا التي أرسلتها إلى هناك.

نظر ديرموت إليها بدهشة: ماذا؟! أنت؟ لماذا؟

- ذهبتُ لأراها وأعطيتها بعض النقود وأخبرتها أن تأخذ إجازة ولا تكتب رسالة لأهلها.

- لماذا فعلت ذلك؟

قالت الآنسة ماربل: لأنني لم أرد لها أن تُقتل بالطبع.

ثم طرفت عينها وهي ترنو إليه ببصرها.

* * *

الفصل الثاني والعشرون

قالت الآنسة نايت بعد ذلك بيومين بينما كانت تضع صينية الإفطار للآنسة ماربل: رسالة جميلة من الليدي كونواي، هل تذكرين كلامي لك عنها؟

ضربت على جبينها وهي تقول: إنها تكون مصابة في عقلها أحياناً وذاكرتها ضعيفة. لا تستطيع معرفة أقاربها دائماً وتطلب منهم أن يذهبوا عنها.

قالت الآنسة ماربل: ربما كان ذلك مكراً أكثر من كونه فقدان ذاكرة.

- ألسنا مخطئين عندما نقول مثل هذه الأشياء؟ إنها تقضي الشتاء في فندق بيلغريف في لاندادنو، وهو فندق جميل تحيط به الأراضي الجميلة وله مصطبة ذات جدران زجاجية رائعة، لقد سعت كثيراً لتجعلني أنضم إليها هناك.

انتصبت الآنسة ماربل على سريرها وقالت: أرجوك، إن كانوا يريدونك أو يحتاجونك هناك وتريدين أن تذهبي...

صاحت الآنسة نايت: لا، لا، لا أريد سماع هذا. آه، لا، لم أقصد شيئاً كهذا أبداً. ما الذي سيقوله السيد ريموند ويست عني؟ لقد أوضح لي أن وجودي هنا ربما يتحول إلى وجود دائم. إنني لم أفكر أبداً في الإخلال بالتزاماتي. كان ذلك كلاماً عابراً ليس إلا، لا تقلقي يا عزيزتي.

خرجت من الغرفة فجلست الآنسة ماربل عازمة أمرها، تنظر إلى الصينية ولا تجد شهية للطعام، وأخيراً رفعت سماعة الهاتف وأدارت القرص بحماسة: الدكتور هيدوك؟

- نعم؟

- معك جين ماربل.

- ماذا لديك؟ هل تريدين خدماتي الطبية؟

- لا، لكني أريد رؤيتك في أسرع وقت ممكن.

عندما جاء الدكتور هيدوك وجد الآنسة ماربل ما زالت في سريرها تنتظره. قال: تبدين في أتم صحة.

- هذا ما أردت رؤيتك من أجله؛ لأخبرك أنني في أتم صحة وعافية.

- إنه سبب غير عادي لطلب الطبيب من أجله.

- إنني قوية تماماً ومتعافية تماماً، ومن السخافة وجود أحد معي في هذا البيت. ما دامت واحدة تأتي كل يوم وتقوم بأعمال التنظيف

فلا أرى أي حاجة لوجود أحد يُعيَّن معي هنا بصورة دائمة.

- أعتقد أنك لا تحتاجين... لكني أرى ضرورة وجودها معك.

قالت الآنسة ماربل: يبدو لي أنك تتحول إلى عجوز لا يُحتمَل.

قال الدكتور هيدوك: لا تهينيني! أنت امرأة متعافية جداً بالنسبة لعمرك، لقد وهنت صحتك قليلاً بسبب التهاب الشعب الهوائية وهو أمر غير جيد لكبار السن، ولكن بقاءك وحيدة في البيت وأنت في مثل هذا العمر ليس بالأمر المستحب. افرضي أنك وقعت عن الدرج ذات ليلة أو سقطت عن سريرك أو انزلقتِ في الحمام، سترتمين دون أن يدري بك أحد.

- المرء يستطيع أن يتخيل أي شيء. قد تسقط الآنسة نايت عن الدرج ثم أسقط فوقها وأنا أجري خارجة لأنظر ما حدث.

- لا داعي لأن تمارسي طغيانك عليّ. إنك امرأة كبيرة في السن ويجب أن يعتني بك واحد بطريقة مناسبة. إن كنت لا تريدين هذه المرأة التي لديك فغيّريها وأحضري واحدة غيرها.

- ليس هذا بالأمر السهل دائماً.

- ابحثي عن خادمة قديمة كانت تعمل عندك، واحدة تحبينها وعاشت معك من قبل. أنا أدرك أن هذه المرأة العجوز تغيظك، ولا بد من وجود خادمة كبيرة بالسن في مكان ما. إن ابن أخيك هذا

كاتب مشهور وغني، فإذا وجدتِ الإنسانة المناسبة فسوف يدفع لها مبلغاً جيداً.

- ريموند العزيز سيفعل أي شيء من هذا بالطبع. إنه كريم جداً، ولكن ليس من السهل العثور على الشخص المناسب. إن للشابات الصغيرات حياتهن التي يردن أن يعشنها، والكثير من خادماتي العجائز المخلصات قد توفين.

- أنت لم تموتي، وسوف تعيشين فترة طويلة جداً إذا اعتنيت بنفسك بطريقة صحيحة.

ثم نهض وقال: حسناً، لا فائدة من بقائي هنا؛ من الظاهر أنك قوية وبصحة جيدة فلن أضيع وقتي في قياس ضغط دمك أو فحص نبضك أو توجيه الأسئلة لك. إنك تتقدمين في أمر هذا الحدث المحلي المثير رغم أنك لا تستطيعين الحركة ودسّ أنفك في الأمور كما تريدين. وداعاً، عليّ أن أذهب الآن للقيام بعمل طبي حقيقي، إذ توجد عشر حالات من الحصبة الألمانية وست حالات من السعال الديكي وحالة اشتباه واحدة بالحمى القرمزية، بالإضافة إلى الحالات اليومية!

خرج الدكتور هيدوك مبتهجاً، لكن الآنسة ماربل كانت عابسة. لقد قال شيئاً، ما هو؟ يريد أن يفحص المرضى... أمراض القرية المعتادة... أمراض القرية؟

أبعدت الآنسة ماربل صينية الإفطار واتصلت بالسيدة بانتري: دولي؟ معك جين. أريد أن أسألك شيئاً. أصغي إليّ الآن: هل صحيح

أنك أخبرت المفتش كرادوك بأن هيذر بادكوك أخبرت مارينا غريغ قصة طويلة لا مغزى لها حول إصابتها بالجدري وكيف أنها نهضت من سريرها وذهبت لمقابلة مارينا وحصلت على توقيعها؟

- نعم، هذا ما قلته تقريباً.

- الجدري؟

- شيء كهذا. كانت السيدة آلكول تتحدث معي في ذلك الوقت ولذلك لم أكن مصغية بإمعان.

سحبت الآنسة ماربل نفساً: هل أنت واثقة من أنها لم تقل «سعالاً ديكياً»؟

بدت السيدة بانتري مذهولة: سعالاً ديكياً؟ بالطبع لا. ما كانت ستضطر لوضع البودرة على وجهها وتجميله لو كان عندها سعال ديكي.

- فهمت، هذا ما أغفلتِ ذكره، ذكرها لموضوع مساحيق التجميل، أليس كذلك؟

- لقد شددَتْ عليه، فهي لم تكن من النوع الذي يستخدم مساحيق التجميل. لكني أعتقد أنك مصيبة، لم يكن مرضها هو الجدري، ربما كان مرض الطفح القراصي.

قالت الآنسة ماربل ببرود: أنت تقولين ذلك فقط لأنك أصبت مرة بالطفح ولم تتمكني من الذهاب لحفل زفاف. أنت ميؤوس منك يا دولي، ميؤوس منك!

وضعت السماعة بقوة مقاطِعَةً اعتراض السيدة بانتري ودهشتها.

اغتاظت الآنسة ماربل وبدت عليها ملامح الاستياء الشديد، وعاد تفكيرها إلى مشكلة راحتها المنزلية. فلورنس المخلصة؟ هل يمكنها إقناع فلورنس المخلصة، خادمة الاستقبال السابقة تلك، بترك بيتها الصغير المريح لتعود إلى سينت ميري ميد للعناية بسيدتها السابقة؟ كانت فلورنس المخلصة تحبها حباً شديداً، ولكنها متعلقة جداً بمنزلها الصغير. هزّت الآنسة ماربل رأسها مغتاظة. سمعت صوت طرقات خفيفة على الباب فأذنت للطارق بالدخول، فدخلت شيري.

قالت: جئت لآخذ الصينية... هل حدث شيء؟ إنك تبدين منزعجة؟

- أشعر بالعجز... الكبر والعجز.

قالت شيري وهي ترفع الصينية: لا تقلقي؛ أنت بعيدة عن العجز جداً. إنك لا تعرفين الأشياء التي يقولها الناس عنك هناك في هذه القرية. حتى في منطقة التطوير يعرفون عنك... عن جميع الأشياء غير العادية التي عملتها. إنهم لا يرون أبداً أنك امرأة مسنّة وعاجزة. هي التي أقنعتك بهذا.

- هي؟

أومأت شيري برأسها بقوة إلى الوراء نحو الباب خلفها وقالت: البدينة، الآنسة نايت، لا تدعيها تهزمك.

- إنها لطيفة جداً... الحق أنها لطيفة جداً.

قالتها بنبرة من يحاول أن يقنع نفسه بهذا.

- يقولون إن العناية تقتل القطة. أنت لا تحتاجين إلى اللطف يُحشَر تحت أنفك حشراً، ألستِ كذلك؟

- آه، أظن أن لنا جميعاً متاعبنا.

- أعتقد ذلك. لا أحب أن أشكو لكني أشعر أحياناً أنني لو عشت جارة للسيدة هارتويل فترة أطول فسوف يقع ما لا تحمد عقباه. تلك العجوز ذات الوجه البغيض، دائماً تثرثر وتشكو. لقد سئم منها جيم أيضاً وفي الليلة الماضية تشاجر معها شجاراً عنيفاً، كل ما هناك أننا كنا نسمع معزوفة موسيقية بصوت مرتفع.

- هل احتجّتْ؟

- لقد اختلقت أمراً رهيباً، ضربت على الحائط وصرخت...

- وهل يجب عليكما أن تسمعا الموسيقى بصوت مرتفع هكذا؟

- جيم يحب سماعها هكذا؛ يقول إن المستمع لا يمكنه الاستمتاع بالأنغام إلاّ إذا كان الصوت مرتفعاً إلى آخر حد.

- ربما يضايق هذا أيَّ شخص ليس له حس موسيقي.

- المشكلة أن هذه البيوت تكاد تكون متصلة بعضها ببعض؛ إن جدرانها رقيقة جداً. إنها تبدو جميلة وأنيقة لكنك لا تستطيعين التعبير

عن شخصيتك دون أن يعترض عليك أحد أشد الاعتراض.

ابتسمت الآنسة ماربل لها وقالت: لديك الكثير من الشخصية لتعبري عنها يا شيري.

- أتعتقدين هذا؟

بدت شيري مسرورة، وضحكت وقالت: تُرى...

وفجأت بدت مرتبكة. وضعت الصينية وعادت إلى السرير وهي تقول: لا أعرف إن كنتِ ترين أنني وقحة إن سألتك عن شيء؟ لا أدري، حسبك أن تقولي: لا أودّ الكلام في هذه المسألة... هذا يكفي.

- أهو أمر تريدين مني أن أفعله؟

- ليس تماماً، إنه بشأن تلك الغرف فوق المطبخ. إنها لا تُستخدَم هذه الأيام أبداً، أليس كذلك؟

- نعم.

- سمعت أن البستاني وزوجته كانا يسكنان فيها منذ زمن طويل. لقد تساءلت إن كان باستطاعتي أنا وجيم السكن فيها... أقصد أن نأتي ونعيش هنا؟

حدقت الآنسة ماربل إليها ذاهلة: ولكن ماذا عن بيتكم الجديد الجميل في التطوير؟

- لقد سئمنا منه. نحن نحب الآلات، وهنا يمكن للمرء أن

يحضر الآلات التي يريد، ولا سيما إذا حصل جيم على الغرفة الموجودة فوق الإسطبلات. سيصلحها وستكون جديدة ويمكنه وضع جميع النماذج التي يبنيها هناك دون حاجة لإبعادها كل مرة، وإذا وضعنا جهاز المسجل هناك أيضاً فلن تسمعي صوته.

- هل أنت جادة حقاً في هذا يا شيري؟

- نعم؛ لقد تحدثنا أنا وجيم في هذا الأمر كثيراً. يمكن لجيم أن يصلح لك ما تشائين في أي وقت؛ إنه يقوم بأعمال السمكرة وبأعمال النجارة، وسوف أعتني أنا بك في كل وقت مثلما تفعل الآنسة نايت. أعرف أنك ترين أنني متهورة قليلاً، لكنني سأحاول إتقان ترتيب الأسرّة والغسيل، كما أنني في الطريق لأصبح طاهية بارعة. لقد طهوت بيف ستروغانوف الليلة الماضية، والحقيقة أنها طبخة سهلة جداً.

تأملتها الآنسة ماربل. كانت شيري تبدو كالهرّة المتلهفة، كان المرح والنشاط يشعّان منها، وفكرت الآنسة ماربل بالمخلصة فلورنس مرة أخرى. إن فلورنس المخلصة ستعتني بالبيت بطريقة أفضل من شيري بكثير (لم تصدق الآنسة ماربل وعود شيري)، ولكن فلورنس كانت في الخامسة والستين من عمرها على الأقل. ترى هل سترضى بأن تُقتَلع من جذورها؟ ربما ستقبل هذا العرض من باب حبها للآنسة ماربل ليس إلاّ، ولكن هل تريد الآنسة ماربل حقاً أن يضحي أحد من أجلها؟ أليست معاناتها هي أصلاً ناتجة عن حب الآنسة نايت المفرط للقيام بواجبها تجاهها؟ ورغم أن عمل شيري في المنزل غير متقن إلاّ أنها كانت تريد المجيء، وكانت تملك صفات

رأت الآنسة ماربل -في تلك اللحظة- أنها ذات أهمية فائقة. كانت شيري عطوفة ونشطة ولها اهتمام عميق بكل شيء يجري.

قالت شيري: لا أريد أن يجري كل هذا من وراء ظهر الآنسة نايت بالطبع.

- لا تهتمي بأمر الآنسة نايت؛ ستذهب إلى امرأة أخرى تُدعى الليدي كونواي في فندقٍ في لاندادنو، وسوف تستمتع هناك كثيراً. لكن علينا ترتيب الكثير من الأمور يا شيري وأريد الحديث مع زوجك، إن كنت تعتقدين حقاً أنك ستكونين سعيدة.

قالت شيري: هذا سيناسبنا تماماً، ويمكنك أن تعتمدي عليّ في القيام بالأعمال بشكل متقن... وسوف أستخدم المقشة والفرشاة إن شئت.

ضحكت الآنسة ماربل من هذا العرض الكبير.

رفعت شيري صينية الإفطار ثانية وقالت: يجب أن أذهب بسرعة. وصلتُ إلى هنا متأخرة هذا الصباح، فقد سمعت خبراً عن المسكين آرثر بادكوك.

- آرثر بادكوك؟ ما الذي جرى له؟

- ألم تسمعي؟ لقد ذهب إلى مركز الشرطة الآن. لقد طلبوا منه أن يذهب لمساعدتهم في تحقيقاتهم، وأنت تعرفين ماذا يعني هذا عادة.

- متى حدث هذا؟

- هذا الصباح. ربما كان الاستدعاء بسبب زواجه السابق بمارينا غريغ.

- ماذا؟!

انتصبت الآنسة ماربل في جلستها ثانية وهتفت: آرثر بادكوك كان متزوجاً بمارينا غريغ؟!

- هذه هي الحكاية. لم يكن أحد يعلم بالأمر، والسيد أبشو هو الذي كشفه. كان قد ذهب إلى الولايات المتحدة مرة أو مرتين لعمل يتعلق بشركته، ولذلك فهو يعرف الكثير من الأقاويل التي تدور هناك. لكن هذا قديم جداً، قبل أن تبدأ مارينا غريغ بالتمثيل، تزوجا سنة واحدة أو سنتين، وعندما وقّعت عقد فِلمها الأول لم يعد زوجها يصلح لها ولذلك انفصلا لسهولة الطلاق في أميركا ثم اختفى. إن آرثر بادكوك من النوع الذي يختفي دون إحداث ضجة، وقد غيّر اسمه وعاد إلى إنكلترا. كان ذلك منذ وقت طويل جداً. هل تعتقدين أن هذا الأمر مهم الآن؟ هذا ما حدث، أظن أن هذا كافٍ للشرطة لأن يمضوا في تحقيقاتهم.

- آه، لا. هذا يجب أن لا يحدث. ليتني أستطيع معرفة ما يمكن فعله...

أشارت بيدها إلى شيري: أبعدي هذه الصينية يا شيري وأرسلي لي الآنسة نايت. سوف أقوم عن سريري.

أذعنت شيري للأمر، وارتدت الآنسة ماربل ثيابها وأصابعها

ترتعش قليلاً. كان يغضبها عادة أن تجد شيئاً مثيراً يؤثر فيها. وعندما دخلت الآنسة نايت كانت تعدّل ثيابها.

- هل كنت تريدينني؟ قالت شيري...

قاطعتها الآنسة ماربل بحدة: اطلبي إنش.

قالت الآنسة نايت وقد جفلت: معذرة، ماذا قلت؟

- إنش، اطلبي إنش... خابريه بالهاتف ليأتي على الفور.

- آه، آه، فهمت. تقصدين صاحب سيارة الأجرة... لكن اسمه روبرتس، أليس كذلك؟

- بالنسبة لي اسمه إنش وسيبقى هكذا... ولكن على أية حال اتصلي به، يجب أن يأتي إلى هنا على الفور.

- هل تريدين أن تذهبي في نزهة بالسيارة؟

- أحضريه فقط. أسرعي، أرجوك.

نظرت الآنسة نايت إليها بارتياب وشرعت تعمل ما طلبت منها، ثم قالت بلهفة: هل نحس بأننا على ما يرام يا عزيزتي؟

- نحن الاثنتين على ما يرام... أنا تحديداً أشعر بأنني على ما يرام... الكسل لا يناسبني ولم يكن أبداً يناسبني. كنت أحتاج إلى النشاط والعمل منذ وقت طويل.

- هل قالت شيريَ هذه شيئاً أزعجك؟

- لم يزعجني شيء... أشعر بأنني على ما يرام. إنني متضايقة من نفسي لأنني كنت غبية. لكن الحقيقة أن ذلك كان حتى لحظة فهمي لإشارة الدكتور هيدوك هذا الصباح. ترى هل تسعفني الذاكرة جيداً؟ أين كتابي الطبي؟

أبعدت الآنسة نايت عن طريقها ونزلت الدرج. وجدت الكتاب الذي كانت تريده على رف في غرفة الاستقبال، فتناولته وبحثت في الفهرس وهمست: صفحة ٢١٠، ثم قلّبت الصفحات حتى وصلت إلى الصفحة المطلوبة. قرأت لبضع ثوان ثم أومأت برأسها راضية: إنه ملفت للنظر... غريب جداً. لا أظن أن أحداً قد فكّر في ذلك. أنا شخصياً لم أفكر فيه إلى أن جاء الأمران معاً.

هزّت رأسها وقد بدت علامات الإصرار بين عينيها. لو كان هناك شخص فقط... قلبت في ذهنها القصص المختلفة التي قيلت لها في وصف ذلك الحدث، واتسعت عيناها وهي تفكر. كان هناك شخص ما، لكنها تساءلت: ترى هل سيفيدها بشيء؟ ففي حالة الكاهن لا يستطيع المرء أن يجزم بشيء، إذ أن ردود أفعاله يصعب التنبؤ بها تماماً.

ومع ذلك ذهبت إلى الهاتف وضربت الرقم: صباح الخير أيها الكاهن، أنا الآنسة ماربل.

- آه، نعم، الآنسة ماربل. هل يمكنني عمل أي شيء لك؟

- تُرى هل يمكنك مساعدتي في نقطة صغيرة؟ إنها تتعلق بذلك اليوم الذي جرى فيه المهرجان عندما ماتت السيدة بادكوك

المسكينة. أظن أنك كنت تقف قريباً من السيدة غريغ عندما وصل السيد بادكوك وزوجته.

- نعم، نعم. أظن أنني كنت أمامهما تماماً... كان يوماً مأساوياً.

- نعم، وأظن أن السيدة بادكوك كانت تذكّر السيدة غريغ وتقول لها إنها التقت بها في برمودا من قبل... كانت مريضة في سريرها ونهضت من سريرها للّقاءِ بها خصيصاً.

- نعم، نعم، أتذكّر ذلك فعلاً.

- وهل تذكر إن كانت السيدة بادكوك قد ذكرت المرض الذي كانت تعاني منه؟

- أعتقد... دعيني أتذكر. نعم، كان مرض الحصبة، على الأقل ليست الحصبة الحقيقية وإنما الحصبة الألمانية، وهي أقل خطورة من الأولى. بعض المصابين لا يشعرون بالمرض، أتذكّر ابنة عمي كارولين...

قاطعت الآنسة ماربل ذكرياته عن ابنة عمه كارولين وهي تقول بصلابة: "أشكرك كثيراً حضرة الكاهن"، ثم وضعت السماعة.

قالت الآنسة نايت وهي تدخل: السيارة موجودة يا عزيزتي. إنها سيارة قديمة جداً وأظن أنها ليست نظيفة. لا أريدك أن تركبي سيارة كهذه فربما التقطت جرثومة منها.

- هذا هراء.

وضعت الآنسة ماربل قبعتها على رأسها وزرّرت معطفها وخرجت إلى السيارة التي كانت في انتظارها. قالت: صباح الخير يا روبرتس.

- صباح الخير يا آنسة ماربل. إنك مبكرة هذا الصباح، إلى أين تريدين الذهاب؟

- إلى غوسينغتن هول من فضلك.

قالت الآنسة نايت: أليس من الأفضل أن آتي معك يا عزيزتي؟ لن يستغرق الأمر أكثر من دقيقة واحدة حتى أنتعل حذائي.

قالت الآنسة ماربل بصلابة: لا، شكراً لك؛ سأذهب وحدي. هيا تحرك يا إنش... أقصد روبرتس.

انطلق السيد روبرتس وهو يقول: آه، غوسينغتن هول؟ حدثت هناك تغييرات عظيمة هذه الأيام، وكل ذلك بفضل التطوير. لم أكن أظن أن مثل هذه الأمور يمكن أن تحدث في سينت ميري ميد.

بعد أن وصلت الآنسة ماربل إلى غوسينغتن هول قرعت الجرس وطلبت رؤية السيد جيسن رد. أظهر خليفة غوسيب (وكان رجلاً مرتعشاً ومسنّاً) الارتياب وقال: إن السيد رد لا يرى أي إنسان دون موعد مسبق يا سيدتي، وهذا اليوم على وجه الخصوص.

- ليس عندي موعد لكني سأنتظر.

دخلت الصالة أمامه برشاقة وجلست على كرسي هناك.

- أخشى أن يكون من المستحيل رؤيته هذا الصباح يا سيدتي.

- في هذه الحالة سأنتظر حتى المساء.

انسحب كبير الخدم الجديد مهزوماً، وفي الحال جاء شاب إلى الآنسة ماربل. كان منظره يسر الناظر وكان مبتهجاً ويتكلم لهجة أميركية بعض الشيء. قالت الآنسة ماربل: لقد رأيتك من قبل... في منطقة التطوير، وقد سألتني عن الطريق إلى بلينهيم كلوز.

ابتسم هيلي بريستون ابتسامة جميلة: أظن أنك بذلت جهدك... لكنك ضللتني بشكل رهيب.

- يا إلهي! أحقاً هذا؟ إنها منطقة كثيرة التشعب والفروع. هل يمكنني رؤية السيد رد؟

- للأسف الشديد. إن السيد رد رجل مشغول جداً وجدوله مليء جداً هذا الصباح ولا يمكن لنا أن نزعجه.

- أنا واثقة من انشغاله، لذا جئت إلى هنا وكلّي استعداد للانتظار.

- أفضّل أن تخبريني عمّا تريدينه. إنني أنظر في كل هذه الأمور التي تتعلق بالسيد رد، وعلى كل واحد أن يراني أولاً.

- أريد رؤية السيد رد نفسه، وسوف أنتظر هنا إلى أن أراه.

جلست على الكرسي الكبير المصنوع من خشب البلوط وثبتت

نفسها عليه أكثر. وتردد هيلي بريستون وأراد أن يتكلم، لكنه استدار في النهاية وصعد الدرج، ثم عاد ومعه رجل ضخم يلبس بدلة من الصوف.

- هذا هو الدكتور غيلكرايست. الآنسة...

- الآنسة ماربل.

قال الدكتور غيلكرايست: إذن أنت الآنسة ماربل؟

نظر إليها باهتمام شديد فيما انسلّ هيلي بريستون مبتعداً بسرعة. قال الدكتور غيلكرايست: لقد سمعت عنك من الدكتور هيدوك.

- الدكتور هيدوك صديق قديم جداً لي.

- إنه كذلك بالتأكيد. هل تريدين رؤية السيد جيسن رد؟ لماذا؟

- أريده لأمر ضروري.

نظر الدكتور غيلكرايست إليها بإمعان وقال: هل ستختيمين هنا إلى أن تشاهديه؟

- تماماً.

- يمكنك ذلك، ولكن في هذه الحالة سأعطيك سبباً وجيهاً جداً يمنع رؤية السيد رد: **لقد ماتت زوجته الليلة الماضية وهي نائمة.**

صاحت الآنسة ماربل: ماتت! كيف؟

- جرعة كبيرة من الحبوب المنومة. لا نريد أن يتسرب الخبر إلى الصحافة لمدة بضع ساعات على الأقل، فالرجاء أن تحتفظي بهذه المعلومة لنفسك في الوقت الحالي.

- بالطبع، هل كان ذلك حادثاً؟

- هذا هو رأيي دون شك.

- ولكن قد يكون انتحاراً.

- يمكن، ولكنه أمر مستبعد جداً.

- أم أن شخصاً قد أعطاها الجرعة القاتلة؟

هزّ غيلكرايست كتفيه وقال: "وهذا مستبعَد أكثر وأكثر". ثم أضاف بصلابة: وهو أمر سيكون من المستحيل إثباته.

- فهمت.

تنفست بعمق وقالت: أنا آسفة، لكن الأمر أصبح الآن أكثر ضرورة من قبل لكي أرى السيد رد.

نظر غيلكرايست إليها وقال: انتظري هنا.

* * *

الفصل الثالث والعشرون

رفع جيسن رد بصره عندما دخل غيلكرايست.

قال الطبيب: في الطابق السفلي سيدة عجوز تبدو في نحو المئة من عمرها، وهي تريد رؤيتك. لم نستطع أن نصرفها دون أن تراك، فقد قالت إنها ستنتظرك حتى المساء... وهي تستطيع -فيما أظن- قضاء الليلة هنا. لديها أمر مهم جداً تريد أن تقوله لك، ولو كنت مكانك لذهبت ورأيتها.

رفع جيسن رد بصره عن المكتب. كان وجهه شاحباً ومجهداً وقال: هل هي مجنونة؟

- لا، أبداً.

- لا أفهم لماذا... آه، حسناً؛ أرسلها إليّ هنا. وماذا يهم؟

أومأ غيلكرايست وخرج من الغرفة ونادى هيلي بريستون.

قال هيلي بريستون وقد عاد إليها ثانية: السيد رد يمكنه أن يراك لبضع دقائق يا آنسة ماربل.

قالت الآنسة ماربل وهي تنهض: "أشكرك، هذا لطف كبير منه"، ثم سألته: هل تعمل مع السيد رد منذ وقت طويل؟

- لقد عملت مع السيد رد منذ سنتين ونصف السنة، وعملي ينحصر -إجمالاً- بالعلاقات العامة.

قالت: "فهمت"، ثم نظرت إليه متأملة: إنك تذكّرني كثيراً بشخص عرفته يُدعى جيرالد فرينش.

- أحقاً؟ وماذا كان جيرالد فرينش يعمل؟

- لم يكن يعمل الكثير، ولكنه كان متحدثاً بارعاً جداً... وكان له ماض مشؤوم.

قال هيلي بريستون مرتبكاً: لم تخبريني ماذا كان ماضيه؟

- لن أخبرك، لم يكن يحب أن يتحدث عنه أحد.

نهض جيسن رَد عن مكتبه ونظر ببعض الدهشة إلى السيدة النحيلة العجوز التي كانت تقترب نحوه. قال: هل كنت تريدين رؤيتي؟ ماذا يمكنني عمله لك؟

- أنا آسفة جداً لوفاة زوجتك. أرى أن هذا قد سبّب لك حزناً شديداً، وأرجو أن تعلم أنني ما كنت لأتطفل عليك الآن لو لم يكن الأمر ضرورياً جداً. لا بُدّ من وضع النقط على الحروف إذا كان رجل بريء سيعاني.

- رجل بريء؟ لا أفهمك.

- آرثر بادكوك؟ إنه لدى الشرطة الآن حيث يتم استجوابه.

- يُستجوب في مسألة وفاة زوجتي؟ هذا سخيف، سخيف تماماً. إنه لم يقترب من البيت أبداً... حتى إنه لم يكن يعرفها.

- أظن أنه كان يعرفها. كان زوجاً لها ذات مرة.

- آرثر بادكوك؟! ولكنه كان... كان زوج هيذر. ألستِ... ألست مخطئة قليلاً؟

- كان زوجاً لكلا المرأتين. كان زوجاً لزوجتك عندما كانت صغيرة جداً قبل أن تعمل في السينما.

هزّ جيسن رد رأسه وقال: كانت زوجتي متزوجة -في البداية- برجل يُدعى ألفريد بيدل وكان يعمل في تجارة العقارات، ولم يكونا منسجمين فانفصلا على الفور.

- ثم غيّر ألفريد بيدل اسمه وأصبح بادكوك، وهو يعمل في شركة عقارية هنا. بعض الناس لا يحبون تغيير وظيفتهم أبداً، بل هم يصرّون على الاستمرار في القيام بنفس العمل. ربما كان هذا هو السبب الذي جعل مارينا غريغ تشعر أنه لا يصلح لها؛ إذ لم يكن باستطاعته مجاراتها.

- هذا الأمر مفاجئ لي تماماً.

- أؤكد لك أنني لا أتخيل الأشياء، فما أقوله لك هو الحقيقة التامة. إن مثل هذه الأمور تنتشر في القرية بسرعة كبيرة، رغم أنها تأخذ وقتاً أطول بعض الشيء حتى تصل إلى غوسينغتن هول.

جمّدت المفاجأة جيسن رد في مكانه، ثم تقبّل المسألة وقال: حسناً، ماذا تريدين مني الآن يا آنسة ماربل؟

- أريد -إن أمكن- أن أقف على الدرج في المكان الذي كنت تقف فيه مع زوجتك عندما كنتما تستقبلان الضيوف يوم المهرجان.

نظر إليها نظرة ارتياب سريعة مفكّراً: "تُرى هل هذه امرأة أخرى تبحث عن نبأ مثير؟"، لكن وجه الآنسة ماربل كان هادئاً ووقوراً. قال: بالتأكيد... إن كنت تريدين هذا. تعالي معي.

قادها إلى الدرج ووقف في أعلاه. قالت الآنسة ماربل: لقد عملتم في هذا البيت تغييرات كثيرة جداً منذ أن غادرته عائلة بانتري، هذا لطيف حقاً. دعني أرَ الآن. أظن أن الطاولات كانت في هذا المكان وأنت وزوجتك كنتما تقفان...

- زوجتي كانت تقف هنا (وأشار جيسن إلى المكان) وكان الضيوف يصعدون الدرج فكانت تقوم باستقبالهم ثم تسلمهم لي.

- كانت تقف هنا.

تحركت ووقفت في المكان الذي كانت مارينا غريغ تقف فيه. بقيت هناك هادئة تماماً ودون أي حركة فيما كان جيسن رد يراقبها، وكان مهتماً بقدر ما كان مرتبكاً. رفعت يدها اليمنى قليلاً وكأنها تصافح ونظرت إلى أسفل الدرج وكأنها ترى أناساً يصعدون عليه، ثم نظرت أمامها مباشرة... على الحائط في وسط الدرج كانت توجد صورة كبيرة هي نسخة عن لوحة السيدة العذراء، وعلى جانبَي اللوحة نافذتان ضيقتان تطلّ إحداهما على الحديقة والأخرى على طرف

الأسطبلات. لكن الآنسة ماربل لم تكن تنظر إلى أي منهما، بل كانت عيناها مثبتتين على اللوحة نفسها.

قالت: غالباً ما يسمع المرء بشكل صحيح عندما يسمع الكلام لأول مرة. لقد أخبرتني السيدة بانتري أن زوجتك حدقت إلى اللوحة وقد تجمد وجهها (كما قالت). نظرت إلى ثوب السيدة العذراء الأحمر والأزرق، كانت العذراء ترفع رأسها إلى الوراء قليلاً وهي تضحك للطفل الذي كانت ترفعه بين ذراعيها. إنه رسمٌ لأم سعيدة بطفلها، أليس هذا صحيحاً يا سيد رد؟

- أعتقد ذلك، بلى.

- إنني أفهم الآن... أفهم الآن جيداً. أليس الأمر كله بسيطاً للغاية؟

ثم نظرت إلى جيسن رد الذي ردد متسائلاً: بسيط؟

- أظن أنك تعرف كيف أنه بسيط.

دقّ أحدهم جرس البيت، وقال جيسن رد: لا أعتقد أنني أفهم ما تقولينه.

نظر إلى أسفل الدرج حيث كانت الأصوات تتعالى، وقالت الآنسة ماربل: أنا أعرف هذا الصوت، إنه صوت المفتش كرادوك. أليس كذلك؟

- بلى، يبدو أنه المفتش كرادوك.

- إنه يريد أن يراك أيضاً. هل ستمانع لو أنه انضمّ إلينا؟

- أبداً، لا أعرف إن كان سيوافق.

- أعتقد أنه سيوافق. لا وقت لنضيعه؛ لقد حانت اللحظة التي يجب علينا أن نفهم فيها كيفية حدوث كل شيء.

- أعتقد أنك قلت إن الأمر بسيط؟

- كان بسيطاً جداً لدرجة أن المرء لا يستطيع فهمه.

وصل كبير الخدم الواهن في تلك اللحظة إلى أعلى الدرج وقال: المفتش كرادوك موجود هنا يا سيدي.

قال جيسن رد: اطلبْ منه أن ينضمّ إلينا هنا من فضلك.

انصرف الرجل، وبعد لحظات وصل كرادوك الذي قال يخاطب الآنسة ماربل: أنت! كيف جئت إلى هنا؟

قالت الآنسة ماربل وهي تسبّب نفس التأثير المُربِك الذي تُحدثه تلك العبارة دائماً: لقد جئت مع إنش.

مسح جيسن رد جبينه والحيرة تبدو عليه، وكان يقف وراءها قليلاً. هزّ ديرموت كرادوك رأسه فقالت الآنسة ماربل: كنت أقول للسيد رد... هل ذهب الخادم؟

نظر كرادوك أسفل الدرج وقال: نعم، إنه لا ينصت إلينا؛ سيتولى الرقيب تيدلار العناية بهذا الأمر.

قالت الآنسة ماربل: إذن كل شيء على ما يرام. يمكننا أن نذهب إلى إحدى الغرف لنتحدث، لكنني أفضل الأمر هكذا. نحن

هنا في المكان الذي وقعت فيه الحادثة، وهذا يجعل فهم الأمر أكثر سهولة.

قال جيسن: أنت تتحدثين عن يوم المهرجان، اليوم الذي تسممت فيه هيذر بادكوك؟

- نعم، وأنا أقول إن كل شيء يبدو بسيطاً للغاية إذا نظرنا إليه بطريقة صحيحة. أصلُ المسألة كلها هو الطبيعة الشخصية التي كانت عليها هيذر بادكوك... كان أمراً حتمياً أن يحدث لها شيء كهذا في يوم من الأيام.

قال جيسن رد: لا أفهم ما تقصدينه، لا أفهم أي شيء أبداً.

- سوف أوضح الأمر قليلاً. عندما وصفت صديقتي (السيدة بانتري التي كانت موجودة هنا)، عندما وصفت لي المشهد استشهدت ببيت من الشعر كنا نحبه كثيراً أيام شبابنا، شعر للشاعر لورد تينيسون... قصيدة «سيدةُ شالوت».

ثم رفعت الآنسة ماربل صوتها قليلاً وهي تردد: «المرآة مكسورة من طرف إلى طرف، وصاحت سيدةُ شالوت: لقد نزل بي القضاء المحتوم».

سكتت قليلاً ونظرت إلى الرجلين، ثم مضت تقول: هذا ما رأته السيدة بانتري... أو ظنت أنها رأته. لقد رأت زوجتك تتحدث مع هيذر بادكوك وسمعت هيذر بادكوك تتحدث مع زوجتك، ورأت نظرة الموت بادية على وجه زوجتك.

قال جيسن رد: لقد سمعنا هذا مرات عدة.

- صحيح، ولكن علينا أن نستعيده مرة أخرى الآن. كان ذلك الانطباع بادياً على وجه زوجتك، نعم، غير أنها لم تكن تنظر إلى هيذر بادكوك ولكن إلى تلك اللوحة، لوحة أم ضاحكة سعيدة ترفع طفلاً سعيداً... كان الخطأ هو أنه رغم ارتسام نظرة «القضاء المحتوم» على وجه مارينا غريغ، فلم يكن قضاؤها هي هو الذي سيأتي! كان القضاء سيحلّ على هيذر... لقد وقع القضاء على هيذر عند اللحظة التي بدأت تتحدث فيها وتتباهى بوقوع حادث في الماضي.

قال ديرموت كرادوك: هل يمكنك توضيح ما تقولينه أكثر؟

التفتت الآنسة ماربل إليه قائلة: سأوضح بالطبع. هذا أمر لا تعرفون عنه شيئاً؛ لا يمكنكم أن تعرفوا عنه لأن أحداً لم يخبركم ما الذي قالته هيذر بادكوك بالفعل.

عارضها كرادوك: لكنهم أخبرونا. لقد أخبروني مرة تلو الأخرى... أناس كثيرون أخبروني بذلك.

- نعم، لكنك لا تعرف لأن هيذر بادكوك لم تخبرك به.

- لم يكن باستطاعتها أن تخبرني بذلك لأنها كانت قد ماتت عندما وصلت إلى هنا.

- هذا صحيح. كل ما تعرفه -من تلك القصة القديمة- أنها كانت مريضة لكنها نهضت من فراشها وذهبت لحضور احتفال معين حيث التقت بمارينا وتحدثت معها وطلبت منها التوقيع على الأوتوغراف.

قال كرادوك وقد نفد صبره قليلاً: أعرف، سمعت كل هذا.

- لكنك لم تسمع تلك العبارة المهمّة التي لم يعرها أحد أدنى انتباه: لقد كانت هيذر بادكوك طريحة الفراش بسبب إصابتها بالحصبة الألمانية.

- الحصبة الألمانية؟ وما صلة هذا بالمسألة؟

- إنه مرض بسيط جداً وقد لا تشعر به أصلاً، وهو يحدث طفحاً جلدياً يمكن إخفاؤه باستخدام المساحيق وربما رافقه ارتفاع طفيف بالحرارة، ويستطيع المريض الخروج ويرى الناس إن أراد... والخلاصة أن المرض الذي أصاب السيدة بادكوك كان الحصبة الألمانية. لم ينتبه أحدٌ إلى هذه النقطة بالذات. السيدة بانتري -على سبيل المثال- قالت إن هيذر كانت طريحة الفراش وذكرت الجدري والطفح، أما السيد رد فقال إنه كان الزكام... لكنه قال ذلك عامداً بالطبع. أعتقد أن الذي قالته هيذر بادكوك لمارينا هو أنها كانت مصابة بالحصبة الألمانية وأنها نهضت من فراشها وذهبت للقاء مارينا، وهذه المسألة هي الفكرة الجوهرية في الكشف عن الغموض الذي أحاط بهذا الأمر كله... ذلك أن الحصبة الألمانية مرض معدٍ للغاية. الناس يتناقلونه بسهولة تامة، وهناك مسألة خطيرة ينبغي أن لا تغيب عن أذهانكم، وهي أن المرأة إذا أُصيبت به في الأشهر الأربعة الأولى من حملها فقد يكون له تأثير مخيف جداً... قد يُسبّب العمى أو التخلف العقلي للجنين عندما يولد.

التفتت إلى جيسن قائلة: أظن أنني على صواب يا سيد رد عندما أقول إن زوجتك قد أنجبت طفلاً متخلفاً عقلياً وإنها لم تتعافَ من

الصدمة أبداً. كانت دائماً تريد طفلاً وعندما جاء هذا الطفل -بعد طول انتظار- جاء متخلفاً عقلياً. مأساة لم تَنْسَهَا أبداً ولم تسمح لنفسها بنسيانها، فقد كانت تستحوذ على كل مشاعرها.

قال جيسن رد: هذا صحيح تماماً. لقد التقطت مارينا عدوى الحصبة الألمانية في فترة مبكرة من حملها، وأخبرها الطبيب بأن التخلف العقلي لطفلها كان بسبب ذلك المرض ولم تكن حالة من الجنون الوراثي أو أي شيء من هذا القبيل. كان يحاول مساعدتها لكني لا أظن أن ذلك قد ساعدها كثيراً، وهي لم تعرف أبداً كيف أو متى أو مَن الذي نقل إليها عدوى المرض.

قالت الآنسة ماربل: هذا صحيح تماماً. لم تعرف أبداً حتى جاءت امرأة غريبة تماماً عصر ذات يوم إلى هنا وصعدت هذا الدرج وأخبرتها بالحقيقة، والأدهى من ذلك أنها أخبرتها بكثير من المتعة! كانت تتباهى بما فعلته! لقد تصورت أنها كانت واسعة الحيلة والشجاعة وأنها أظهرت الكثير من النشاط في نهوضها من فراشها وتغطية الطفح الذي كان على وجهها بالمساحيق وذهابها مباشرة للقاء الممثلة التي كانت مفتونة بها إلى ذلك الحد لأخذ توقيعها. كان ذلك مدعاة للفخر طوال حياتها، ولم تكن هيذر بادكوك تقصد الأذى لها ولم تقصد أي أذى عامدة في حياتها، ولكن لا شك بأن أمثال هيذر بادكوك (ومثلها صديقتي القديمة أليسون وايلد) يمكنهم عمل الكثير من الأذى دون أن يشعروا، لا لأنهم يفتقدون اللطف والدماثة ولكن لأنهم لا يحسنون التفكير في الطريقة التي يتصرفون بها، مما قد يُؤثّر على الآخرين. كانت تهتم فقط بما يعنيه ذلك التصرف لها هي ولم تهتم أبداً بنظرة الآخرين إليه.

أومأت الآنسة ماربل برأسها بلطف ومضت قائلة: **وهكذا ماتت لسبب بسيط يعود إلى ماضيها.** يجب أن تتصوروا ماذا كانت تلك اللحظة تعني لمارينا غريغ... لا بدّ أن السيد رد يدرك ذلك جيداً. أظن أنها احتفظت طوال هذه السنوات بنوع من الحقد على ذلك الشخص المجهول الذي كان سبباً لمأساتها، وفجأة تجد نفسها أمام ذلك الشخص وجهاً لوجه وتجد ذلك الشخص امرأة تتباهى بما فعلته... كان ذلك أكبر من أن تتحمله. ليتها استطاعت أن تفكّر وتهدّئ نفسها! كانت أمامها هذه المرأة التي حطمت سعادتها وحطمت عقل طفلها وصحته... فأرادت معاقبتها، أرادت قتلها، وكانت الوسيلة قريبة منها مع الأسف.

كانت تحمل معها ذلك الدواء المعروف: كالمو. إنه دواء خطير إذا لم تحرص على أخذ الجرعة المضبوطة. وبكل سهولة وضعت الدواء في كأسها، فلو لاحظها أيٌّ كان لسبب من الأسباب فلن يلتفت لذلك، فقد كان الجميع معتادين على أخذها هذه الحبوب المهدئة. ربما رآها شخص ما، لكنني أشك في ذلك، وأظن أن الآنسة زيلنسكي لم تفعل أكثر من التخمين. وضعت مارينا كأسها على الطاولة ودفعت هيذر بادكوك من ذراعها مما جعلها تدلق شرابها على ثوبها الجديد. إن كثيرين من الناس لا يحسنون صياغة كلامهم واستخدام الضمائر بشكل مناسب، وهذا هو الذي شوّش أفكارنا في الأيام السابقة.

ثم قالت تخاطب ديرموت: هذا يذكّرني بخادمة الاستقبال تلك التي حدثتك عنها. كنت أفكر فيما قالته غلاديس ديكسون لشيري من أنها كانت منزعجة بسبب إتلاف ثوب هيذر بادكوك عندما انسكب الشراب عليه. والذي بدا غريباً جداً -كما قالت- هو أنها فعلت ذلك

عن عمد. لقد كان ضمير الغائب الذي استعملته غلاديس عائداً إلى مارينا غريغ وليس إلى هيذر بادكوك. قالت غلاديس: "فعلته عن عمد"... لقد دفعت ذراع هيذر، ولم يكن فعلاً عرضياً ولكنها تعمدت فعل ذلك. كانت تقف قريبة جداً من هيذر بادكوك لأننا سمعنا أنها مسحت ثوبها وثوب هيذر بادكوك قبل أن تفرض كأسها على هيذر. الحق أنها كانت جريمة تامة جداً لأنها ارتُكبت ارتجالاً من وحي اللحظة دون توقف للتفكير أو التأمل. **أرادت قتل هيذر بادكوك وبعد بضع دقائق كانت هيذر بادكوك في عداد الأموات!** ربما لم تدرك خطورة ما فعلته إلاّ لاحقاً، لكنها أدركت ذلك بعد فوات الأوان. وشعرت بالخوف، الخوف الشديد.

كانت تخاف من أن يكون شخص قد رآها وهي تضع الدواء في كأسها وأن يكون أحد قد رآها وهي تدفع ذراع هيذر عامدة وتخاف من أن يتهمها شخص بأنها سمّت هيذر. ولم تجد لها إلاّ مخرجاً واحداً: أن تصرّ على أنها كانت هي المقصودة بجريمة القتل وأنها كادت أن تكون الضحية فعلاً. جربت تلك الفكرة أولاً مع طبيبها، ورفضت أن تسمح له بأن يخبر زوجها وذلك لأنها -على ما أعتقد- كانت تعرف أن زوجها لن يُخدَع بذلك. ثم فعلت أشياء خيالية... كتبت رسائل تهديد لنفسها وعملت على أن تجدها في أماكن غير عادية وفي لحظات غير عادية، وضعت السم في قهوتها في الأستوديو ذات يوم، فعلت أشياء كان يمكن أن تُكتَشف بسهولة تامة لو صدف أن شخصاً قد أمعن التفكير في ذلك... وشخص واحدٌ استطاع أن يُدرك الحقيقة.

نظرت إلى جيسن رد. قال جيسن: إنها فرضية من صنع خيالك الخاص وينقصها البرهان.

- يمكنك أن تُعبّر عنها كما تشاء، لكنك تعرف جيداً أنني أقول الحقيقة يا سيد رد. أنت تعرف لأنك عرفت -أصلاً- منذ البداية ولأنك سمعت ذكر الحصبة الألمانية منذ البداية... كنت تعرف وكنت متحمساً جداً لحمايتها، لكنك لم تتصور أن المسألة ستتطور إلى هذه الدرجة. لم تعد القضية مجرد تستّر على جريمة واحدة فعلتها زوجتك في لحظة فقدت فيها السيطرة على نفسها... لقد تبعتها جريمة وجريمة، وفاة غوسيب الذي كان إنساناً رغم ابتزازه لكم، ووفاة إيلا زيلنسكي التي كنت تحبها على ما أظن. وكنت شديد الحماسة لحماية مارينا ولمنعها من التسبب بمزيد من الأذى، كل ما كنت تريده هو أخذها إلى مكان آمن، ولعلك حاولت مراقبتها طول الوقت لتضمن أن شيئاً آخر لن يحدث.

سكتت، ثم اقتربت من جيسن فوضعت يدها على ذراعه بلطف وقالت: أنا آسفة جداً لما أصابك، آسفة جداً. أفهم تماماً مدى الكرب الذي كنت تعيشه، وقد كنتَ مهتماً بها كثيراً، أليس كذلك؟

ابتعد جيسن قليلاً وقال: أظن أن هذا معروف للجميع.

- كانت امرأة جميلة ذات موهبة رائعة. كانت لها قدرة عظيمة على الحب والكراهية، لكنها لم تكن مستقرة. من المؤسف -حقاً- أن يفتقد المرء الشعور بالاستقرار. لم تستطع نسيان الماضي ولم تستطع أبداً رؤية المستقبل كما هو بل كما يصوره لها خيالها. كانت ممثلة

عظيمة وامرأة جميلة ولكنها تعسة جداً... لن أنساها أبداً وهي تمثل دور «ماري الرائعة ملكة الإسكتلنديين».

ظهر الرقيب تيدلار على الدرج فجأة وقال: سيدي، هل يمكنني أن أتحدث معك لحظة؟

التفت كرادوك وقال لجيسن: سأعود إليك.

ثم نزل الدرج فنادته الآنسة ماربل: تذكّر أن المسكين آرثر بادكوك ليس له في هذا الأمر ناقة ولا جمل. لقد جاء إلى المهرجان لأنه أراد رؤية الفتاة التي تزوجها قبل فترة طويلة، وأظن أنها لم تعرفه، أليس كذلك؟

وجهت سؤالها لجيسن رد، فهزّ جيسن رأسه وقال: نعم، لا أعتقد ذلك. لم تقل لي أي شيء، ولا أظن أنها قد عرفته.

- على أية حال فهو بريء تماماً من محاولة قتلها.

قال كرادوك: أطمئنك؛ إنه ليس في خطر حقيقي، ولكن عندما اكتشفنا أنه كان الزوج الأول لمارينا غريغ كان من الطبيعي أن نستجوبه في هذه النقطة. لا تقلقي عليه يا عمتي جين.

ثم أسرع ينزل الدرج. والتفتت الآنسة ماربل إلى جيسن رد الذي كان يقف مشدوهاً يرنو ببصره إلى مكان بعيد. قالت الآنسة ماربل: هل تسمح لي برؤيتها؟

صعّدَ النظر فيها لحظات، ثم أومأ برأسه موافقاً وقال: نعم، يمكنك رؤيتها. يبدو أنك فهمتها تماماً.

استدار وتبعته الآنسة ماربل، وسبقها إلى غرفة نوم كبيرة وأزاح الستائر قليلاً. كانت مارينا غريغ مستلقية على سرير أبيض كبير، وكانت عيناها مغلقتين ويداها مقبوضتين.

فكرت الآنسة ماربل: ربما استلقت «سيدةُ شالوت» هكذا في القارب الذي حملها إلى «كاميلوت»، وها هنا يقف مفكّراً رجل ذو وجه متجهم كثير التجاعيد ربما سيموت مثل «لانسيلوت» في تلك القصة.

ثم قالت بلطف: من حسن حظها أنها أخذت جرعة دواء مضاعفة؛ فقد كان الموت هو طريقها الوحيد للخروج من الأزمة. نعم، من حسن حظها أنها أخذت الجرعة المضاعفة... أم أنها **أُعطيت لها؟**

نظر إليها دون أن ينبس ببنت شفة، ثم قال مكسور الفؤاد: كانت جميلة جداً وعانت كثيراً جداً.

نظرت الآنسة ماربل إلى الجثة الهامدة، ثم استشهدت بآخر أبيات القصيدة:

قال: إن لها وجهاً جميلاً،
أمدّتها رحمةُ الله بالبهاء،
سيدةُ شالوت.

* * *

المِرْآة المَكسُورَة

الممثلة المشهورة، مارينا غريغ، شهدت جريمةَ قتل في بيتها.

لكن ما الذي رأته قبل الحادث مباشرة؟ ما هو الشيء الذي تسبّبَ في ظهور نظرة من الجمود والرعب على وجهها، تلك النظرة التي لم يرَها أحدٌ سوى السيدة دولي بانتري؟

دولي تعرف -بالطبع- الشخصَ الوحيد الذي يمكنه تفسير الأمر كله: صديقتها القديمة؛ الآنسة ماربل.

رواية جديدة من روايات الكاتبة العملاقة التي تُعتبَر أعظم مؤلفة في التاريخ من حيث انتشار كتبها وعدد ما بيع منها من نسخ، وهي -بلا جدال- أشهر مَن كتب قصص الجريمة في القرن العشرين وفي سائر العصور. وقد تُرجِمت رواياتها إلى معظم اللغات الحية، وقارب عدد ما طُبع منها ألفَيْ مليون نسخة!

Agatha Christie

The Mirror Crack'd from Side to Side

MARPLE الآنسة ماربل

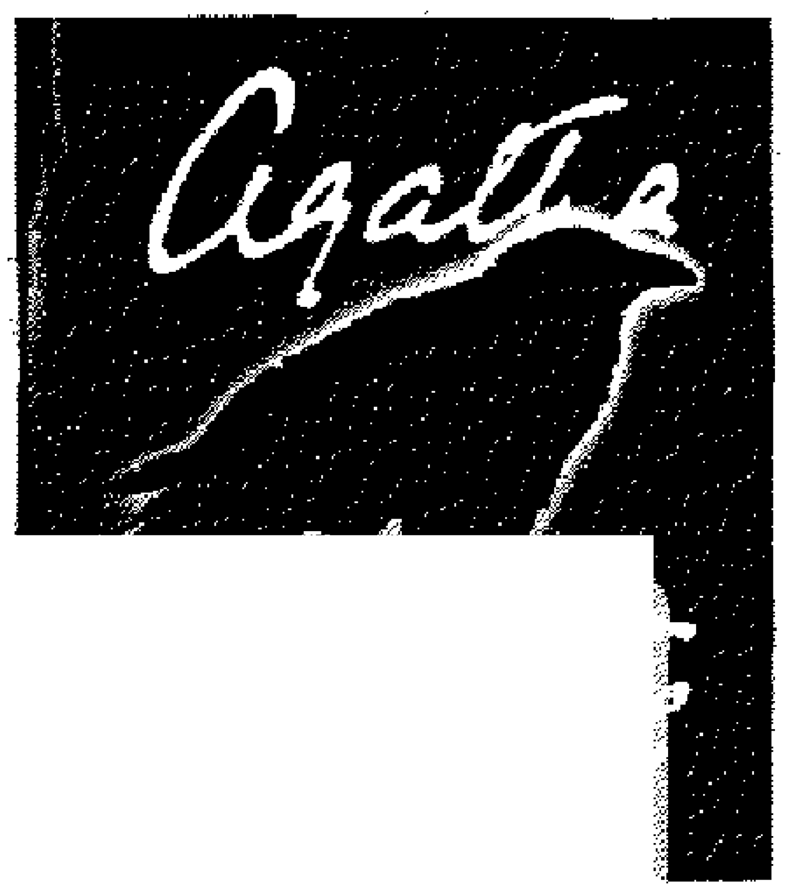

رقم هذه الرواية حسب تـ
صدور الروايات بالإنك

الناشر وصاحب
بالطبعة العربية في

الأجيال للترجمة والنشر
AJYAL Publishers

ISBN 2-1957-2621-1
9782195726217

توزيع دار الأفق
٦ ش حسين فهمى من عباس العقاد
ت : ٢٧٢٥٣٣٥ موبايل : ٠١٢/١٠٣٣١٦٠